المقـــدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لاَّ إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه إلى يوم الدين . .

أمـا بعـد . . فعندما تخرجت من كلية الشريعة بجامعة المدينة المنورة عام ١٣٩٧/٩٦ هـ كنت قد قررت مواصلة تعليمي وتحضـير رسالة « الماجستير » في الإعلام وذلك لأنَّني كنت أقرأ المجلات والصحف وأسمع الإذاعات وأتابع كثيراً من الموضوعات والأخبار عن طريق وسائل الإعلام . . ولا أخفي استغرابي عندما شعرت بقصور العالم الإسلامي في هذا الميدان في مجاليه « القولي والعملي (١) مما فرض عليه الإبتعاد عن ساحة الصراع الفكري العالمي . .

ودفعني ذلـك الشعـور إلى التفكير بجديَّة في اقتحام هذا المجال لاعتقادي الراسخ في الأثر العظيم الذي ينبغي للإعلام الإسلامي أن يحدثه في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الأمة وهو أثر تحدده احتياجات عالمنا المعاصر كما أظهرتها تجارب الأحداث العالمية الكبرى . .

وكان من فضل الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة أن جامعة الإمام محمد بن سعود قد أدركت بفضل وعيها ومتابعتها لاحتياجات العالم الإسلامي وما انتهى إليه الإعلام الإسلامي من حالة سيئة جعلت المسلمين يشكون من نتائجه وسلبيته في شتى المجالات والقضايا المصيرية .

فقامت بإنشاء قسم للإعلام الإسلامي لسد احتياجات العالم الإسلامي من العلوم والأطر المتخصصـة في هذا الميدان الهـام . . فسـدَّت بهذا العمـل العـظيم فراغـاً كبيراً كان كثير من المتطلعين إلى تقدم هذه الشعوب يشعرون بضرورة وجوده في جامعاتهم وذلك لأهمية هذا النوع من العلوم وعظيم فائدته على الأمة وخصوصاً في العصر الحديث . .

(١) وأقصـد بقـولي « القـولي » تلك الأساليب الإعلامية التي تعتمد على القلم واللسان ـ وأما « العملي » من الأساليب الإعلامية ماكان اعتماده على التحركات العملية سواء كانت سلمية أو عسكرية ، فالسلمية كالقيام بتحركات دبلوماسية تتمثـل في لقـاءات وزيارات متبادلة وعقد المؤتمرات لبحث شئون الساعة ، وأما العسكرية كالقيام ببعض العمليات الحربية محدودة أو غير محدودة وكالقيام ببعض المناورات والطلعات الإستكشافية . . . الخ . .

فرأيت أن ألتحق به وأساهم فيه بقدر استطاعتي وجهدي المحدود وكان ذلك في السنة الثانية من افتتاحه ، فأنهيت الدراسة المنهجية ومدتها ثلاث سنوات وتمكنت خلال هذه الفترة من تكوين فكرة لا بأس بها عن الإعلام ومبادئه وأسسه وأفكاره كما تمكنت من إدراك تصور واضح للسبب الأساسي في فشل الإعلام الإسلامي الذي يمتلك أرقى وسيلة وأعظم فكر ومع هذا يعتبر من أكثر البلاد تخلفاً في الإعلام وهذا الفشل يتمثل في الفهم الخاطىء للأسلوب الإعلامي لدى كثير من المفكرين الإعلاميين من المسلمين الذين يعتقدون بأن الأسلوب الإعلامي يعتمد على القلم واللسان فقط وفاتهم أن هناك أسلوباً إعلامياً يعتمد على العمل قد يكون في كثير من الأحيان أبلغ بكثير من الأسلوب القولي في إيصال المادة الإعلامية ونشرها . .

وإيماناً مني بجدوى الأسلوب الإعلامي وأهميته وعمق أثره ، واقتناعاً مني بأن القرآن الكريم يشتمل على أعظم أسلوب في الإعلام . اتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر من ربه (قولاً وعملاً) مما جعل هذه الرسالة تنتشر في مشارق الأرض ومغاربها في مدة قصيرة من الزمن . كما أن فيه كشفاً للأساليب الإعلامية المضادة التي استخدمها أعداء هذه الرسالة في محاولاتهم المستميتة للقضاء على هذا الدين وإطفاء نوره والتي لها امتداد إلى يومنا هذا . .

لذا اخترت متابعة الأسلوب الإعلامي في القرآن والإهتمام به محاولاً بذلك تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة في تصورها للأسلوب الإعلامي بأنه يقتصر على القلم واللسان دون غيرهما من الأساليب العملية كالضرب بالحديد والنار والقيام بالتحركات الدبلوماسية في الوقت المناسب . . وأن لكل منهما استخدامات خاصة لا يمكن أن يقوم الآخر مقامه فيها ولكن كل منهما يتمم الآخر ويكمله ولا يمكن لأحدهما الإستغناء عن الآخر . .

وإذا فقد أحدهما بطل مفعول الآخر تلقائياً وأصبح لا أثر له ولا قيمة ، وذلك بإلقاء الضوء على الأسلوب الإعلامي الحقيقي الذي يمكن استخدامه بنجاح تام في تحقيق الأهداف والأغراض ، وبيان أن أي تحريف في هذا الأسلوب أو أى إعراض عنه ومحاولة الهدى في غيره فإن مصيره الضلال والإضلال البعيد كما تنص الأحاديث الكثيرة على ذلك ، وأن واقع المسلمين اليوم وماهم فيه من ضلال وضعف وانقسام بسبب الإبتعاد عن الهدى الإعلامي في القرآن الكريم لا بسبب التمسك به كما ينادى بذلك كثير من المنافقين والغوغائيين الذين ينعقون مع كل ناعق . .

ولا أريد في هذا البحث المقارنة بين الأسلوب الإعلامي والأسلوب الإعلامي في القرآن

الكريم فحاشا لهذا الأسلوب أن يكون في موضع مقارنة . فالأساليب الإعلامية في وقت نزول الوحي والموجودة الآن وهى امتداد لما قبلها مصادرها بشرية وتخدم أغراضاً بشرية . أما الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم فإنه من الله والغرض منه الصدع بالحق والقضاء على الباطل وسعادة البشرية في الدارين لذا تميزت عن غيرها بعدة خصائص سنذكرها في حينها . فلا مجال إذاً للمقارنة وإنما نريد دراسة هذا الأسلوب العظيم ومحاولة الإستفادة منه في الإعلام الإسلامي .

لأن الإعلام الإسلامي لايستطيع بأساليبه الحالية أن يقف أمام الأساليب الإعلامية المتطورة والمعادية للإسلام والمسلمين إلا إذا رجع إلى القرآن الحكيم واستمد سياسته الإعلامية القولية والعملية منه . .

ولقد قسمت هذا الكتاب إلى تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة :ـ

التمهيد :

ضمنته معنى الأسلوب وأنواعه وأهميته . .

وأما الباب الأول :

تحدثت فيه عن القرآن الكريم من حيث هو مصدر إعلامي وعن الأسلوب الإعلامي في القرآن وخصائصه . .

والباب الثاني :

نماذج من الأسلوب الإعلامي في القرآن وطرق تأثيره ، تعرضت فيه بالدراسة لبعض النماذج من الأساليب الإعلامية في القرآن الكريم كأسلوب الخبر والقصة والمثل وأسلوب الحكيم . . كما بينت فيه بعض طرق التأثير القرآني بشيء من الإيضاح . .

وأما في الباب الثالث التطبيقي وهو الأخير :

حديث عن بعض آثار هذا الأسلوب على الأمة وذلك في فصول ثلاثة . فصل في أثره على العقيدة وفصل في أثره على الأخلاق ، وفصل في أثره على المعاملات .

وأنهيت البحث بخاتمة لهذا الموضوع أعطيت فيها فكرة عامة وموجزة عما تضمنه هذا البحث من فوائد وإرشادات نفعني الله وإياكم به وهو الهادي إلى الطريق المستقيم .

وأخيراً أقدم شكري لجميع من تفضلوا بمساعدتي في هذا البحث وأخص بالذكر منهم الدكتور الفاضل/ احمد حسن فرحات وأستاذي الغالي/زين العابدين الركابي على ماقدماه من جهد مشكور تمثل في التوجيه والإرشاد وتذليل كل الصعاب التي واجهتني أثناء البحث حتى خرج الكتاب على الوجه الذي بين أيديكم .

فأرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في محاولتي هذه وأن ينفع ببحثي هذا المسلمين الراغبين في المساهمة بجهودهم للنهوض بالإعلام الإسلامي وتطوير أساليبه وأن يثيبني على هذا العمل فوق ما أطمع وأكثر مما أرجو إنه سميع مجيب .

« التمهيــــد »

« الأسلوب في اللغة والاصطلاح »

الأسلوب في اللغة :

هو بضم الهمزة الطريق والفن ، وهو على أسلوب من أساليب القوم أى على طريق من طرقهم(١) .

والأسلوب في اصطلاح الأدباء :

هو الصـورة اللفـظية التي يعـبر بها عن المعـاني أو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار وعرض الخيال أو هو العبارة اللفظية المنسقة لأداء المعاني(٢) .

وأما الأسلوب عند رجال الإعلام :

فهو إيقاف الجماهير على الحقائق أولاً بأول وتكوين رأى عام ناضج ونشر الأخبار الصحيحة(٣) .

ونلاحظ من التعريفين السابقين الأدبي والإعلامي أن كلاً منهما يقصر الأسلوب على العنصر اللفـظي الـذي يتـألف من الكلمات ، فالجمل والعبارات وهذا التعريف لاشك أنه قاصر ، وذلك لأن هذه الصور اللفظية قبل أن تكون ألفاظاً تنتظم وتأتلف على لسان الكاتب أو المفكر قد كانت أفكاراً ومعاني في النفس ثم تترجم هذه الأفكار والمعاني على شكل أقوال وأفعال تصدر من الكاتب أو المفكر بهدف تحقيق غرض معين فنسمى هذه الأقوال وهذه الأفعال أسلوباً من القول أو العمل . .

وعـلى هذا الأسـاس نستـطيع أن نقرر ونقول بأن للأسلوب معنى أوسع مما عَرَّفَه به الأدباء والإعلاميون فيشمل كلَّ مامن شأنه أن يترجم تلك المعاني والأهداف التي ارتسمت في النفس

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ـ أحمد بن محمد الفيومي جـ ١ ـ ص ١٥١ ـ المطبعة الخيرية .

(٢) الأسلوب ـ أحمد الشائب ـ ص ٤٦ ـ مكتبة النهضة المصرية « القاهرة » .

(٣) الأسلوب الإعلامي والعلاقات العامة ـ محمد عطا ـ ص ١٨ ـ مكتبة الأنجلو المصرية « القاهرة » .

بغـرض إيصـالهـا إلى النـاس وإقناعهم بها فإذا ترجمت بالقول فإننا نسمى ذلك العمل أسلوباً قولياً ، وإذا ترجمت بالعمـل والفعـل نقـول بأن ذلـك الأسلوب أسلوب عملي وهذا التعريف يلتقي مع التعريف اللغوي للأسلوب ويتفق معه . .

معنى الأسلوب الإعلامي في القرآن :

الأسلوب القرآني الذي هو عبارة عن الطريقة التي أنفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه[1] حتى يسهل حفظه في الصدور ويستحيل فيه التغيير والتبديل فينتفع المسلمون بمضمـونـه في كل جيل وفي كل عصر ليس هو مرادنـا في هذا البحث . . وإنما نقصد بالأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم : تلك الطريقة القولية والعملية التي يرشدنا إليها هذا الكتاب الحكيم لكي نسلكها في عرض الحقائق أولاً بأول على الناس بغرض تحقيق هدف معين أو تكوين رأى عام ناضج نحو قضية من القضايا سواء كانت هذه القضية أو ذلك الهدف في صالح المرسِل أو المستقبِل . .

وقد أشار سيد قطب رحمه الله إلى هذا المعنى عند وصفه لهذا الكتاب العظيم بقوله : « إن القرآن الكريم كائن حي يتحرك . . في ظل الوقائع يعمل ويتحرك في وسط الجماعة المسلمة ويواجه حالات واقعة فيدفع هذه ويقرُّ هذه ويدفع الجماعة المسلمة ويوجهها فهو في عمل دائب وفي حركة دائبة إنه في ميدان المعركة وفي ميدان الحياة وهو العنصر الدافع المحرك الموجه في الميدان »[2] .

ولا عجب في ذلك فإن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى التى أيد الله بها نبيه الأمي والتي غيَّر بها نفوساً وأحيا قلوباً وأنار بصائر وربّي أمة وكوَّن دولة في زمن يشبه الخيال .

ولحرص الرسول ﷺ على أمته واهتمامه بها لفت انتباهها إلى أهمية القرآن الكريم وحذرها من التفريط فيه أو الإبتعاد عن هديه في حديث أخرجه مالك في موطئه يقول فيه « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله »[3] . . وفي حديث آخر روى « عن ابن عباس رضى الله عنهما : من تعلم كتاب الله ثم اتبع مافيه هداه الله من الضلالة في الدنيا ووقاه يوم القيامة سوء الحساب ـ وفي رواية قال : من اقتدى بكتاب الله لايضل

---

(1) مناهل العرفان ـ الزرقاني ـ ص ١٩٩ .

(2) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ المجلد ١ ـ ص ٢٠٤ ـ دار الشروق ـ بيروت .

(3) جامع الأصول في أحاديث الرسول ـ لابن الأثير ـ جـ١ ـ ص ٢٧٧ ـ مكتبة دار البيان . .

في الدنيا ولايشقى في الآخرة ثم تلا هذه الآية (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى)[1]. .

ولا شك أن هدى القرآن الكريم عام في كل شيء وفي كل أمر من أمور الدُّنيا والآخرة . .

وهذه الحقيقة ندركها عندما نراجع القرآن الكريم وننعم النظر فيه فإننا سنجده قد هدانا وأرشدنا إلى التعاليم التي تعتمد عليها الأساليب الإعلامية في نجاحها بل نستطيع أن نقول أن هذه التعاليم بمثابة الأرض الصلبة التي يقوم عليها الإعلام الإسلامي في أساليبه في كل زمان ومكان . . ومن أهم هذه التعاليم :-

١ - أن تكون القيادة الفكرية على قدر كبير من الإيمان والإدراك للمبادىء الإسلامية وأهدافها . . وتكون على قدر كبير من الوعي السياسي والإقتصادي والعسكري ولها قدرة فعّالة على اتخاذ القرارات في الوقت المناسب وتنفيذها . .

٢ - الإستعداد التام في كل المجالات وخصوصاً في المجال العسكري تحسباً لكل خطر قد يهدد أمنهم واستقرارهم وعقيدتهم التي يتعلق بها وجودهم وسعادتهم . .

٣ - وعليهم أن يثبتوا ويصبروا في وجه كل الصعوبات التي قد تواجههم أثناء نشرهم لفكرهم أو في حالة صراعهم مع أعدائهم مهما كانت الظروف والأحوال . .

٤ - ولابد لهم من بذل الجهود لمعرفة كيد أعدائهم وأساليبهم الإعلامية المضادة والقيام بتعرية معتقداتهم وتوضيح صورتهم بشتى الأساليب والطرق حتى يبتعد الناس عنهم وعن خرافاتهم . .

وعلى أساس هذه التعاليم كان الرسول ﷺ يقود هذه الأمة مهتدياً بهدى القرآن فلا يقول ولايعمل شيئاً من هوى نفسه بل إنَّه كان ملتزماً بأوامر الله التي كانت تنزل رويداً رويداً لتوفى بمتطلبات هذه الدعوة وتسد احتياجاتها ولوازمها في كافة مراحلها المختلفة وبذلك كانت جميع أقواله وأعماله ﷺ تعتبر بياناً عملياً للقرآن الكريم وصورة تنفيذية لأوامره . . قال تعالى : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[2] . . قال قتادة : ان معنى الخلق في هذه الآية الكريمة . . « هو ماكان يأتمر به من أمر الله وينتهى عنه من نهى الله » [3]. . وعن سعد

(١) نفس المرجع - ص ٢٩٢ .

(٢) ن/٤

(٣) فتح القدير - الشوكاني - جـ ٥ - ص ٢٦٠ - مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

قال أتيت عائشة فقلت ياأم المؤمنين أخبريني بخلق رسول الله ﷺ ، قالت كان خلقه القرآن أما تقرأ القرآن إنك لعلى خلق عظيم »[1] . .

وهذا يفرض علينا نحن المسلمين اليوم أن نقتدي بالرسول ﷺ ونهتدي بهدى القرآن في توعيتنا للناس وإعلامهم بما لهم وماعليهم من الحقوق والواجبات . .

فنستخدم الأسلوب العملي إلى جانب الأسلوب القولي لأنه قد يكون في بعض الأحيان أكثر فعالية من ناحية التأثير والجدوى . . وإذا كان الأمر كذلك فلابد أن ندرك حقيقة أن الأساليب القولية والعملية التي يرشدنا إليها القرآن الكريم تتّسم بسمة أساسية وهي قوة الترابط فيما بينها ، وهذا الترابط هو الذي يعطي هذا الأسلوب صفة التكامل والتماسك فإذا حدث خلل في هذا التكامل أو استخدام أحدها مكان الآخر ، وحيث لايمكن أن يحل غيره محله لم يحقق أهدافه وقد يتلاشى أو يؤدى إلى نتيجة عكسية . .

وأما إذا ظل في تماسكه واستخدم كل أسلوب في مكانه بعد دراسة مناسبة فإنه بلا شك سيحقق أهدافه بنجاح تام . .

والإعلام العربي مع الأسف لم يدرك هذه الحقيقة حتى الآن ومازال العرف عندهم أن أساليب الإعلام لاتتجاوز القلم واللسان وأن الإعلام لابد أن تكون له وزارة متخصصة تقوم بمهمة توعية الناس وإعلامهم بما لهم وماعليهم من الواجبات والحقوق ولكن الحقيقة التي أرشدنا إليها القرآن الكريم هي أن الأساليب الإعلامية لابد أن تمتد جذورها إلى جميع أجهزة الدولة حتى يكون الأسلوب العملي أسبق من الأسلوب القولي في الدعوة إلى المبادىء والأهداف والإعلان عنها . .

ولقد كان اليهود أكثر منا وعياً وإدراكاً لمعنى الأسلوب الإعلامي « لذا نجد كافة المؤسسات اليهودية المتخصصة في خدمة الإعلام وكذلك الهيئات والمنظمات الرسمية التي تعمل ضمن أشياء أخرى في خدمة استراتيجية الإعلام الإسرائيلي فهي لذلك تعتبر إدارة تنفيذية لتلك الإستراتيجية . .

ولعل أكثر مايلفت النظر في هذا الشأن خلو الإدارة الحكومية الإسرائيلية ، من وزارة متخصصة للإعلام والإرشاد كما هو الحال في عدد كبير من الدول الأفروأسيوية ومنها كافة الدول العربية »[2] .

---

(١) نفس المرجع ـ ص ٢٦٢ .

(٢) أضواء على الإعلام الإسرائيلي ـ منذر عنبتاوي ـ ص ١٤٥ ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث . .

أنواع الأسلوب الإعلامي :

والآن وبعـد أن عرفنـا معنى الأسلوب في اللغة والإصطلاح بقى علينا معرفة أن الأسلوب الإعـلامي وإن كان وضع لغرض تحقيق أهداف معينة إلّا أنه قد ينقسم من الناحية التطبيقية إلى نوعين :ـ

١ ـ أسلوب مباشر .

٢ ـ أسلوب غير مباشر .

النوع الأول : الأسلوب المباشر :

ويتمثل في أنه إذا وقعت حادثة أو خبر علمي أو اجتماعي يأتي بالخبر كما هو دون إضافة . .

مثاله :

« أعلن في تونس أمس عن اكتشافات بترولية وغازية في الجنوب التونسي وجاء في بيان أصدرته شركة « أموكو » التونسية للنفط أن كميات مشجعة من النفط والغاز تم العثور عليها على عمق أربعة آلاف متر تبلغ كميتها ٣٦١ ألف متر مكعب وأضاف البيان أنه لابد من إجراء دراسات أوسع لمعرفة ما إذا كان الإكتشاف قابل للإستغلال التجاري في الوقت الحاضر »[١] . .

فهذا الخبر فيه إعلام بهذا الحدث وهذا الإكتشاف دون تغيير أو تبديل وبلا زيادة أو نقصان والغرض منه هو تبشير الشعب التونسي بمستقبل أفضل يسوده الرخاء ورغد العيش . .

النوع الثاني : الأسلوب غير المباشر :

وهذا الأسلوب يعتبر في الإعلام أهم من النوع الأول وخصوصاً في العصر الحديث . . لأنه في أغلب الأحيان يحمل أهدافاً معينة لذا تجد المرسل يخضع هذا الأسلوب لهندسة ذات طابع مميز . .

---

(١) جريدة الندوة السعودية ـ ص ١ ـ العدد ٦٨٤٥ ـ الخميس ١٢/١١/١٤٠١ هـ .

ومثاله : « مانشرته جريدة الجزيرة السعودية تحت عنوان « بعد تأنيب من كارتر : بيجن يوافق على استئناف محادثات السلام مع مصر » . .

يقول وزير خارجية إسرائيل بصراحة في تتمة هذا المقال صفحة ١٤ « لم أعد أعرف ما إذا كنّا قد اقتربنا من السلام فعلاً أو نبتعد عنه لأن مفاوضينا المصريين يصرّون على عدم إبرام سلام منفصل ويصرون على ربط السلام مع مصر بحل وطني للمشكلة الفلسطينية مما يعقد الأمور ، وأضاف ديان إن المصريين الذين التقيت بهم مؤخراً سياسيون ينظرون إلينا نحن الإسرائيليين كأغراب على المنطقة وكيهود جاءوا من الغرب واستوطنوا في العالم العربي »[1] . .

ونلاحظ أن وزير الخارجية الإسرائيلية يريد من تصريحه هذا تحقيق عدة أهداف من أهمها .

* تحميل مصر مسئولية قطع المحادثات الجارية بينهما بشأن عقد سلام وأنها لاتريد سلاماً حقيقياً في الوقت الذي ترغب فيه إسرائيل رغبة جادة في السلام وتسعى إليه . .

وعلى هذا الأساس يتكون رأى عام دولي يدين العرب الذين يريدون القضاء على دولة إسرائيل ويبرر كل ما تفعله إسرائيل من اعتداء على العرب واغتصاب أراضيهم بأنه من قبيل الدفاع المشروع عن النفس . .

* إضعاف موقف مصر في الربط بين المعاهدة المصرية ومعاهدة الحكم الذاتي الفلسطيني في المنطقتين الضفة الغربية وقطاع غزة . .

وأنها إذا كانت تريد سلاماً حقيقياً تبرهن عليه بإعادة النظر في هذه المسألة ـ مع أنه أى وزير الخارجية الإسرائيلية كما يقول « يشك في أن تكون هناك رغبة حقيقية من جانب مصر في السلام لأنهم يصرون على إنشاء دولة فلسطينية في القطاعين وهذا من شأنه تهديد أمن إسرائيل وخطوة أولى للقضاء على دولة إسرائيل . .

مع العلم أن هذا التصريح روعى فيه التوقيت المناسب فقد كان قبل استئناف المحادثات التي قطعها المصريون بأيام قليلة حتى يجعل قضية الربط مستحيلة دائماً في شعور مفاوضيهم من المصريين مما يجعل عزائمهم تتلاشى شيئاً فشيئاً نحو هذه القضية ويستقر في أذهانهم أن طلبهم هذا مستحيل فيتخلون عنه أو على الأقل يقبلون بما تقدمه إسرائيل

(١) جريدة الجزيرة السعودية ـ ص ١ ـ عدد ٢٣٣٢ ـ السنة السادسة عشر ـ ١٣٩٩/١/٢ هـ .

من تنازلات بحيث تصبح الضفة والقطاع تحت إدارة مدنية فلسطينية تقوم في بناء اقتصادها وتعليمها على مساعدات الدول العربية والأمن الداخلي لهذا الحكم يحافظ عليه رجال أمن مصريون أو أردنيون وأما الأمن الخارجي والأرض فهي لإسرائيل فتكون بذلك حققت أهدافها ولم تخسر شيئاً ـ حققت استتباب الأمن في هذه الأراضي برجال أمن عرب واستفادت من المساعدات العربية للفلسطينيين في هاتين المنطقتين فتكون بذلك وفَّرت على نفسها الجهد والمال والرجال ، وفي الوقت نفسه لم يحدث أي تغيير في المنطقة لأن الوجود العسكري الإسرائيلي مازال قائماً وجاثماً على هذه الأرض بقواته . .

وأما قوله « إن السياسيين الذين التقيت بهم ينظرون إلينا نحن الإسرائيليين كأغراب على المنطقة وكيهود جاءوا من الغرب واستوطنوا في العالم العربي » .

فإنه يريد بذلك أن يقوم هؤلاء المسئولون بالرد على هذه التهمة الموجهة لهم وينفوا مانسب إليهم ويعلنوا في جميع أجهزة الإعلام أن إسرائيل ليست غريبة على المنطقة وأنهم لم يقولوا ذلك ولن يقولوه أبداً وأنه محض افتراء عليهم ، وأن يترجموا ذلك عملياً بالتساهل مع إسرائيل والإستجابة لشروطهم في محادثات السلام وبذلك يتبين صدق إسرائيل في دعواها بإقرار من العرب أنفسهم بأن هذه الأرض لهم ولم ينتزعوها من أحد وأن العرب يريدون اغتصاب أرضهم واخراجهم منها وإعطائها للفلسطينيين وبذلك يتكون رأى عام عربي ودولي مقتنع بأن هذه الأرض لإسرائيل ولايحق لأحد ادعاؤها .

ومثل هذه المقولة تلك العبارة التي طالما رددتها أجهزة الإعلام الصهيوني وهي « أن العرب يريدون إلقاء إسرائيل في البحر »[1] وهدفهم الحقيقي منها هو قيام الإعلام العربي ورجال الفكر فيه بالدفاع عن هذه الفكرة مما يتولد عنه الإعتراف الضمني بحق إسرائيل في البقاء على هذه الأرض وشرعية كل ماتقوم به من قتل الأبرياء واغتصاب حقوقهم وممتلكاتهم وإبعادهم عن أوطانهم . .

ومن المؤسف حقاً أن يقع كثير من المفكرين الإعلاميين العرب في هذا الفخ ويبذلوا كثيراً من الجهد والوقت لإقناع العالم ببطلان هذه التهمة الموجهة إليهم وإثبات نقيضها ليحققوا بذلك الهدف الأساسي من هذا الأسلوب اليهودي . .

وأعتقد أن أفضل رد على هذه المقولة هو « إن الذي يعتدي على أراضي الغير ويطرد شعباً

---

(١) صحيفة الرياض السعودية ـ عدد ٤٩٨٧ ـ الثلاثاء ١ ديسمبر ١٩٨١ م ـ ص ١ .

بكامله عن أرضه ووطنه بقوة السلاح ويسفك الدماء ويقتل الأبرياء من النساء والاطفال والشيوخ ـ ويصدّر الفساد والارهاب إلى جميع دول المنطقة مما يعرِّض أمن العالم واستقراره للخطر متجاهلا بذلك كل الأعراف والقوانين الدَّولية . .

إن من يفعل هذا كله لابد من قيام الدول العربية والعالم أجمع من استئصاله وإلقائه في البحر . .

وفي هذا ذكر للحقيقة وهى أن اسرائيل لابد أن يكون تدميرها هو الهدف الأساسي للمسلمين ومن أجله تقوم جميع التحركات . . ، والإستعدادات العسكرية والإقتصادية والتجارية والإجتماعية لأن ، هذه المنطقة لاتسعهم معنا . كما أن فيه تهدئة للرأى العام العالمي والمحافظة على شعوره وسد الباب أمام إسرائيل فلا تجد مدخلاً فيه لإثارة الرأى العام العالمي ضدّ العرب والمسلمين . .

وأما قوله « جاءوا من الغرب » فإنه يقصد من ورائه إشعار الغرب أن الإسرائيليين منهم ويجب عليهم التعاطف معهم والوقوف إلى جانب قضيتهم . .

مثال ٢ : ومن الأساليب العملية غير المباشرة التي استخدمها الإسرائيليون « الغارة التي قاموا بها على المفاعل النووي العراقي في ٧ يونيو حزيران عام ١٩٨١ م . .

فقد كان الهدف الإعلامي منها :

أولاً : إعلام العرب والعالم بما تمتلكه إسرائيل من قدرات عسكرية وفنية ، متطورة تمكّنها من ممارسة سياسة الذراع الطويلة في منطقة الشرق الأوسط وذلك من شأنه إضعاف الروح المعنوية عندهم وزرع الرعب والخوف في قلوبهم مما يجعلهم دائماً يعتقدون بأن مجرد التفكير باتخاذ الأسباب لمحاربة إسرائيل أو الوقوف أمام مخططاتها في المنطقة أو القيام بعملية عسكرية ضدها يعتبر مغامرة لايقدم عليها إلا مجنون فاقد الوعي والإدراك . .

ثانياً : تشويه صورة العرب لدى الولايات المتحدة وأوروبا وإشعارهم بتخلف هذه الشعوب فكرياً وحضارياً وعسكرياً ، وبأنها لاتستطيع المحافظة على أمنها ومصالحها الشخصية فضلاً عن محافظتها على مصالح أمريكا وأوروبا في تلك المنطقة . .

وفي الوقت نفسه تعطي صورة بديعة عن نفسها وعن الجيش الإسرائيلي الـذي لايقهر وأنهم عباقرة العالم ويستطيعون وحدهم في هذه المنطقة القيام بدور الحـارس الأمـين لهذه المصالح بما يمتلكونه من تقدم وعبقرية في جميع المجالات الفنية والعسكرية . .

وهكذا يبدوا لنا بوضوح خطورة الأسلوب الإعلامي غير المباشر المخطط وفق إطار عملي يتفق مع الأهداف السياسية والإستراتيجية لأيِّ دولة أو منظمة أو جهة أخرى . .

ولأهمية الأسلوب في الإعـلام جاءت معجزة الرسول ﷺ ، وهى القرآن الكريم ترشدنا إلى أقوم أسلوب يمكن استخدامه لنشر أعظم رسالة عرفتها البشرية . .

البـــاب الأول : الهدى الاعلامي في القرآن الكريم

الفصـل الأول : القرآن الكريم من حيث هو مصدر إعلامي

الفصل الثانـي : الأسلوب الاعلامي في القرآن الكريم

الفصل الثالث : « الخصائـص »

أولاً : الربانيـــة

ثانياً : التوافق وعدم التناقض

ثالثــاً : الواقعيـــة

رابعـاً : شــرف القصـد

الباب الأول

الهدى الاعلامي في القرآن الكريم

من فضـل الله على النـاس أنه لم يتركهم في هذه الحياة يستهدون بما أودع الله فيهم من فطرة سليمة تقودهم الى الخير وترشدهم إلى البرِّ بل بعث إليهم بين فترة وأخرى رسولاً يدعوعهم إلى توحيد الله بالعبـادة ويبشرهم وينـذرهم لتقـوم عليهم الحجَّـة قال تعـالى : ﴿ **رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ﴾[1] . .

حتى أراد الله للرسـالـة الخـاتمـة أن تشرق على الـوجـود لتكمل صرح الرسالات السابقة بشريعتها العامة الخالدة وكتابها المنزّل على سيدنا محمد ﷺ وهو القرآن الكريم « الذي احتوى من حقائق الغيب وحقائق النفس وحقائق الحياة وحقائق الإجتماع الإنساني . . . مالا يستغنى بشر عن معرفته والإهتداء به »[2] . .

قال تعالى : ﴿ **مافرطنا في الكتاب من شيء** ﴾[3] .

وماذلك إلا أنه أراد أن يكون هذا القرآن هو الرائد الحي في وقت نزوله وفي كل وقت حتى يقود أجيال هذه الأمة ويربيها ويعدّها لدور القيادة الراشدة كلما اهتدت بهديه واستمسكت بعهدها معـه واستمـدت منهج حياتها كله منه . قال تعالى : ﴿ **قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين** ﴾[4] . .

وإذا تتبعنـا القـرآن الكـريم نشهـد صورة موحية من رعـاية الله للجماعة الإسلامية « وهو يصنعهـا على عينيه ويربيهـا بمنهجـه ويشعـرهـا برعـايتـه . . في أخص خصـائصها وأصغر شئـونها . . . وحـراسته لها من كيد أعدائها خفية وظاهرة . . . وتربية أخلاقها وعاداتها تربية تليق بالأمة الرائدة التي ترفع لواء الله وتنشر النور في الأرض »[5] . .

ولقد سلك في ذلك أسلوباً إعلامياً فريداً لم يعهد التاريخ مثله من قبل . ونحن في هذا الباب سنحاول القاء الضوء على هذا الأسلوب وتوضيحه بقدر استطاعتنا وجهدنا إن شاء الله تعالى . .

(١) النساء/١٦٥
(٢) ثقافة الدّاعية ـ يوسف القرضاوي ـ ص ١٠ ـ ط ١ (١٩٧٨م) .
(٣) الأنعام/٣٨
(٤) النحل/١٠٢
(٥) طريق الدعوة في ظلال القرآن ـ أحمد فائز ـ ص ٢٠ .

الفصل الأول

القرآن الكريم من حيث هو مصدر إعلامي

نزول القرآن منجماً حسب الأحداث :

فمن المعروف أن المبدأ الإعلامي يلح على ضرورة إثارة انتباه المستقبلين وتهيئة نفوسهم وعقولهم للتفاعل مع محتوى الرسالة الإعلامية حتى يكون تفاعلهم معها تفاعلاً هادفاً ومفيداً . . والأحداث الهامة التي تجرى على مسرح الحياة تثير انتباه المستقبلين وتجذب مشاعرهم وتجمع قواهم العقلية وتجعل نفوسهم تتوق إلى معرفة مانزل ملائماً له من أحكام مما يهيئهم للتفاعل مع الأمر الجديد وتقبل مايتضمن من أسرار تشريعية وأحكام تفصيلية تهديهم إلى الصراط المستقيم . .

لذا نرى القرآن الكريم جعل الأحداث مدخلاً إلى قلوب الناس وعقولهم لإرشادهم وتوجيههم لما فيه السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة . .

فنجده ينزل في كثير من الأحيان إثر حادثة أو سؤال مراعياً في ذلك الوقت المناسب ومانزل منه ابتداء فأسبابه قائمة في الواقع وإن لم يكن لحادثة معينة . .

وقد سأل اليهود الرسول ﷺ عن هذه الظاهرة الغريبة ، التي ماعهدوها من قبل في الكتب السماوية السابقة والتي كانت تنزل جملة واحدة .

عن ابن عباس قال : « قالت اليهود ياأبا القاسم لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراه على موسى فنزل قوله تعالى رداً على سؤالهم « وقال الذين كفروا لولاَ نُزِّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ولا يأتونك بمثل الاّ جئناك بالحق وأحسن تفسيرا »[1] . .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ـ السيوطي ـ جـ ١ ـ ص ٤٢ ـ مصطفى البابي الحلبي .

الأغراض الإعلامية من التنجيم :

إن نزول القرآن منجماً حسب الأحداث والوقائع مع أنه كان يوفر على الرسول ﷺ كثيراً من الجهد والوقت في محاولة إيجاد طريقة مناسبة يهيء بها النفوس لما يراد إقناعهم به فإنه كان له أهداف إعلامية عظيمة لا يمكن تحقيقها في مدة قصيرة من الزمن الاّ بهذا الأسلوب المعجز ومن أهم هذه الأهداف الإعلامية . .

١ - مساعدة الرسول ﷺ على حل المشاكل الإجتماعية المتجددة . . فمن ذلك أن عبدالله بن رواحة تزوج من أمة له سوداء بعد أن أعتقها إثر ضرب به لها وهى أمة مؤمنة « فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا تزوج أمة وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين وينكحوهم رغبة في أحسابهم[1] فنزل قوله تعالى : ﴿ **ولاتَنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولاتُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون** ﴾ [البقرة : ٢٢١]

فكان العرف السائد في الجاهلية وحتى ظهور الإسلام أن التفاضل بين الناس بالأنساب والأحساب فقط . . وكان هذا الحدث وماحصل فيه من استغراب وقيل وقال قد أتاح الفرصة لإعلام الناس بمقياس الإسلام الحقيقي في التفاضل بين الناس وهو تقوى الله عز وجلّ والإيمان به وبرسوله ﷺ وهذا المقياس فيه رفع من شأن المؤمن وإعلام بشرفه على الكافر ، ولو كان هذا المؤمن عبداً أو أمة وكما لايخفي فإن فيه تصغيراً لشأن الكافر وإعلاماً بتفاهته ولو كان أشرف الناس في حسبه ونسبه . .

ونزول هذه الآيات عقب هذا الحدث الذي هيأ النفوس وأثار انتباهها إعلام لكلا الطرفين بذلك . .

٢ - مساعدة الرسول ﷺ في الإجابة على الأسئلة الموجهة إليه من قبل المؤمنين أو الكافرين . . مثال ذلك :

أن قريشاً احتارت في أمر الرسول ﷺ الذي ادعى أنه نبي مرسل من الله يدعوهم إلى التوحيد وترك عبادة الأصنام وهم لم يجربوا عليه كذباً بل عُرف لديهم بالصدق والأمانة وحسن السيرة والسلوك فبعثوا إلى اليهود بالمدينة يسألونهم عن أمره فقالت اليهود سلوه عن

(١) تفسير الطبرى - ابن جرير الطبرى - جـ ٢ - ص ٢٢٣ - مصطفى البابي الحلبي .

أشياء ثلاثة ، فإن لم يجب عليها أو أجاب عنها جميعاً فهو ليس بنبي وإن أجاب عن اثنين ولم يجب عن الثالث فهو نبي وهذه الأمور الثلاثة هي :

١ ـ فتية فقدوا في الزمن الأول ماكان من أمرهم ؟

٢ ـ رجل بلغ شرق الأرض وغربها ماخبره ؟

٣ ـ وعن الروح ؟

فسأله القرشيون عن هذه الأشياء فوعدهم بالإجابة عليها في اليوم التالي ولم يقل إن شاء الله « قال مجاهد إن الوحي تأخر عنه اثنتي عشرة ليلة »[1] ، وقيل غير ذلك حتى كثر القيل والقال بين الناس وقال قائل قريش وعدنا محمد غداً وقد أصبحنا لا يخبرنا بشيء واشتد الحزن على الرسول ﷺ بسبب ذلك . .

حتى إذا تهيأت نفوس الناس وتوترت أعصابهم والتفتت أنظارهم لنتيجة هذا الحدث العظيم الذي يعتبر من أهم الأدلة والبراهين على صدق الرسول ﷺ أو كذبه وحينما جاء الوقت المناسب للجواب على هذه الأسئلة لتقرير حقيقة نبوة محمد ﷺ وأنه مرسل من عند الله نزل الوحي من الله يقول بشأن الفتية « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً[2] . . « ونزل فيمن بلغ الشرق والغرب » ويسألونك عن ذي القرنين[3] « ونزل في الروح » ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي[4] « الاسراء / ٨٥ ـ فأجاب عن اثنين من الأسئلة ولم يجب عن واحد الأمر الذي جعل القرشيين وغيرهم يوقنون بصدق دعوى الرسول ﷺ بأنه مرسل من الله وأنه صادق أمين كما عهدوه . .

وهكذا كان القرآن الكريم يجيب عن كل سؤال يوجه إلى الرسول ﷺ ، سواء كان هذا السؤال من المؤمنين أو الكافرين أو كان لغرض التثبت والتأكد ـ أم للإسترشاد والمعرفة ، فعندما قال المشركون « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق[5] ، فأجابهم الله بقوله « وماأرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق[6] . .

(١) تفسير البغوي بهامش الخازن ـ البغوى ـ جـ ٤ ـ ط ٢ ـ ص ١٨١ .

(٢) الكهف / ٩ ـ ٢٠ .

(٣) الكهف / ٨٣ ـ ٩٨ .

(٤) المرجع السابق ـ ص ١٨١ .

(٥) الفرقان / ٧٠

(٦) الفرقان / ٢٠

وعندما سأل بعض الصحابة الرسول ﷺ عن الأهلة فأجابهم الله تعالى بقوله ﴿ **يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج** . . . ﴾ البقر : ١٨٩ . .

وعندما سألوه عن الخمر والميسر فأجابهم بقوله ﴿ **يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس** . . . ﴾ البقرة : ٢١٩ .

٣ - رفع معنوية الرسول ﷺ من وقت لآخر بتبشيره بالنصر على الاعداء وحمايته .

ومن تبشير الرسول ﷺ بالحماية لرفع معنويته قوله تعالى : ﴿ **يأيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين**[١] .

« عن ابن عباس قال : « سئل رسول الله ﷺ أى آية من السماء أشد عليك ؟ » فقال : كنت بمنى أيام الموسم واجتمع مشركو العرب وأفناء الناس فنزل عليّ جبريل فقال : « يأيها الرسول بلّغ ماأنزل إليك . . .[٢] » وسبب نزول هذه الآية يشعر بخطورة الموقف بالنسبة للرسول ﷺ في ذلك الوقت إذا قام بتبليغ الدعوة إلى توحيد الله بالعبادة وترك عبادة الأصنام مع أن هذا الموقف الذي اجتمعت فيه جميع القبائل العربية يعتبر موقفاً إعلامياً عظيماً وفرصة لاتعوض لتبليغ هذه الدعوة وإعلام الناس بها وخوفاً من فواتها جاء جبريل عليه السلام في الوقت المناسب بأمر من الله للرسول ﷺ بتبليغ رسالته بدون خوف أو فزع لأنه معه وعاصمه من الناس : فقام الرسول ﷺ من فوره بتنفيذ أمر ربه إيماناً منه بوعد ربه ودعا الناس إلى التوحيد واستمر على ذلك بلا خوف ولا فزع في كل الأوقات والأماكن حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى . .

والمتتبع لسيرة الرسول ﷺ سيجد أن الله تبارك وتعالى صدق وعده ونصر عبده ﷺ فعصمه من كيد الكائدين في مكة والمدينة وفي كل مكان طيلة حياته في أحلك الظروف والمواطن حتى قام بواجبه فأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده في أمان واستقرار واطمئنان لحماية الله ورعايته .

« من ذلك مارواه مسلم في صحيحه عن جابر قال : كنا إذا أتينا في سفرنا على شجرة ظليلة تركناها للرسول ﷺ فلما كان بذات الرقاع نزل نبي الله تحت شجرة وعلّق سيفه فيها

---

(١) المائدة/٦٧

(٢) التفسير الواضح - محمد محمود حجازي - جـ ٦ - ط ٧ مطبعة الإستقلال الكبرى .

وجـاء رجل من المشركين فأخذ السيف فاخترطه ، وقال للنبي ﷺ أتخافني ؟ قال : لا ، قال فمن يمنعك مني ؟ قال : الله يمنعني منك ، ضع السيف فوضعه . . الخ »[1].

٤ ـ فضح أعداء هذا الدين من مشركين ومنافقين وأهل كتاب :-

فقـد فضـح الله المشركـين في قوله تعالى : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾ [2] . .

فهذه الآية نزلت في زعماء قريش عندما اجتمعوا في الليل بدار الندوة للمشاورة في أمر النبي ﷺ فقال بعضهم أثبتوه بالوثاق وقال بعضهم بل ، أخرجوه ، وأشار أبوجهل عليهم بأن يأخذوا من كل قبيلة من قبائل قريش غلاماً ويعطوا كل واحد منهم سيفاً ثم يضربونه ضربة رجل واحد ، فإذا قتلوه تفرّق دمه في القبائل وتفرّقوا على ذلك ، فأطلع الله نبيه ﷺ بما داربين المؤتمرين وما استقر عليه أمرهم من قتله فخرج تلك الليلة إلى الغار وبات على بن أبي طالب في فراشه ورد الله كيدهم في نحورهم[3] . .

وأمـا المنافقون فقد كانوا أشد خطراً على الإسلام من الأعداء المكشوفين وذلك بسبب تظاهـرهم بالإسـلام واطّـلاعهم على أسرار المسلمـين وأحـوالهم فينقلونها إلى الأعـداء ويقـومـون بإطـلاق الأراجيف وإثـارة القلاقل والشائعات بين الناس هذا بالإضافة إلى نقض العهود وإيذاء الرسول ﷺ ، فكان القرآن ينزل باستمرار يكشف أسرارهم وخبثهم وإذا قرأت سورة التـوبة من قوله تعالى : ﴿ **لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً** . . ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ **وإن لم يعطوا منها إذاهم يسخطون** ﴾ التوبة : ٤٢ـ٥٨ . .

تجد المنافقين قوماً اجتمعت فيهم كل الصفات الذميمة ، فهم يلهثون خلف المصالح الـدنيوية ويمـوتون شوقاً لها ولكن بشرط أن تكون خالية من المشقة وارتكاب الأخطار في سبيلها وأما إذا كان دونها المتاعب وارتكاب الأخطار ـ فإنهم يكونون أبعد الناس عنها . .

إنّهم ناس لا همَّ لهم سوى السعي في الفتنة والشر والوقيعة بين المسلمين لتفريق جمعهم وكسر شوكتهم . .

إنّهم قوم تحترق قلوبهم هما وغـما عنـدمـا يصيب المسلمين نصر من الله على الكافرين

---

(١) النبأ العظيم ـ محمد عبدالله درّاز ـ ص ٤٦ ـ ط ٢ ـ دار العلم (الكويت) .

(٢) الأنفال/ ٣٠

(٣) انظر سبب النزول في فتح القدير ـ الشّوكاني ـ جـ ٢ ـ ص ٣٠٤ ـ مطبعة مصطفى الحلبي ـ ط ٢ . .

وتطير قلوبهم فرحاً وسروراً عندما تنزل بالمسلمين نازلة ويحمدون الله على عدم مشاركتهم فيها . .

إنّهم قوم يظهـرون الإيمان ويحلفـون على ذلـك وهـم في الحقيقة كافرون ولكنهم جبناء خائفون من المسلمين . .

إنّهم ناس لايتردّدون في النيل من أعراض المسلمين والإنتقاص منهم في كل مناسبة تمكّنهم من ذلك حتى إنّهم عابوا الرسول ﷺ في تفريقه للصدقات ورموه بعدم العدل والإنصاف فيها[1] . .

وآيات التوبة هذه فضحت المنافقين وجعلتهم مثلاً لسوء الطالع والأخلاق والنذالة والدس والوقيعة في الأولين والآخرين . . مما جعلهم في قلق مستمر وخوف شديد من كشفهم ونزول القرآن بشأنهم قال تعالى : ﴿ **يحذر المنافقون أن تنزّل عليهم سورة تنبّئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ماتحذرون**[2] ﴾ . .

قال مجاهـد « يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى الله أن لايفشى علينا سرّنا هذا . . ولهذا قال قتادة : كانت تسمى هذه السورة الفاضحة لأنها فضحت المنافقين[3] . .

وأمـا أهـل الكتاب فكان القرآن أيضاً في متابعة تامّة لمكرهم ومايقومون به من دسائس بين المسلمين وفساد في الأرض فكان ينزل من وقت لآخر يفضحهم ويبين شرورهم ويحذّر المسلمين منهم ومن طاعتهم . .

ومن دسائس اليهود التي فضحها القرآن الكريم ماقام به « شاس بن قيس » الذي كان من أشد اليهود تعصباً وحسداً للمسلمين عندما مرّ على نفر من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من صلاح ذات بينهم على الإسلام فخاف على مصير قومه من اليهود بالمدينة من اتحادهم فعمل على الوقيعة بينهم بخبثه ومكـره وكاد أن ينجح في ذلك ويقع القتال بين الطرفين لولا أن الرسول ﷺ علم بأمرهم فخرج إليهم وذكّرهم بالله وهدايته لهم بالإسلام حتى عرف القوم أن هذا من

---

(١) انظر كتاب « تفسير كلام المنان » عبدالرحمن السعدي - جـ ٣ - ص ٢٤٠ - ٢٥١ ، المؤسسة السعدية بالرياض .

(٢) التوبة/٦٤ .

(٣) مختصر تفسير بن كثير - محمد على الصابوني - مجلد ٢ - ص ١٥٢ - دار العلم - ط ١ .

كيد أعدائهم[1] » ولخطورة هذه الحادثة التي كاد اليهود أن ينجحوا فيها والتي لو نجحوا فيها لكانت وبالاً على المسلمين أنزل الله فيها هذه الآيات :ـ

﴿ قل يٰأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ماتعملون . . إلى قوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ﴾[2] . .

وهذه الآيات فيها توبيخ لأهل الكتاب على أفعالهم الذميمة وفسادهم في الأرض بالتفريق بين المسلمين وفيها أيضاً تحذير للمسلمين من طاعتهم لأن في ذلك تفريقاً للصفوف وارتداداً لهم عن الإيمان الذي هو سر قوتهم ومنعتهم . .

وكان هذا التحذير قد جاء في الوقت المناسب فالمثل من الواقع أمامهم فالفتنة كادت أن تقع بسبب إحدى مكائدهم الدنيئة لولا أن تداركهم الله بنعمته وأبعد الزيغ عن قلوبهم وأعادهم إلى ماكانوا عليه من وحدة واتحاد . .

٥ ـ تنبيه الرسول ﷺ وأصحابه من وقت لآخر على أخطائهم من ذلك ماوقع للرسول ﷺ مع أسرى المشركين يوم بدر . .

فمن المعروف أن مشركي مكة لم يدخروا وسعاً في القضاء على هذا الدين وأهله وفي يوم بدر مكّن الله فيه المسلمين من الكافرين فقتلوا منهم من قتل وأسرْوا منهم من أسر وكان رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في الأسرى أن يقتلوا ولكن الرسول ﷺ أخذ برأى آخر لبعض الصحابة لأن فيه ليناً ورحمة بهم وهو الإبقاء عليهم وأخذ الفدية منهم وتقوية المسلمين بها[3] » فأنزل الله تعالى في ، ذلك آيات المعاتبة بسبب الإبقاء عليهم لأنهم قوم حاربوا الله ورسوله وحاولوا إطفاء نوره بشتى الأساليب والطرق وأنه كان ينبغي عليه قتلهم واستئصالهم لأن في ذلك إضعافاً لأعداء الله ورسوله . .

قال تعالى : **﴿ ماكان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض . . . تريدون عرض الدّنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ﴾**[4]

وفي هذه الآية إعلام للقرشيين وكل أعداء هذا الدين بخطورة الدخول في حرب

---

(١) انظر تفسير « فتح القدير ـ ص ٢٦٨ ـ جـ ١ .
(٢) آل عمران/٩٨ ـ ١٠١ .
(٣) أنظر تفسير « كلام المنان » ـ ص ١٩٠ ـ جـ ٣
(٤) الأنفال/٦٧

مع المسلمين وأن الفدية لن تنقذهم من الموت إذا وقعوا في أسرهم مما يجعلهم يتردّدون في حربهم وتتفرق كلمتهم وتنتشر روح الهزيمة في صفوفهم . . .

وفي القرآن الكريم عدد من الآيات التي تعاتب الرسول ﷺ على بعض المواقف[1] . .

ولقد كان القرآن ينزل أيضاً لينبه المسلمين إلى أخطائهم . . ففي يوم أحد وضع الرسول ﷺ خطة حربية لملاقاة المشركين من أهل مكة . . فعندما نزل الشِّعب من أحد في عدوة الوادي جعل ظهره إلى أحد . . وجعل على الرماة عبدالله بن جبير ثم أقامهم في موضع وقال لهم : إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا هزمنا القوم ووطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم[2] . . ثم التقى الجمعان وانهزم المشركون في الجولة الأولى . . وكان للرماة أثر عظيم في هزيمتهم ولكنهم عندما رأوا الغنائم مكشوفة أرادوا أن يشاركوا إخوانهم في الأخذ منها فاختلفوا في النزول من المكان الذي أمرهم الرسول ﷺ بالثبات فيه حتى يرسل لهم وكانت النتيجة أن خالف بعضهم أمر رسول الله ﷺ وثبت بعضهم وهم دون العشرة فكرّ المشركون عليهم وقتلوا عبدالله بن جبير رضى الله عنه ودارت الدائرة على المسلمين وكان يوماً عصيباً عليهم حيث قتل وأسر منهم عدد كبير .

فلما رجعوا إلى المدينة قال بعض المؤمنين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر[3] ؟ وبهذا السؤال الذي يعبّر عن مايجول بخاطر المؤمنين في تلك الساعة يكون الوقت قد حان لتلقين المؤمنين درساً لايمكن الإستغناء عنه في صراعهم الطويل مع الأعداء سواء في ذلك الحاضر والمستقبل وهو أن الله مؤيدهم وناصرهم على الأعداء مهما كان ضعفهم وقوة أعدائهم مالم يخالفوا أمره أو أمر رسوله ﷺ . .

وأما إذا لم يتحقق هذا الشرط وقاموا بمخالفة أمره أو أمر نبيه ﷺ مهما كان السبب فإنه لن ينصرهم على الأعداء بل سيبتليهم بأن يسلط الأعداء عليهم . . قال تعالى :

(١) أنظر التفاسير في قوله تعالى « عفا الله عنك لم أذنت لهم . . . » التوبة/٤٣ .
انظر التفاسير في قوله تعالى « وتخفي في نفسك ماالله مبديه وتخشى الناس . . » الأحزاب/٣٧
انظر التفاسير في قوله تعالى « يأيها النّبي لم تحرم ماأحلّ .
« الله لك تبتغي مرضاة أزواجك . . » التحريم/١ .

(٢) مختصر سيرة الرسول ﷺ - الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب - ص ٢٤٤ - المطبعة السلفية .

(٣) أنظر « الكشاف » الزمخشري - جـ ١ - ص ٤٧٠ - مصطفى البابي الحلبي . .

﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ماأراكم ماتحبون منكم من يريد الدّنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ﴾[1] . .

والحقيقة أن التنبيه المجرد على أضرار مخالفة أوامر الله ورسوله ومايمكن أن تؤدى إليه من مصائب وويلات وخصوصاً في أثناء جهاد الأعداء لايمكن للمؤمنين تصوره لولا ماوقع لهم بسبب ذلك في غزوة أحد وكأن الله أراد ما وقع للمؤمنين يوم أحد لغرض تلقينهم هذا الدرس بالذات لأنه لايمكن أن يأتي بالنتيجة المرجوة منه إلاّ بتوضيحه بهذا الحدث العظيم الذي لايمكن للمسلمين نسيانه لعظيم ماأصابهم فيه . .

وأمثلة تنبيه المسلمين على أخطائهم كثيرة في القرآن الكريم[2] . . ومن المعلوم أن هذه الأخطاء لم تقع في وقت واحد فكان نزول القرآن مفرقاً يساعد على ذلك . .

٦ ـ موالاة التّنديد بالكفار من وقت لآخر وبمواقفهم المعادية للإسلام . . ومن الأمثلة على هذا : أن رسول الله ﷺ عندما نزلت « وأنذر عشيرتك الأقربين » صعد الصفا ودعا الناس للإجتماع به والإستماع إليه فلما اجتمعوا دعاهم إلى الإيمان بالله ورسوله وترك عبادة الأصنام فقال أبولهب : تباً لك إنّما جمعتنا لهذا ؟ ثم قام فأنزل الله فيه **﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾**[3] « رداً على موقفه من رسول الله ﷺ وردعاً له ولأمثاله عن أذى رسول الله ﷺ . .

وهكذا كل ماحاول أحد المشركين النّيل من الرسول ﷺ أو الطعن فيما جاء به من هدى نزلت آية من القرآن تلائم ذلك الموقف وتوبخه وتندّد به ، فعندما حاول الوليد بن المغيرة أن يقول في القرآن شيئاً ينفّر الناس منه ويصدّهم عن سماعه أو الإيمان بما جاء به ولم يجد مايقوله فيه سوى أنه سحر يؤثره الرسول ﷺ عن غيره نزل القرآن يوبخه ويتوعّده ويرسم له صورة تشوهه وتزرى به وتبعد الناس عنه وعن صفاته كما كان يريد هو أن يفعل في القرآن الكريم قال تعالى : **﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له**

(١) آل عمران/١٥٢ .

(٢) أنظر التفاسير في قوله تعالى « لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين . . » التوبة/ ٢٥
أنظر التفاسير في قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى . . » الممتحنة/١

(٣) فتح القدير ـ جـ ٥ ـ ص ٥١٣ ـ بتصرف

مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيداً سأرهقه صعودا إنه فكر وقدّر فقتل كيف قدّر ثم قتل كيف قدّر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر . .

فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلاَّ قول البشر سأصليه سقر[١].

ونستطيع أن نجعل هذا إعلاماً مضاداً . . وهذا يستدعي متابعة الأحداث ونزول الآيات حسب ماينـاسبهـا من هذه الأحـداث « فلو نزلت هذه التقـريعات وهذه التنديدات دفعة واحدة لواجهوها أول مرة وتألموا لها ثم ألفوها واستمروا على العناد والكفر والأذى للرسول ﷺ ودعوته والمؤمنين [٢] .

وأعتقـد أن ماقـدمته من أمثلة يكفي لإيضاح أهمية نزول القرآن منجماً حسب الأحداث وأثر ذلك على النفوس في جعلها تعي كل ماينزل من أخبار ومعالم »[٣] لأن هذه الأمور إذا ارتبطت بحدث معين يجعل من المستحيل على النفس نسيانها . . هذا بالإضافة إلى أن التنجيم يحقق أمراً آخر مهما وهو إمكانية مراعاة التوقيت المناسب ولأهمية هذه النقطة بالذات رأيت أن من المناسب تخصيصها بما يوضحها فيما يلي :

مراعاة التوقيت المناسب :

ومن الأهمية بمكـان أن نشـير هنا إلى أن القرآن مع أنه كان ينزل منجماً حسب الأحداث إلا أنَّه كان أيضاً يراعي التوقيت المناسب فنراه في بعض الأحيان يسبق الأحداث وفي بعض الأوقـات ينـزل إبَّانها وأحياناً يتأخر عنها . . لأن الإعلام بالحقائق في الوقت المناسب يكون له أثر عميق في التأثير والإقناع وعدم النسيان . .

فمن نزوله قبل الحدث قوله تعالى : ﴿ **سيهزم الجمع ويولُّون الدّبر** ﴾[٤] وذلك عندما كان المسلمون في مكة يلاقون كثيراً من الإضطهاد والتعذيب من قبل المشركين لصدِّهم عن الدخول في الإسلام وهم في غاية الضعف لايستطيعون كف الأذى عن أنفسهم وذويهم مما جعلهم يتألمون لحالهم فنزلت هذه الآيات لترفع المعنويات وتشد العزائم وتثبت القلوب

(١) سورة المدّثر : الآيات : « ١١ ـ ٢٦ » .
(٢) لمحات في علوم القرآن ـ محمد الصبَّاغ ـ ص ٣٥ ـ المكتبة الإسلامية .
(٣) المقصود بالمعالم هنا الأوامر والنَّواهي وغيرهما مما لايدخل في إطار الأخبار .
(٤) سورة القمر : الآية « ٤٥ » .

على الإيمان لكي لايهلك المؤمنون بالارتداد عن دينهم بسبب مايلاقونه من شدة وضيق فجاءت هذه الآيات ، تبشرهم بالنّصر على المشركين في وقت كانوا لايصدِّقون بل لايتخيلون أن تكون لهم قوة حتى يقاتلوا بها قريشاً ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما نزلت هذه الآية يتساءل أى جمع هذا ؟

« فلما كان يوم بدر وصدق وعد الله وانهزمت قريش رأى رسول الله ﷺ في آثارهم مصلتاً بالسيف يقول : سيهزم الجمع ويولّون الدّبر ، فعرف أنها ليوم بدر » [1] . .

ومن نزول القرآن إبّان الحدث قوله تعالى : ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير** ﴾ إلى قوله ﴿ **وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم** ﴾[2] .

نزلت هذه الآيات في خولة بنت ثَعلبة عندما ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت وكان لها منه صبية صغاراً إن تركتهم عندها جاعوا وإن ضمتهم إليه ضاعوا فذهبت إلى رسول الله ﷺ تشكو أمرها إليه وتطلب منه إخراجها من هذه المشكلة ولكن الرسول ﷺ ليس بيده حل إن لم يأته ذلك من الله فأخبرها حسب اجتهاده بأنها حرمت على زوجها ولكن المرأة يبدو أنها كانت متضررة فأخذت تراجع الرسول ﷺ وتشكو أمرها إلى الله » [3] . . فاستجاب الله لها وحل مشكلتها التي تعتبر في الحقيقة من أعقد المشاكل في المجتمع الإسلامي وكان ذلك في الوقت المناسب فالقضية لاتحتمل التأخير فالضرر قائم والمرأة تشكو وتلح في رفع الضرر عنها فأنزل الله بشأنها ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع** ﴾[4] . . .

وأما نزوله متأخراً عن الحدث فقد كان ذلك في حادثة الإفك على عائشة رضى الله عنها . . قال تعالى : ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لاتحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم** . . إلى قوله ﴿ **يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين** ﴾[5] . . .

فهذه الآيات نزلت بمناسبة الإفك على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها من قبل بعض المنافقين والصحابة رضوان الله عليهم فهى تعالج قضية تعتبر من أخطر القضايا التي يمكن

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ـ جـ ١ ـ ص ٣٦ ـ ط ٢ .
(٢) المجادلة/ ١ ـ ٤ .
(٣) تفسير البحر المحيط ـ لأبي حيان المجلد ٨ ـ ص ٢٣٢ ـ ط ٢ دار الفكر بيروت .
(٤) المجادلة/ ١ ـ ٤ .
(٥) النور/١١ ـ ١٧ .

أن يترتب عليها فساد المجتمع بما تثيره من قلاقل وأحقاد بين الناس . . لذا لم ينزل الحكم بشأنها إلا بعد شهر كامل من وقوعها حتى تتهيأ النفوس وتنتبه العقول لما سينزل بشأنها من الله تبارك وتعالى وفي خلال هذه الفترة الزمنية قام المنافقون بالإفك على عائشة وأكثروا الأراجيف في المدينة بشتى الأساليب الدعائية التي قاموا بها فكانت هذه الحادثة بمثابة بركان زلزل الناس وأثَّر على أخلاقهم واستقرارهم وألحق الضرر ببيت الرسول ﷺ وأهل بيته فأخذ المسلمون يرقبون الوحي من الله وبذلك يكون الوقت المناسب قد حان « لأن الناس قد شعروا بخطر الشائعات التي لاتقوم على أساس صحيح وأثرها في زلزلة المجتمع والحياة الأسرية[1] . . فأنزل الله تعالى هذه الآيات ترشدهم وتوجههم إلى مافيه صلاح دينهم ودنياهم في هذه القضية . .

ويعتبر هذا الأسلوب الذي عولجت به هذه القضية من أعظم أساليب التربية والتعليم التي عرفتها البشرية . . فلو أن الوحي نزل بالكشف عن الحقيقة فور حدوثها لما أمكن للناس أن يتصوروا بشاعة الشائعة . . كما أن في تأخير نزول القرآن عن هذا الحدث إعلام بصدق رسالة محمد ﷺ وصدق الوحي وأنه ينزل من عند الله وليس من عنده ، فلو كان من عنده لأتى بما ينفي عن بيته هذه التهمة من أول الأمر واستراح وأراح ، ولكنَّه لايملك من ذلك شيئاً ـ فالأوامر والنواهي والتوجيه كله من الله . .

ومن هنا نعلم أن نزول القرآن الكريم عقب الحوادث والنوازل من أهم الطرق الإعلامية لنقل وجهة النظر الإسلامية في القضايا التي تهم الناس وموقفه منها سواءاً كانت هذه القضايا سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو غير ذلك . .

ومن المعلوم والمسلَّم به أن شريعة ذلك الزمان الذي نزل فيه القرآن هي شريعة كل زمان وكل مكان لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب « فقد نزلت آيات في أسباب واتفقوا على تعديتها إلى غير أسبابها كنزول آية الظهار في أوس بن الصامت وآية اللعان في شأن هلال بن أمية . . ثم تعدى إلى غيرهما . .

قال الزمخشري في سورة الهمزة يجوز أن يكون السبب خاصاً والوعيد عاماً ليتناول كل من باشر ذلك القبح وليكون ذلك جارياً مجرى التعريض[2] . .

---

(١) من قضايا الإعلام في القرآن ـ رمضان لاوند ـ ص ٢٠٨ ـ مطابع الهدف « الكويت » .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ـ جـ ١ ـ ص ٢٩ .

وكان الصحابة يحتجّون في وقائع بعموم آيات نزلت على أسباب خاصة[1] **وعلى هذا تكون الأوامر والنواهي التي وردت في القرآن عامة لذلك الجيل ولغيره من الأجيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . .**

« وهكـذا يتضـح لنا أن القرآن الكريم . . هو المنار المضيء الذي ينير لأجيال أمتنا الطريق نحو المجد والسعادة وقيادة الدنيا إلى الخير والحق[2] كلما اهتدت بهديه في جميع شئون حياتها ، وأما إذا تركته وحاولت الإهتداء بغيره فإن مصيرها الهلاك والدّمار والذل في الدّنيا والآخرة . .

قال تعالى : **﴿ فمن اتَّبع هداى فلا يضل ولايشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾**[3] . .

والإعلام الإسلامي اليوم الذي يفترض فيه أن يكون أفضل إعلام لأعظم رسالة عرفتها البشرية نراه اليوم غائباً عن الصراع الإعلامي لا هم له سوى صرف المسلمين عن تراثهم الحقيقي وعـزلهم عن ماضيهم وتقـديم الحلول المستـوردة لكثـير من قضاياهم المصيرية المعاصرة حتى ولو كانت تلك الحلول تتناقض وتتعارض مع الهدى القرآني لذا نراه متعثر الخطوات ناقص الثمرات يقود الأمة من سيىء إلى أسوأ ، والحل الوحيد لإنقاذ هذه الأمة هو النهوض بإعلامها إلى المستوى الذي يؤهله لقيادتها وإرشادها إلى مافيه صلاح دينها ودنياها ولايمكن لها تحقيق ذلك إلا إذا تركت الإعتماد على الغير في النهوض به ومحاولة الإستفادة من الهدى الإعلامي في القرآن الكريم وطرقه في متابعة الأحداث وتحليلها للتأثير على الـرأى العـام الإسـلامي والعالمي . . فإذا فعلوا ذلك أمكنهم الدخول في الصراع الإعلامي العالمي وقيادة الإنسانية الحائرة إلى الخير والتقدم والإزدهار . .

يقول عبداللطيف حمزة « إن الرسول ﷺ انتقل إلى الرفيق الأعلى ولكن القرآن الكريم بقى بعد وفاته نبراساً لجميع المسلمين يعتمدون عليه في الهدى الإعلامي لجذب الناس إلى المثل الأعلى[4]

وأعتقد أن ما أوردته في هذا الفصل من شواهد فيه الكفاية لإثبات . . العلاقة الوثيقة

---

(١) أنظر الإتقان في علوم القرآن ـ جـ ١ ـ ص ٢٩ .

(٢) مباحث في علوم القران ـ مناع القطان ـ ص ٧٧ ـ مؤسسة الرسالة ـ ط ٤ .

(٣) طه / ١٢٣ ـ ١٢٤ .

(٤) الإعلام في صدر الإسلام ـ عبداللطيف حمزة ـ ص ١٠٦ .

بين الإعـلام القرآني بمبادئه وشرائعه وبين الأحداث التي تجري على مسرح الكون . . « ولقد سلك القرآن الكريم لتدعيم هذه المبادىء وهذه الشرائع جملة وافرة من الأساليب الإعلامية فما من مبدإ أو تكليف إلا وقد سيق معه مايثبته ويؤكده ويلطّف منه إن كان خيراً وينفّر منه إن كان غير ذلك بأسلوب من أساليبه المتعددة التي تتميز دائماً بالجاذبية والجمال[1] .

وسنتكلم عن بعض هذه الأساليب في الفصل التالي إن شاء الله . .

(١) مجلة كلية أصول الدين ـ ص ١١ ـ العدد الثاني (٩٩/١٤٠٠ هـ).

الفصل الثاني

الأسلوب الاعلامي في القرآن الكريم

« في عالم الأفكار والعقائد يسعى صاحب كل مذهب وفكر إلى ظهور مذهبه وأفكاره ـ ويقوم ظهور الإعلام الإسلامي على حقيقة كلّية أساسية نزل بها قرآن كريم محكم[1] . .

قال تعالى : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾[2] ولكي يظهر على الدين كله فلابد من استخدام جميع الأساليب الإعلامية الممكنة القولى منها والعملي ـ ولابد من بذل الجهود المتواصلة ليل نهار في كل كلمة وكل حركة وعمل . .

وهذا هو الطريق الذي سار عليه الرسول ﷺ في تبليغ رسالة الله إلى الناس . . فقد ظلّ طيلة سنواتَ الدعوة يعمل بأقصى ما وهبه الله من جهد ونشاط من أجل إظهار دين الله في الأرض معتمداً في عمله الإعلامي هذا على مايرشده القرآن الكريم إليه ، من أساليب إعلامية قولية وعملية مما جعله يتمكن خلال هذه الفترة الوجيزة أن يحقق مالا يمكن تحقيقه في مدة طويلة من الزمن . .

والباحث في هذا الفصل يحاول تلمس دستور هذا الأسلوب ، وقواعده الأساسية وبعض صور من أساليبه من خلال القرآن الكريم لعلّه بهذا يساهم في الجهد الذي يبذله بعض رجال الاعلام المسلمين للنهوض بالإعلام الإسلامي ووضعه في المستوى الذي يتلاءم مع رسالته الإعلامية السامية والتي يعتبر الغرض الأساسي منها سعادة البشرية في الدنيا والآخرة . .

الدستور الإعلامي في القرآن :

ومما يلفت النظر أن في القران الكريم دستوراً وضعه الله سبحانه وتعالى للعمل الإعلامي أمر رسوله الكريم وأمته بالعمل به في إعلام البشر بهذه الرسالة وتوجيههم إليها . .

---

(١) مجلة المسلم المعاصر ـ العدد العاشر ـ ١٩٧٧ م ـ ص ٦٣ .

(٢) التوبة/٣٣ .

قال تعالى : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفى خسر إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾[1] . .

أولاً : العلم والإيمان :

إن الله سبحانه وتعالى في هذه السورة قبل أن يأمرنا بتبليغ هذه الدعوة وتصديرها إلى الناس ـ يرشدنا إلى البداية الصحيحة لهذا العمل العظيم لأن النتيجة مرتبطة بها ، فلابد من العلم بما نريد أن ندعوا الناس إليه والإيمان به وبمقدار علمنا وإيماننا بما ندعوا الناس إليه تكون النتيجة سلباً أو إيجاباً . .

لأن رجل الإعلام إذا كان لا علم له ولا إيمان له بمبادئه وأهدافه فإن ضرره سيكون أكثر من نفعه وإفساده أكثر من إصلاحه . . وقد يدعوا إلى مافيه الضرر على نفسه وأمته وسيتسم إعلامه بالتناقض والغموض مما يجعله غير جدير بثقة الناس واحترامهم ومن ثَمَّ يصبح عديم الجدوى والفائدة . .

فالعلم بالمبادىء والإيمان بها ضرورة إعلامية بالنسبة للرجل الإعلامي المسلم فلابد من العلم بالله والإيمان به وبأوامره ونواهيه ، ولابد له من أن يكون على يقين تام بأن ماهداه الله إليه من الأمور للإيمان والعمل بها والدعوة إليها حق خالص وماعداها باطل وضلال قطعاً . .

ويتيقن عن علم وإيمان بأن أى تحول عن هذه المبادىء أو ميل إلى غيرها يعني اتباع الأهواء الباطلة التي فيها الضلال والضياع الأبدي . . لأن هذا المبدأ هو الأصل الذي ينبثق عنه كل فرع من فروع العمل الإعلامي وتتعلق به كل النتائج . .

يقول سيد قطب رحمه الله « إن الإيمان هو المنهج الذي يضم شتات الأعمال ويردّها إلى نظام تتناسق معه وتتعاون . . في حركة واحدة لها دافع معلوم ولها هدف مرسوم »[2] ومن ثَمَّ يربط القرآن الكريم الخسران والفشل بكل عمل لايرجع إلى هذا الأصل . . قال تعالى : ﴿ **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب** ﴾[3] . .

---

(١) العصر/١ ـ ٣

(٢) في ظلال القران ـ سيد قطب ـ ص ٣٩٦٦ ـ دار الشروق بيروت .

(٣) النور/٣٩ .

ثانياً : العمل الصالح :

والعمل الصالح هو الثمرة الطيبة للإيمان والحركة الذّاتية التي تبدأ في ذات اللحظة التي تستقر فيها حقيقة الإيمان في القلب[1] . . فتندفع النفس المؤمنة إلى الخير والعمل الصالح لأن النفس الطيبة لا تصدر إلّا طيباً . .

ورجل الإعلام لا يستطيع أن يقنع الناس ويوجههم إلى مبادئه وأفكاره إلّا إذا كان عاملاً بمقتضى ماتمليه عليه مبادؤه ومعتقداته لأن فاقد الشيء لايعطيه ، وواهب الكمال أحق به . .

ومن هنا نعلم أن العلم بالمبادىء والإيمان بها لا يؤهلان رجل الإعلام المسلم لتبليغ رسالته الإعلامية بل لا بد له من العمل بمقتضى علمه وإيمانه بتلك المبادىء التي تمليها عليه عقيدته فلا يأتمر إلّا بأمرها ولا ينتهي إلّا بنهيها في جميع الأمور الظاهرة والباطنة المتعلقة بحقوق الله وحقوق العباد الواجبة والمستحبة فيقف في ذلك كله عندما ترسمه له عقيدته من أهداف وغايات لا يحيد عنها يمنة ولا يسرة مهما كانت الظروف والأحوال . .

ثالثاً : تبليغ الرسالة الإعلامية :

وبتحقيق العلم والإيمان والعمل الصالح يكون الإنسان قد كوّن نفسه وصار عنده استعداد لإيصال هذه الرسالة إلى غيره وإقناع الناس بها . .

عندئذ يكون من الواجب عليه القيام بتبليغ الرسالة الإعلامية وأداء العمل الذي كتبه الله عليه وأخذ عليه الميثاق في بيانه وعدم كتمانه . . وهذا الواجب أشارت إليه سورة « العصر » في قوله تعالى : ﴿ **وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾[2] ونصت عليه آيات أخرى كثيرة من كتاب الله منها على سبيل المثال : قوله تعالى : ﴿ **إن الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيّناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاّعنون الاّ الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرّحيم** ﴾[3] . .

وقوله تعالى : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتو الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا فبئس مايشترون** ﴾[4] . .

---

(١) المرجع السابق ـ ص ٣٩٦٦ .

(٢) العصر/٣ .

(٣) البقرة/١٥٩ ، ١٦٠ .

(٤) ال عمران/١٨٧ .

فهاتان الآيتان تنصّان على وجوب القيام بتبليغ رسالة الإسلام ومبادئه السامية وتنذران بسوء العاقبة لمن قعد عن القيام بهذا الواجب الذي من أجله بعث الله الرّسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجّة بعد الرّسل . .

وقد أشاد القرآن الحكيم بكل من قام بهذا الواجب وأرشد الناس إلى كل مافيه سعادتهم وعزتهم في دار الدنيا ودار الآخرة . . قال تعالى : ﴿ **ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين** ﴾[1] . . وقال تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾[2] . .

رابعاً : اتّباع قواعد الأسلوب الإعلامي في القرآن :

ولم يترك القرآن الكريم المؤمنين الذين يريدون تبليغ هذه الدعوة على غير هدى في اختيار الأسلوب الإعلامي الذي ينتهجونه لإقناع الناس بهذه الرسالة ، بل وضع لهم أسساً وقواعد عظيمة لهذا الأسلوب تضمن لهم الفوز والنجاح وتحقق لهم الأهداف وتجنبهم الخسارة والفشل . .

وهذا الأسلوب تشير إليه بقية السورة في قوله تعالى : ﴿ **وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾[3] حيث أنه لايمكن التواصي بالحق والتواصي بالصبر إلّا بأسلوب من القول أو العمل كما بيّنت قواعد هذا الأسلوب وأسسه آيات أخرى في أواخر سورة النحل . . قال تعالى : ﴿ **أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولإن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك إلّا بالله ولاتحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون** ﴾[4] والخطاب الموجه إلى الرسول ﷺ موجه الى أمته . .

فهذه الآيات تضع قواعد وأسس واضحة للأسلوب الإعلامي القولي منه والعملي التي لابد للمسلمين أن يلتزموا بها عند قيامهم بتبليغ هذه الرسالة إلى الناس إذا أرادوا تحقيق أهدافهم وغاياتهم . .

---

(١) فصّلت/٣٣ .
(٢) ال عمران/١٠٤
(٣) العصر/٣ .
(٤) النّحل/١٢٥ ـ ١٢٧

١ ـ **الحكمة :**

هي حسن اختيار الأسلوب الإعـلامي المناسب للمخاطبين وتنويعه حسب الظرف والزمان والتدرج في إيصال الرسالة الإعلامية حتى لايشق على المخاطبين استيعابها . .

٢ ـ **الموعظة الحسنة :**

هي التـوجيهـات التي يقدمها صاحب الرسالة للناس عن طريق الأوامر والنواهي المقرونة بالـترغيب والـترهيب بقصـد نصحهم وإرشـادهم معتمـداً على إيقـاظ شعورهم ومحاولة إثارة انفعالاتهم نحو مايدعوا له بعد اطمئنانهم له نفسياً واقترابهم منه[١] . .

٣ ـ **الجدال بالتي هي أحسن :**

فإن كان المدعو يرى أن ماهو عليه حق أو كان داعية إلى الباطل يجادل باللين واللطف بلا تحامل عليه ولاتقبيح له حتى يطمئن إلى صاحب الرسالة ويشعر أن هدفه هو الوصول إلى الحقيقة لاغير . .

وهاتان القاعدتان أعني (الموعظة الحسنة والجدال الحسن) يُتّبعان في حالة ما إذا كان الأسلوب الإعـلامي قولاً . . وأمـا إذا وقع الإعتداء فإن الموقف يتغير « فالإعتداء عمل مادي يدفع بمثله محافظة على غلبة الحق ودفعاً لغلبة الباطل . .

٤ ـ **الجهاد :**

قال تعالى : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به** ﴾[٢] فلابد من الدفاع عن هذه العقيدة وعن حريتها وحرية القائمين على تبليغها « لكي لاتهون في نفوس الناس فالدعوة المهينة لايعتنقها أحد »[٣] . .

٥ ـ **القدوة الحسنة :**

« الأسلوب السلبي الإيجابي » وأشار إلى هذا الأسلوب بقوله ﴿ **ولإن صبرتم لهو خير**

---

(١) مذكرات في الدعوة الإسلامية ـ عبدالغفار محمد عزيز ـ ص ٥ ـ دار المعارف السعودية للطباعة والنشر .
(٢) النحل/١٢٦
(٣) في ظلال القرآن ـ المجلد ٤ ص ٢٢٠٢

للصابرين ﴾[1] فالعفو عند المقدرة في بعض الأحيان يكون أعمق أثراً وأكثر فائدة من الإنتقام .

ففي هذه الحالة ينبغي على المسلمين ضبط النفس واختيار هذا الأسلوب . . وأما إذا كان العفو عند المقدرة فيه ضرر على هذه الدعوة وأهلها فإن الأسلوب الإنتقامي والضرب بيد من حديد على يد الظالم يصبح حتمياً . . لأن فيه دفع الضرر وإعلاماً لمن خلفهم ولكل من سولت له نفسه الإضرار بهذه الدعوة وأهلها أن هذا هو المصير الذي ينتظره والجدير بالذكر أن هاتان القاعدتان أعنى (الجهاد والقدوة الحسنة يمثلان الأسلوب الإعلامي العملي في الإسلام . .

. . وبعد أن أرشدنا القرآن الكريم إلى القواعد الأساسية للأسلوب الإعلامي الناجح الذي نتهجه في نشر هذه الدعوة الخالدة . . أشار إشارة واضحة إلى ماسيلاقيه الرسول ﷺ والمسلمون من أساليب إعلامية مضادة شيطانية للقضاء على هذه الرسالة والنيل منها فحثهم على الصّبر في هذا الصراع الإعلامي المرير بين الحق والباطل وأن العاقبة ستكون له وللمؤمنين والخزي والفشل لأعداء هذا الدين قال تعالى : **﴿ ولا تك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾**[2] . .

والحقيقة التي تقررها آيات سورة النحل هى أنه على امتداد الزمان في جميع الأوقات ليس هناك إلّا أسلوب إعلامي واحد ناجح هو ذلك الأسلوب الذي رسم القرآن حدوده ووضع قواعده وأسسه وكل ماوراء ذلك من أساليب إعلامية فمصيرها الفشل . .

ومن الملاحظ أن القرآن الكريم قد انتهج هذا الدستور مع الرسول ﷺ . .

فأول مانزل من القرآن الكريم هو إعلام الرسول ﷺ بحقيقة « قاعدة التصور الإيماني العريض » قال تعالى : **﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم ﴾**[3] . .

« فالله هو الذي خلق وهو الذي علّم فمنه البدء والنشأة ومنه التعليم والمعرفة . . والإنسان يتعلم مايتعلم ويعلّم مايعلم . . فمصدر هذا كله هو الله الذي خلق والذي علّم »[4].

---

(١) النحل/١٢٦ .
(٢) النحل/١٢٨ .
(٣) سورة العلق : الآيات « ١ ـ ٥ » .
(٤) في ظلال القرآن ـ المجلد ٦ ـ ص ٣٩٣٩

وكانت هذه هي البداية مع الرسول ﷺ فأول مانزل عليه من القرآن كان الهدف منه إعلام الرسول ﷺ بقاعدة التصور الإيماني والايمان بها . .

فلما علم هذه القاعدة وآمن بها أمره الله تعالى « بالعبادات الفاضلة والقاصرة »[1] عليه ﷺ ، ومن أهمها قراءة القرآن وصلاة الليل قال تعالى : ﴿ **يأيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا** ﴾[2] . .

ولما علم الرسول ﷺ حقيقة قاعدة « التصور الإيماني » وعمل بمقتضاها ، صار عنده استعداد ذاتي لتصدير هذه الرسالة إلى الناس ، فعندها أمره الله تعالى « بإعلان هذه الدعوة والصدع بها »[3] . .

قال تعالى : ﴿ **يأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر** ﴾[4] . .

في ضوء هذا التمهيد أستطيع محاولة القاء الضوء على بعض الأساليب الإعلامية من خلال القرآن الكريم . .

بعض الأساليب الإعلامية في القرآن :

ان الدارس لأساليب القرآن العظيم يأخذه العجب من كثرتها وقوتها وقدرتها على حمل الأفكار والأهداف بوضوح إلى عقول الناس وقلوبهم وإقناعهم بها . . ونحن فيما يلي سنحاول إبراز أنماط من هذه الأساليب بنوعيها القولي والعملي لمعرفة ما إذا كان من الممكن الإستفادة منها في الأسلوب الإعلامي المعاصر أم لا ؟

اولاً : صور من الأساليب الإعلامية القولية :

١ ـ الهدم والبناء :

قال تعالى : ﴿ **يأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر** ﴾[5] هذه الآية ترشد الرسول ﷺ إلى اتباع أسلوب إعلامي حكيم وهو أسلوب « الهدم والبناء » هدم ماكان موجوداً من العقائد الباطلة وعبادة الأصنام والأوثان ووضع أسس قوية للرسالة الجديدة رسالة

(١) تفسير كلام المنان ـ جـ ٧ ـ ص ٥٠٨

(٢) سورة المزمل : الآيات : « ١ ـ ٤ » .

(٣) تفسير كلام المنان ـ جـ ٧ ـ ص ٥٠٨ .

(٤) المدثر/ ١ ـ ٣

(٥) المدثر/ ١ ـ ٣

التوحيد « وهذا هو معنى لا إله إلا الله محمد الرسول الله » فقام الرسول ﷺ بتنفيذ هذا الأسلوب .

فأول مابدأ به أهله وعشيرته وذلك تنفيذاً لأمر الله تعالى حيث يقول ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾[1] « فدعا زوجته خديجة بنت خويلد إلى هذا الدين وترك عبادة الأصنام والأوثان وصرف جميع العبادات لله وحده لاشريك له فآمنت به ثم دعا على بن أبي طالب وأبا بكر الصديق وزيدا رضى الله عنهم وغيرهم كثير ثم صعد إلى الصفا فهتف ياصباحاه فاجتمعوا إليه فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا ماجربنا عليك كذباً قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبولهب : تباً لك إنّما جمعتنا لهذا ؟ ثم قام فنزلت هذه السورة ﴿ **تبت يدا أبي لهب وتبّ** ﴾[2] . .

« فقريش التي استحكم الشرك في قلوبهم وضرب بأطنابه على عقولهم فأخضعهم لتصورات لايكاد يصدقها العقل[3] فهمت قصد الرسول ﷺ من دعوتهم إلى التوحيد ـ وأن معنى ذلك إفراد الله تعالى بالعبادة وترك عبادة الأصنام وكل ماورثوه عن آبائهم من معتقدات . . فعظم الأمر عليهم حتى أن بعضهم رد عليه بالشتم وهو عمه أبولهب . .

وكان فعله هذا من أول ردود الفعل من قبل قريش تجاه هذه الدعوة ثم استمرت المعارضة والمقاومة وأخذت في الإزدياد حتى وصل الأمر إلى اضطهاد كل من يدخل في هذا الدين ولم تقتصر على ذلك بل لاحقت هذه الدعوة بعد هجرتها من مكة إلى المدينة وحاربتها بجيوش نظامية بهدف القضاء عليها وإطفاء نورها الذي يأبى الله إلاّ أن يتمه قال تعالى : ﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون** ﴾[4] . .

والحقيقة أن ظهور هذه المعارضة والمقاومة ضد هذه الدعوة قد يكون هو الهدف الإعلامي المقصود من هذا الأسلوب ـ لأنه عندما تقوم المعارضة يكثر الكلام والجدل

---

(١) الشعراء/٢١٤

(٢) فتح القدير ـ جـ ٥ ـ ص ٥١٣ .

(٣) الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ـ الندوة العالمية للشباب ـ ص ٢٥٢

(٤) الصف/٨

حول هذه الدعوة ومبادئها وتثار الشبه ويكثر الإتهام والإهتمام بها مما يهيىء جواً مناسباً لنشرها . . وبذلك تكون هذه الدعوة في حياة مستمرة لايطفأ لها نور . .

٢ - التقابل :

ونقصد بالتقابل ذكر صورتين من الناس يختلف مصيرهما في الدنيا والآخرة باختلاف سلوكهما ومعتقدهما في الدنيا وأحدهما مرغب فيه والآخر محذر منه . .

قال تعالى : ﴿ **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم** ﴾[1] ، في هذه الصورة تقابل بين عاقبة المؤمنين وعاقبة الكافرين « وتقابل في سلوكهما وحقيقتهما . . تقابل النقيضين اللذين اختلفت بهما الطريق فاختلفت بهما خاتمة الطريق[2] . .

ولاشك أن هذا الأسلوب من الأساليب الإعلامية كان له أثر كبير في نفوس الناس « فأما المسلمون الذين سمعوا هذه الآيات تبدل حرصهم على الحياة وتقديرهم لها سخرية[3] » كما أنها زادتهم إيماناً ويقينا وثباتا على الحق . .

وأما أعداء هذا الدين فإنه القى الرعب في قلوبهم وخوفهم من مغبّة عدم الإستجابة لهذا الحق ورفضه أو عدم الثبات عليه بعد قبوله . . مما جعل كثيراً منهم يدخل في دين الله ويثبت عليه . .

والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بهذا النوع من الأساليب ـ يذكر صورة للكافرين وما أعدّ الله لهم من العقاب الأليم في الدنيا والآخرة ثم يقابل ذلك بصورة للمؤمنين وما أعد لهم من النصر في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة . . قال تعالى : ﴿ **أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون . . وأما الذين فسقوا فمأويهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب**

---

(١) محمد/١٢

(٢) في ظلال القرآن/ المجلد ٦ ـ ص ٣٦٦٦

(٣) الإعلام في صدر الإسلام ـ عبداللطيف حمزة ـ ص ٥٥ ـ دار الفكر العربي .

النار الذي كنتم به تكذبون ولنذيقنّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلّهم يرجعون ﴾[1] . .

وقال تعالى : **﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذّة للشاربين وأنهار من عسل مصفّى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربّهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ﴾**[2] . .

وتحـاول بعض الدول في عالمنا اليوم استخدام هذا الأسلوب في بعض القضايا المعاصرة ونرى ذلك واضحاً فيما نشرته جريدة « اليوم » السعودية على لسان مسئولين من وزارة الخـارجية الإمـريكية في مجلس خاص لهم « إننـا على استعـداد لمساعدة أصـدقـائنا العرب في الشرق الأوسط على مواجهة التهديد السوفيتي أو أى تخريب داخلي ، بيد أن أى قرار سوف يخضع لدراسة دقيقة للغاية وبخاصة في ضوء ضرورة حماية أمن إسرائيل . . وفي نفس المقال تقول الصحيفة « إن وزير الدّفاع الإمريكية قد أشار عشية هذا اليوم إلى أن أى قرار سيتخذ بشأن مبيعات الأسلحة الإمريكية للدول العربية لن يستند فحسب على الإحتياجات الحقيقية للدول المعنية بل أيضاً على الأثر الذي قد يترتب عليها فيما يتعلق بتوازن القوى »[3] وكانت هذه التصريحات الإمـريكية عقب إعـلان « الملك حسين » عاهل الأردن عن نيته في التقدم بطلب للولايات المتحـدة الإمـريكية للحصول على أسلحة متطورة تشتمل على صواريخ « هوك » ، وطائرات « اف ١٦ » ، وذلك بسبب خشيته من قيام إسرائيل بعمليات عسكرية ضد الأردن وبعض الدول العربية على حد تعبيره . .

وفي إعـلان الـولايات المتحـدة الإمريكية عن موقفها هذا تقابل واضح بين ، علاقتها باسرائيل وعلاقتها بالدول العربية والميزان الذي تزن به مبيعاتها لكلا الطرفين . .

---

(١) السجدة/١٩ ـ ٢١

(٢) محمد/١٥ .

(٣) صحيفة « اليوم » السعودية ـ العدد ٣٤١٩ ـ ص ٤ ـ الخميس ٤ مارس ١٩٨٢ م .

ومن التقابل أيضاً ماقامت به أجهزة الإعلام الفرنسية من اهتمام كبير للزيارة التي قام بها الرئيس الفرنسي « ميتران » إلى إسرائيل في ٤ مارس ١٩٨٢ م وركزت هذه الأجهزة حملتها الإعلامية للإشادة بإسرائيل وتأييدها للكيان الصهيوني وتقليلها من أهمية العرب وازدرائها لهم من ذلك على سبيل المثال مانقلته جريدة « الرياض » السعودية عن الصحيفة الفرنسية « ليبراسيون » الصادرة في ٣ مارس ١٩٨٢ م . . تقول هذه الصحيفة تحت عنوان « فرنسا واسرائيل زيارة الوفاء . . » « لقد كان فرانسو ميتران يعتزم منذ مجيئه إلى الحكم زيارة (اسرائيل) ليضع حدا للعزلة الدولية التي تخنق هذا البلد وليطوي صفحة الماضي في سياسة فرنسا إزاء الشرق الأوسط والتي ظلت مطبوعة بجملة لاتنسى تفوه بها الجنرال « ديجول » بعد حرب الأيام الستة وقال فيها : « إن شعب إسرائيل شعب مسيطر »[1] .

ومنه مانشرته جريدة الندوة « على لسان السيد الأخضر الإبراهيمي وزير الخارجية الجزائري عندما سئل عن مساعي السلام المتعلقة بالشرق الأوسط قال « إن سوريا والعرب موافقون منذ زمان على حل سلمي للصراع العربي الإسرائيلي في مواجهة الموقف الإسرائيلي الرافض دائماً لأى سلام عادل » .

٣ ـ **التبشير بغد أفضل :**

نلاحظ أن القرآن الكريم في كثير من الآيات يبشر المؤمنين بحسن العاقبة في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ **فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾[2] . .

يبشر الله المؤمنين في هذه الآية « بأن الغد سيكشف حقيقة النبي ﷺ وحقيقة المكذبين ويثبت أيهم الضّال فيما يدّعيه وفي هذا مايطمئنهم ويقلق أعداءهم »[3] . .

وهذا النوع من الأساليب ينقسم إلى قسمين :ـ

أ ـ تبشير بمستقبل عاجل ينتصر فيه الإسلام على الكفر ويظهر فيه الحق على

---

(١) صحيفة « الرياض » السعودية ـ العدد ٥٠٦٧ ـ ص ١٦ ـ الخميس ٤ مارس ١٩٨٢ م .
(٢) صحيفة « الندوة » عدد ٩٨٩٠ ـ ص ٢ ـ الخميس ١٤١٢/١/٧ هـ .
القلم/ ٥ ـ ٧ .
(٣) في ظلال القرآن / المجلد ٦ ـ ص ٣٦٥٨ .

الباطل ، قال تعالى : ﴿ **ألم غلبت الرّوم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم** ﴾[1] . .

قال أهل التفسير إن فارس غلبت الروم « ففرح بذلك كفار مكة وقالوا : الذين ليس لهم كتاب غلبوا الذين لهم كتاب . . وقالوا نحن أيضاً نغلبكم كما غلبت فارس الروم وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب[2] . . فنزلت هذه الآيات تبشرهم بأن الروم ستنتصر على فارس كما تبشرهم بأن الله سينصرهم على قريش في المستقبل القريب ، فظهر الروم على فارس وانتصر المسلمون على قريش في موقعة بدر الكبرى ، كما حكم الله سبحانه وتعالى . .

ومن التبشير بمستقبل أفضل في هذه الدنيا قوله تعالى : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمنا** ﴾[3] . .

في هذه الآية أمور بشّر الله بها المؤمنين الذين يعملون الصالحات من الجزاء والثواب العاجل في الدّنيا وهي : استخلافهم في الأرض والتمكين لهم في دينهم الذي ارتضاه لهم ، وإبدالهم من بعد خوفهم أمنا . .

وكان نزول هذه الآية قبل أن يتحقق لهم شيء من ذلك كله وصدق الله وعده « فمكّنهم من البلاد والعباد وفتحت مشارق الأرض ومغاربها وحصل الأمن التام والتمكين التام[4] في صدر هذه الأمة وهذا الوعد مستمر إلى يوم القيامة كلّما قام المسلمون بالإيمان والعمل الصالح . .

ب ـ التبشير بمستقبل آجل بعد الموت ، وهو الحصول على النّعيم المقيم في الجنّة الذي لايشوبه أذى ولا كدر قال تعالى : ﴿ **وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات**

---

(١) الروم/ ١ ـ ٥

(٢) فتح القدير ـ جـ ٤ ـ ص ٣١٤ .

(٣) النور/ ٥٥ .

(٤) تفسير كلام المنّان ـ ج ٥ ـ ص ٤٣٩ .

تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾[1] .

وقال تعالى : **﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار كلّما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾**[2] .

وتبشير المؤمنين بالحصول على هذا النعيم المقيم الذي وصفه الرسول ﷺ بقوله : ألا هل من مُشمِّر للجنّة ، فإن الجنّة لاخطر لها هي وربّ الكعبة نُور يتلألأ وريحانه تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام في أبد في دار سليمة وفاكهة خضراء[3] . . وتبشيرهم بهذا كان ينشطهم على الأعمال الصالحة ويثبّتهم ويقوّيهم على الإيمان كما أنه يسليهم على مايلاقونه من صعاب في الدنيا . .

والحقيقة أن هذا الأسلوب كان له أثر كبير على الحياة العملية عند المسلمين وخصوصاً في ميدان الجهاد فكانوا يتسابقون إلى الإستشهاد في سبيل الله لما بشرهم الله به بالحصول على إحدى الحسنيين الشهادة أو النصر ولا شك أنهم كانوا يفضلون الشهادة على النصر لعظمها عند الله وكثرة ثوابها .

قال تعالى : **﴿ ولاتحسّبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألّا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾**[4] . .

وهذا عمير بن الحمام عندما سمع رسول الله ﷺ يبشر من يقتل يوم بدر بالجنة يقول : « وفي يده تمرات يأكلهن : بخ بخ ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل[5] . .

---

(١) التوبة : ٧٢

(٢) البقرة : ٢٥ .

(٣) فتح القدير - ج ١ - ص ٥٥ .

(٤) آل عمران / ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٥) مختصر سيرة ابن هشام - محمد عفيف الزعبي - ص ١٢٦ - دار النفائس .

ولأهمية هذا الأسلوب في رفع المعنويات والحث على العمل والترغيب في المبـادىء والأهـداف ، فإننا نلاحظ كثيراً من قادة الرأى والمفكرين في عالمنا المعاصر اتخذوا منه مطيَّة لتحقيق أهدافهم العامة والخاصة ومن ذلك على سبيل المثـال : ماقـام به المستشـار السياسي لرئيس منـظمـة التحـرير الفلسطينية « السيد/هاني الحسن » عندما قال . . . في خطاب ألقاه أثناء احتفال نظّمه طلبة من حركة « فتح » في الجامعة الإميكية في بيروت بمناسبة الذّكرى ال ١٧ للثورة الفلسطينية « إنّنا نعلم أن التحرير هو عملية طويلة إلاّ إنني شبه متأكد بأن نهاية هذا العام ستشهد قيام دولة فلسطينية ديمقراطية[١] . . وفي هذا تبشير للشعب الفلسطيني باقتراب موعد قيام دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة . .

وغرضه من هذا التبشير رفع معنويات شعبه وحثهم على الصّبر ومواصلة العمل والكفاح دون مايأس أو ملل حتى يتحقق الأمل المنشود . .

ولقد أحسنت كثير من الدول استخدام هذا الأسلوب للترغيب في مبادئها والوصول إلى أهدافها وهذا واضح في الدعاية السوفيتية للمبادىء الشيوعية ، وفي الدعاية الإمريكية أثناء الإنتخابات ، وعند جميع الدول لدى تقديمها للميزانيات العامة لكل عام . .

٤ ـ الجـــدل :

وأسلوب الجـدل في القـرآن يختلف باختـلاف الخصوم حسب أحوالهم العلمية والإعتقادية « فكثيراً مايكون جدل القرآن مع المشركين جدل هداية ودلالة . . بينما يكون جدل القرآن مع أهل الكتاب جدل تخطئه وإلزام لأنها على علم . . أما جدل القرآن مع المنافقين فتبدوا عليه سمات الشّدّة مصحوباً بالتهديد والوعيد[٢] . .

مثال جدال المشركين ـ لبيان عجز معبوداتهم . .

قال تعالى : ﴿ يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون

---

(١) صحيفة « الرياض » السعودية ـ عدد ٥٠٢١ ـ ص ١ ـ الأحد ١٤٠٢/٣١٥ هـ .

(٢) مناهج الجدل في القرآن ـ زاهر عواض الألمعي ـ ص ٦ ـ مطابع الفرزدق التجارية .

الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾[1] . .

في هذه الآية بيّن القرآن الكريم بطلان عبادة غير الله سبحانه وتعالى بأمرين :-

١) « أن كل المدعوين من دون الله من أصنام وأوثان . . وغير ذلك من المعبودات لايستطيعون خلق الذّباب مع صغره وحقارته[2] وهذا هو مفهوم قوله تعالى : **﴿ إن الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ﴾** . .

٢) أن هذه المعبودات لاتستطيع الدِّفاع عن نفسها فمن باب أولى أنها لاتستطيع الـدّفاع عن غيرها ـ ففاقد الشيء لايعطيه . . قال تعالى : **﴿ وإن يسلبهم الـذّباب شيئا لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾** . . ومادامت هذه المعبـودات كذلـك فإنها لاتستحق شيئـاً من العبادة ثم يختم هذه الآية بقوله تعالى : **﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾** وهما المعبود من دون الله والعابد . .

وبهـذا يكـون القرآن الكريم ألزم المشركين بعجز معبوداتهم عن الخلق والتدبير وحسن الحـركة والإرادة ـ والذي يعجز عن هذا لايستحق العبادة وبذلك يكونون ظالمـين بعـدم تقـديرهم لله حق قدره .« وهم يرون آثار قدرته وبدائع مخلوقاته ثم يشركون به من لايستطيع خلق الذباب الحقير »[3] » كما أنهم لم يقدِّروا الله حق قدره عندما يستعينون بتلك الآلهة التي تعجز عن استنقاذ مايسلبها إياه الذباب . .

مثال جدال أهل الكتاب :

في إثبات أن عيسى عبدالله ورسوله وليس إلٰها . . قال تعالى : **﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمـه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والارض ومابينهما يخلق مايشاء والله على كل شيء قدير ﴾**[4] . .

وقد جادل القرآن الكريم أهل الكتاب في هذه الدعوى وأبطلها بمنطق العقل

---

(١) الحج/٧٣ .

(٢) في ظلال القرآن ـ المجلد ٤ ـ ص ٢٤٤٤ ـ بتصرف .

(٣) نفس المرجع ـ المجلد ٤ ـ ص ٢٤٤٤ .

(٤) المائدة/ ١٧

والفطرة والواقع . . قال تعالى : ﴿ **قل : فمن يملك من الله شيئا إن أراد ، أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا** ﴾ .

ففي هذه الآية دلالة قاطعة على أن عيسى عليه السلام ليس إلها ـ فلو كان إلها كما يزعمون لاستطاع أن يدفع عن نفسه وغيره الهلاك ولكنه لايستطيع ذلك . .

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى : « **يفرق في هذه الآية تفرقة مطلقة بين ذات الله . . وذات عيسى وذات أمِّه . . فذات الله سبحانه واحدة ومشيئته طليقة وسلطانه منفرد ولا يملك أحد شيئا في رد مشيئته أو دفع سلطانه إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً** »[1] . .

ثم قال تعالى : ﴿ **ولله ملك السموات والأرض ومابينهما** ﴾ ومعنى ذلك أنه المتصرف فيهما بالخلق والتدبير والمهيمن عليهما بما في ذلك المسيح بن مريم وأمَّه . .

وبهذا يكون القرآن الكريم ألزمهم بالحجة والبرهان تقرير الحقيقة الحاسمة في عقيدة الإيمان وهى بطلان ادعائهم واعتقادهم في ألوهية عيسى بن مريم . .

مثال جدال المنافقين :

في بطلان دعاويهم الآتية . .

١ ـ أنهم مصلحون .

٢ ـ أنهم مؤمنون ولكن إيمانهم يختلف عن إيمان السفهاء ـ وقصدهم بذلك « الصحابة » .

٣ ـ أنهم يستهزؤن بالمؤمنين .

قال تعالى : ﴿ **وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لايعلمون وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن الله يستهزىء بهم ويمدّهم في طغيانهم يعمهون** ﴾[2]

(١) نفس المرجع ـ المجلد ٢ ـ ص ٨٦٦
(٢) البقرة/١١ ـ ١٥

هذه الآيات تبين لنا صفة المنافقين الظاهرة والباطنة وماهم فيه من عناد وكفر وسفه مع تقديم التبريرات لكل مايأتون به من فساد ظاهر . . فكانوا إذا نهو عن الإفساد وأمروا بالإيمان قلبوا الحقائق وزعموا أنهم مصلحون وأنما يقومون به من أعمال واتصالات باليهود والمشركين إنما قصدهم به الإصلاح والتقريب بين المؤمنين والكافرين في وجهات النظر فتزول بذلك الخلافات والعداوات بينهم . .

فقلب الله عليهم دعواهم هذه « وهي الإصلاح » بقوله ﴿ **ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لايشعرون** ﴾ فإنه ليس أعظم إفساداً ممن كفر بآيات الله وصد عن سبيل الله وخادع الله وأولياءه ووالى أعداءه وزعم مع ذلك كله أنه يقوم بالإصلاح[1] .

وإذا أمروا بالإيمان زعموا أن إيمانهم هو الإيمان الحق وأما إيمان غيرهم من الصحابة فهو سفه لأنه سبَّب لهم ترك الأوطان ومعاداة الكفار والتضحية بالمال والأهل والأنفس ، والعقل عندهم يقتضى غير ذلك . .

« فرد الله عليهم ذلك وأخبر أنهم هم السفهاء على الحقيقة لأن حقيقة السفه جهل الإنسان بمصالح نفسه وسعيه فيما يضرها وهذه الصفة منطبقة عليهم[2] . .

وأما الإنسان إذا عرف مصالحه الدنيوية والأخروية وسعى في تحقيقها وبذل في ذلك الغالي والنفيس فإنه بعيد كل البعد عن السفه وفقدان العقل وهذا مايفعله المؤمنون من الصحابة رضوان الله عليهم . .

ثم يكشف عن حال المنافقين الباطنة وقوة ارتباطهم باليهود الحانقين على الإسلام والمسلمين . . قال تعالى : ﴿ **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون الله يستهزىء بهم ويمدّهم في طغيانهم يعمهون** » . .

« **هؤلاء المنافقون الذين كانوا يجبنون عن المواجهة ويتظاهرون بالإيمان عند لقاء المؤمنين ليتقوا الأذى وليتخذوا هذا الستار للأذى**[3] هؤلاء يعترفون بألسنتهم أنهم في الحقيقة مع أعداء هذا الدين وأن تظاهرهم بالإيمان المقصود منه الإستهزاء بالمسلمين . .

ولكن الله سبحانه وتعالى يظهر لهم الحقيقة التي لايدركونها وهى أنهم مغفلون لأنهم في

---

(١) تفسير كلام المنان جـ ١ ـ ص ٥٠ .

(٢) تفسير كلام المنان جـ ١ ـ ص ٥١

(٣) في ظلال القرآن ـ المجلد ١ ـ ص ٤٤

الوقت الذي هم منهمكون فيه لخداع الله وأوليائه إنما يخدعون أنفسهم في الواقع ويغشونها وذلك لعدم استطاعتهم مخادعة الله ولاقدرة لهم على ذلك ـ بل الله سبحانه وتعالى المطّلع على خبايا نفوسهم هو الذي يخدعهم ويستهزىء بهم في الدنيا والآخرة وهم لايشعرون . . قال تعالى : ﴿ **الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون** ﴾ . .

فمن استهزائه بهم في الدّنيا « أن زيَّن لهم ماكانوا فيه من الشقاء والأحوال الخبيثة حتى ظنوا أنهم من المؤمنين لما لم يسلط الله المؤمنين عليهم »[1] . .

ومن استهزائه بهم يوم القيامة « أن يعطيهم مع المؤمنين نوراً ظاهراً فإذا مشى المؤمنون بنورهم طفىء نور المنافقين وبقوا في الظلمة بعد النور متحيرين فما أعظم اليأس بعد الطمع »[2] . .

قال تعالى : ﴿ **ينادونهم ألم نكن معكم ، قالوا بلى ولكنّكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وأرتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور** ﴾[3] . .

« لقـد كانت صورة المنـافقين هذه واقعة في المدينة ولكننا حين نتجاوز نطاق الزمان والمكان نجدها نموذجاً متكرراً في أجيال البشرية جميعاً »[4] « ففي عصرنا الحاضر نجد نوعاً من هؤلاء يعتبرون أنفسهم مسلمين وقادة الرأى وعقلاء القوم في الوقت الذي يقومون فيه بأعظم فساد في الأرض بتقتيل المسلمين وموالاة المحاربين لله ورسوله ويزعمون أن هذا هو الصّواب والإصلاح للشعوب وأن مقاطعة أعداء الدين ومعاداتهم تؤدي إلى إضعاف الدولة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً جهلاً منهم بسبب الضعف وأسباب القوة ـ لأن القوة لاتكون في الإعتماد على الأعداء في كل شىء حتى الأكل والشراب ، وإنما تكون باتحاد المسلمين اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً . .

ونـلاحظ أن بعض الدول التي حاولت رفع شعار الإسلام مثل أوغندا ، وباكستان وغيرهما قامت جميع قوى الشر من أهل الكتاب والمنافقين بمحاولة القضاء عليها بشتى الأساليب والطرق وإذا نجحوا في القضاء على دولة من هذه الدول قامت وسائل الإعلام بالتركيز على هذا المصير وأن سببه معاداة أهل الكتاب وتمسكها بالإسلام الذي يحضّ على

---

(١) تفسير كلام المنان جـ ١ ـ ص ٥٢

(٢) نفس المرجع ـ ص ٥٢

(٣) الحديد/١٤ .

(٤) في ظلال القرآن ـ المجلد ١ ـ ص ٤٢ .

معاداتهم وعدم موالاتهم مما جعل هذه الدولة في موقف ضعيف سياسياً واقتصادياً واجتماعياً يستحيل معه البقاء والإستمرار . . ويكون مصير هذه الدولة عبرة لغيرها من الدول التي تفكر في رفع الإسلام شعاراً لها . .

ونعود إلى موضوعنا فنقول : إن أسلوب الجدل تكرر في القرآن في مواضيع عديدة متنوعة وكانت تختلف أساليبه باختلاف المخاطبين ، وتكون نتيجة هذا الأسلوب دائماً إفحام الخصم بالحجج والبراهين العقلية . .

ومن استخدامات هذا الأسلوب في العصر الحديث ذلك الجدل القوى الذى أثير في الولايات المتحدة الإمريكية حول الموافقة على بيع خمس طائرات « أواكس » الرادارية المتطورة للمملكة العربية السعودية ، وكانت المواجهة في هذا الجدل حقيقية بين الحزبين . . الحزب الديمقراطي الذي يتزعمه بعض أعضاء الكونجرس المعارضين لإتمام الصفقة مستندين في معارضتهم هذه إلى أن حصول المملكة العربية السعودية على هذه الطائرات لابد من أن يهدد أمن إسرائيل المزعوم . . والحزب الجمهوري ويتزعمه رئيس الولايات المتحدة « ريغان » الذي يؤيد الصفقة ويصر على إتمامها . . ولقد بذل رئيس الولايات المتحدة جهداً مستميتاً في هذا الجدال لإقناع حكومته بالموافقة على إتمام هذه الصفقة معللاً ذلك بقوله « إن إتمام هذه الصفقة من شأنه أن يحافظ على الأمن والإستقرار في المنطقة ويعزز من الثقة في الولايات المتحدة »(1) . .

٥ ـ التهديد :

وإذا تتبّعنا القرآن الكريم نجد أنه استخدم جميع الأساليب الإعلامية التي تعتمد على الموعظة والجدال الحسن والتي كانت لها نتائج إيجابية عظيمة في إقناع كثير من الناس بالدخول في دين الله ولكن هناك أيضاً من أصرَّ على الكفر والعناد ومقاومة هذا الدين فلجأ القرآن الكريم إلى أسلوب التهديد بنزول العقاب على هؤلاء المعاندين في الدنيا والآخرة إذا أصروا على كفرهم بالله ورسوله ومعاداتهم لهذا الدين ومقاومتهم له . .

(١) صحيفة « الجزيرة » السعودية ـ عدد ٣٣٢٤ ـ الجمعة ٢ أكتوبر ١٩٨١ ـ ص (١)

أ ـ التهديد بالعقاب المعجل :

قال تعالى : ﴿ **ولنذيقنّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون** ﴾[1] . . في هذه الآية توعد الله سبحانه وتعالى الكافرين بهذا الدين بالعذاب في الدنيا قبل الآخرة « قال الحسن وأبوالعالية والضحاك والنخعى : هو مصائب الدنيا وأسقامها »[2] .

وأسلوب العقاب المعجل المقصود منه رجوعهم إلى الحق في الدّنيا ـ فإذا أصرّوا على كفرهم وبغيهم فإنهم سينالون جزاءهم وعقابهم المؤلم في الآخرة الذي وردت الإشارة إليه في الآية التي قبل هذه الآية في قوله تعالى : ﴿ **وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلّما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النّار الذي كنتم به تكذبون** ﴾[3] . .

ومن التهـديد بالعقـاب المعجـل قوله تعالى : ﴿ **كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالنّـاصيـة ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندعوا الزبانية** ﴾[4] . . وهذه الآية نزلت في أبي جهل « عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال أبوجهل لئن رأيت محمدا يصلى عند الكعبة لأطأن عنقه فبلغ النبي ﷺ ماقاله فقال : لو فعل لأخذته الملائكة عياناً »[5] . .

وفي الآية تهديد وتخويف لأبي جهل بأخذه من الناصية أخذاً عنيفاً إذا حاول تنفيذ ماعزم عليه من أذى للرسول ﷺ ولن يستطيع أحد من البشر إنقاذه من هذا المصير مهما بلغ من القوة والجبروت لأن قوة الله وقضاءه وقدره لاراد له . .

ب ـ التهديد بالعقاب المؤجل :

قال تعالى : ﴿ **فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم**

---

(١) السجدة/٢١

(٢) فتح القدير ـ جـ ٤ ـ ص ٢٥٤

(٣) السجدة/٢٠

(٤) العلق/١٥ ـ ١٨

(٥) المرجع السابق ـ جـ ٥ ـ ص ٤٧٠

ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ﴾[1] أي « فذرهم يخوضوا بأقوالهم الباطلة وعقائدهم الفاسدة ويلعبوا بدينهم ويأكلوا ويشربوا ويتمتعوا فإن الله أعدّ لهم عذاباً أليماً جزاء لهم على خوضهم ولعبهم »[2] ولاشك أن في هذا من التهديد مايثير الخوف والفزع . .

والقرآن الكريم قد اشتمل على كثير من هذا الأسلوب وخصوصاً مانزل منه في العهد المكي حيث كان الصراع الإعلامي على أشّده . .

ومن استخدامات هذا الأسلوب في العصر الحديث ماقام به الرئيس الإمريكي عقب إعلان الأحكام العرفية في بولندا يوم ١٢ ديسمبر عام ١٩٨١ م حين حذر ثلاث دول شيوعية من أنها ستواجه أعمالاً انتقامية أمريكية رداً على ماتفعله في أوربا وبحر الكاريبي « فقال الرئيس « ريجان » الذي كان يلقي خطاب حالة الإتحاد أمام الكونجرس « إننا سنردّ على أولئك الذين يواصلون تصدير الإرهاب والتخريب في الكاريبي وفي أماكن أخرى خاصة كوبا . . . كما أنذر بولندا والاتحاد السوفيتي بأنه سيوقع عقوبات جديدة ضدَّهما إذا مااستمرت الأحداث في بولندا في التدهور[3]

٦ ـ تشويه الصورة :

إن القرآن في كثير من الآيات يعطينا صورة لأخلاق الأعداء وأكاذيبهم وأساليبهم الشيطانية التي تكشف عن حقيقة مافي نفوسهم من بغض وكيد للحق وهذه الصورة دائماً تكون منفِّرة تشمئز منها النفوس الطاهرة ويكون نتيجة هذا الأسلوب هو السخرية من الأعداء والإستهانة بهم . . وإليك بعض الأمثلة على هذا النوع من الأساليب الإعلامية في القرآن الكريم .

---

(١) المعارج/٤٢ ـ ٤٤

(٢) تفسير كلام المنان ـ جـ ٦ ـ ص ٤٧٨

(٣) صحيفة « الجزيرة » السعودية ـ عدد ٣٤٣٤ ـ الخميس ٢٨ يناير ١٩٨٢ م ـ ص ٢

أ ـ صورة المشركين في القرآن الكريم :

انظر إلى هذه الصورة التي رسمها القرآن للوليد بن المغيرة المخزومي وهو يجهد نفسه ليجد عيباً يعيب به القرآن العظيم قال تعالى : ﴿ **إنه فكر وقدّر فقتل كيف قدَّر ؟ ثم قتل كيف قدّر ؟ ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر** ﴾[١]

فهذه الآية كما نلاحظ رسمت صورة لهذا المشرك وهو في حالة المحاولة في غاية السخرية والإثارة للضحك « فهو يفكر ويدبِّر . . وهو ينظر هكذا وهكذا في جد مصطنع متكلف يقطب حاجبيه عابساً ويقبض ملامح وجهه باسراً لسيتجمع فكره في هيئة مضحكة وبعد هذا المخاض كلّه لايفتح عليه بشيء . . . فيقول ﴿ **إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر** ﴾[٢] . .

ومأظن أحداً يقرأ مثل هذه الآيات التي نزلت في الوليد بن المغيرة ، إلاّ يحمد الله أنها لم تنزل فيه ويحاول بقدر الإمكان الإبتعاد عن كل مامن شأنه أن يلصق به صفة من هذه الصفات المزرية والتي تجعل الإنسان سخرية إلى أبد الدهر ـ وأعتقد أن هذا هو الهدف الإعلامي من هذا الأسلوب .

صورة أخرى للمشركين في نفس السورة وهم يعرضون عن سماع القرآن ومافيه من الخير لهم قال تعالى : ﴿ **فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة** ﴾[٣] رسم القرآن الكريم للمشركين في هذه الآية صورة تثير العجب والضحك من أمرهم الغريب فهم كحمر الوحش في نفورها الشديد خوفاً من الأسد « فكيف إذا كان نفورهم هذا الذي يتحولون به من آدميين إلى حمر لا لأنهم خائفون . . بل لأن مذكِّراً يذكِّرهم بربِّهم وبمصيرهم ويمهد لهم الفرصة ليتقوا ذلك الموقف المهين »[٤] في يوم القيامة . .

---

(١) المدثر/١٨ ـ ٣٥
(٢) في ظلال القرآن ـ المجلد ٦ ـ ص ٣٧٥٧
(٣) المدثر/٥٠
(٤) المرجع السابق ـ ٣٧٦٢

وفي هذا من التنفير والإشمئزاز من حالهم مالا يخفي كما أن فيه التحذير من الإعراض عن الحق والترغيب في الإستماع إليه . .

ب ـ صورة المنافقين في القرآن :

فالقرآن الكريم يرسم صورة للمنافقين « زرية من واقع مايقومون به في الصف المسلم ومن واقع مواقفهم الملتوية حسب الظروف »(١) قال تعالى :
﴿ **إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا** ﴾(٢) . .

بين الله لنا في هذه الآية حقيقة الضعف الكامن في نفوس المنافقين مما يجعلهم يترددون بين الإسلام والكفر كريشة في مهب الريح لاتستقر على حال وهذا الضعف ثمرة عدم التعلق بالله في السراء والضراء والخوف من الناس والطمع فيهم . .

ـ صورة أخرى تصور طبيعة المنافقين وتناقضهم . .
قال تعالى : ﴿ **بشِّر المنافقين بأن لهم عذاباً أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزَّة فإن العزة لله جميعاً** ﴾(٣) . .
فالآية تفضح حال المنافقين وتعطينا صورة مزرية من واقع مواقفهم الملتوية وهي أنهم في الوقت الذي يظهرون فيه الإيمان بالله ورسوله كانوا يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين وذلك لعدم ثقتهم بالله ولاعتقادهم أن الكافرين أقوياء بما رأوه عندهم من أسباب القوة والمنعة ولذا طمعوا في العزَّة والغلبة بموالاتهم وفاتهم أن القوة ليست بقوة السلاح وكثرة العتاد وشدّة الحصون وإنما القوة الحقيقية هي قوة الإيمان بالله وهذه حقيقة لاتحتاج إلى برهان فالتاريخ مليىء بالشواهد عليها . .

(١) نفس المرجع المجلد ٢ ـ ص ٧٧٤
(٢) النساء/١٣٧
(٣) النساء/١٣٨ ، ١٣٩

قال تعـالى : ﴿ **كم من فئـة قليـلة غلبت فئـة كثـيرة بإذن الله والله مع الصابرين** ﴾[1] فالمسلمون انتصروا على المشركين في بدر بقوة الإيمان وأخرجوا يهود بني النضير من المدينة وكانت لهم شوكة وقوة وحصون منيعة بقوة الإيمان لا بقوة السلاح . .

قال تعالى : ﴿ **سبح لله مافي السموات ومافي الأرض وهو العزيز الحكيم هو الـذي أخـرج الـذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ماظننتم أن يخرجوا وظنُّوا أنَّهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلبوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا ياأولى الأبصار** ﴾[2] . .

ومـازالت هذه الصـورة تتكـرر إلى يومنـا هذا فإن كثـيراً من قادة الرأى الإسلامي الذين ليس عندهم من الإسلام إلاّ الإسم يرى ماعند الكافرين من أسبـاب القـوة فيعتقد أن لاحياة للشعوب ولا استقرار ولا ثبات لها إلا بمـوالاتهم والإعتماد عليهم في جميع شئون الحياة وأن من ترك موالاتهم فإن مصيره الزوال والفشل ويستدلون على ذلك بسقوط عيدي أمين في أوغندا وغيره ممن حاول رفع شعار الإسلام وترك الإعتماد على موالاة الكفّار وهذا بسبب جهلهم بالإسلام وبأسباب القوة والمنعة . .

والله سبحـانه وتعالى يبشر هذا النوع من الناس بالعذاب الأليم بسبب طبيعتهم وموقفهم من الإسلام . . قال تعالى : ﴿ **بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً** ﴾ **كما يبشرهم بخيبة الأمل وفشل كل الجهود المبذولة للقضاء على هذا الدّين أو النيل منه بقوله « فإن العزّة لله جميعا » ، « فالعزة لله وحده يهبها لمن يشاء وتطلب من عنده وإلا فلا عزة ولا قوة عند الآخرين »**[3]

ـ صورة أخرى للمنافقين . .

---

(١) البقرة/٢٤٩

(٢) الحشر/ ١ ، ٢

(٣) في ظلال القران ـ المجلد ٢ ـ ص ٧٨٠

قال تعالى : ﴿ **وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقوهم كأنهم خشب مسنَّدة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فأحذرهم قاتلهم الله أني يؤفكون** ﴾[1] . .

القرآن الكريم في هذه الآية يعطينا صورة مبدعة عن المنافقين « تثير السخرية بهذا الصنف الممسوخ من الناس وتسمهم بالفراغ والخواء . . والجبن . . . بل تنصبهم تمثالاً وهدفاً للسخرية في معرض الوجود »[2] والقرآن الكريم حينما يبرز صورة المنافقين على هذه الطريقة فإنه يبعث في النفوس الطاهرة الحذر من كل مايلصق بها صفة من هذه الصفات البذيئة . .

جـ ـ صورة أهل الكتاب في القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدى القوم الظالمين** ﴾[3] . .

شبه الله تعالى في هذه الآية أهل الكتاب من اليهود الذين حملهم الله تعالى التوراة وأمرهم أن يتعلموها ويعملوا بها فلم يفعلوا مأمروا به بالحمار الذي يحمل فوق ظهره أسفارا من كتب العلم فليس له منها إلّا الثقل « وهذه صورة زرية بائسة ومثل شائن ولكنها صورة معبرة عن حقيقة صادقة »[4] وهذا المثل وإن كان لليهود إلّا أنه ينطبق أيضاً على كل « من يفهم معاني القرآن ولم يعمل به وأعرض عنه إعراض من لايحتاج إليه »[5] وهذا الأسلوب الغرض منه التنفير من صفة اليهود هذه وحث المؤمنين على المحافظة على القرآن الكريم والعمل بما فيه لكى لايضلوا كما ضلّ أهل الكتاب من قبلهم لإهمالهم كتب الله وتعاليمه وعدم العمل بها . .

(١) المنافقون/٤
(٢) المرجع السابق ـ المجلد ٦ ـ ص ٣٥٧٤
(٣) الجمعة/٥
(٤) المرجع السابق ـ المجلد ٦ ـ ص ٣٥٦٧
(٥) الفخر الرازي ـ جـ ٣٠ ـ ص ٥ ـ ط ١

والجدير بالذكر هنا أن الإعلام العالمي يقوم الآن بشن حملة إعلامية قوية لتشويه صورة الإسلام والمسلمين والتنفير منهم . . من ذلك على سبيل المثال مانقلتــه مجلة (المجتمــع) مترجمــاً عن « الأبـزيرفـر » الـبريطانية بتـاريخ ١٥/١٠/٨١ » يقول « باتريك سل » في مقاله هذا « هناك صفتان يتميز بها المتعصبــون الجــدد في الشرق الأوسط . . الصفــة الأولى تتلخص في أنَّ تصورهم للحياة الجيدة يتركز بشكل ضيق على العادات الإجتماعية كملابس النســاء والطعام والشراب والذبح الحلال وطقوس الطهارة والوضوء ولايبدوا عليهم أنَّهم مهتمون كثيراً بما تدعو له العدالة الإجتماعية . .

والصفة الأخرى : هي العنف والإستعداد للقتل والموت في آن واحد ولو انعكس الوضع بشكل ما فإن البنات سيطردن من المدارس والمكاتب والمصانع والخدمات المسلحة ويوضعن في البيوت . . أما النساء فلن يظهرن في الشوارع إلا على شكل كتل ملحفة بالسواد أما في المطاعم وأمكنة اللهو الأخرى فلن يسمـح باختــلاط الجنسين ، وسيتم في الواقع إغلاق كثير من هذه الأمكنة كالبـارات ودور السينـما ـ المشروبـات الـروحية ستختفي حتـماً ، أما جهاز التلفزيون فإنه سيقتصر على تلاوة سور قرآنية . . أما الزاني فسوف يرجم حتى الموت كما ستقطع يد السارق »[1].

والجـدير بالــذكر هنا أن هذه المقالة وإن كان الغرض منها تشويه صورة المسلمين وسمعتهم إلا أنَّها في الحقيقة لاتخلو من تحسين صورتهم في بعض جوانبها لأنه مامن أحد إلاّ ويتمنى أن يعيش في مجتمع تسوده الأخلاق الحميدة ويعنى فيه بالعفاف والطهر والقضاء على الأخلاق الرذيلة كالزِّنا وشرب الخمور وارتكاب الجرائم للمحافظة على أعراض الناس وأرواحهم وممتلكاتهم .

٧ ـ تحسين الصورة :

وفي مقابل صورة أعداء هذا الدين وبيان حالهم في مواجهة هذه الدعوة ، فإن القرآن الكريم يعطينا أيضاً صورة واضحة عن المؤمنين . .

قال تعالى : **﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو**

(١) مجلة المجتمع الكويتية ـ العدد ٥٦٢ ـ الثلاثاء ٢٥ فبراير ١٩٨٢ م ـ ص ٣٣ .

معرضون والذين هم للزّكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلاّ على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾[١].

في هذه الآيات بشرى بالفلاح والفوز في الدنيا والآخرة للمؤمنين الذين يتّصفون بالصفات المذكورة فيها « وقال النسائي في تفسيره عن يزيد بن بانبوي قال : قلنا لعائشة أم المؤمنين : كيف كان خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت : كان خلق رسول الله ﷺ القرآن فقرأت : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ حتى انتهت إلى ﴿ **والذين هم على صلواتهم يحافظون** ﴾ قالت : هكذا كان خلق رسول الله ﷺ[٢].

وفي ضمن هذا التنويه من الله بذكر عباده المؤمنين وصفاتهم التي وصلوا بها إلى أعلى الدرجات حث على الإتصاف بصفاتهم والترغيب فيها . .

ـ صورة أخرى للمؤمنين :ـ

قال تعالى : ﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ، والذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون**[٣] . .

في الآية الأولى « صورة صادقة تبرز فيها أهم الملامح المميزة للمهاجرين[٤] فهم الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم لاذنب لهم سوى أنهم آمنوا بالله ورسوله ـ وقد خرجوا معتمدين على الله في فضله ورضوانه . .

« وهم مع أنهم مطاردون قليلون ينصرون الله ورسوله بقلوبهم وسيوفهم في أحرج الساعات وأضيق الأوقات »[٥] . .

وفي الآية التي تليها رسم لنا صورة صادقة تعطينا أهم الصفات المميزة للأنصار . . قال تعالى : ﴿ **والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم . .** » يقول سيد

---

(١) سورة المؤمنون : الآيات « ١ ـ ١١ » .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ـ المجلد ٢ ـ ص ٨٥٨

(٣) الحشر/ ٨ ، ٩

(٤) في ظلال القرآن ـ المجلد ٦ ـ ص ٣٥٢٦

(٥) نفس المرجع ـ المجلد ٦ ـ ص ٣٥٢٦

قطب رحمه الله تعالى عن الأنصار « هذه المجموعة التي تفردت بصفات وبلغت إلى آفاق لولا أنها وقعت بالفعل لحسبها الناس أحلاماً طائرة ورؤى مجنحة ومثلاً عليا قد صاغها خيال محلق »[1] . .

ولم يعرف التاريخ البشري حادثاً كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين .

والقرآن الكريم حين ينوّه بالمؤمنين وصفاتهم إنما يقصد بذلك الحث على الدخول في الإسلام والتحلى بهذه الصفات التي لاتوجد عند غير المسلمين وكانت سبباً في فوزهم في الدنيا والآخرة . .

ولقد استخدمت كثير من الدول المعاصرة هذا الأسلوب في إعلامها فالمتتبع لما تبثه أجهزة الإعلام الإمريكي يلاحظ أنها في الوقت الذي تشوه فيه صورة خصومها للتنفير منهم . . فإنها تقوم بتحسين صورة الشعب الإمريكي ونظامه وأنها الدولة الوحيدة المتقدمة في العالم التي يمكن الإعتماد عليها في جميع الأمور . . وتحاول إقناع الناس بأن مقياس التقدم الحضاري هو بالقرب من الشعب الإمريكي أو البعد عنه حتى في الأخلاق والآداب . .

وعن طريق هذا الأسلوب استطاع الإعلام الصهيوني تغيير الصورة الحقيقية التي كانت مطبوعة بأذهان الغربيين عن الإنسان اليهودي إذ كانوا يتصورونه شيطاناً ، ماكراً مخادعاً ، مرابياً ، قذراً ، سفاك دماء منبوذاً من الله والناس . .

فقام الإعلام الصهيوني منذ زمن بعيد بمحاولات جبارة لتغيير هذه الحقيقة وذلك بإبرازه كل ما يعتقد أنه يحسِّن من صورة اليهود لدى العالم الغربي ويثير الإعجاب بهم وفي الوقت نفسه كان الصّهاينة يقومون بملاحقة الكتّاب والإحتجاج على الصحفيين والأدباء والمخرجين وانتقاد الإذاعات والأفلام والمسرحيات والقصص التي تساهم في تشوه صورة اليهود والتنفير منهم[2] وقد نجحوا بالفعل بمساعيهم هذه في تضليل الرأى العالم الغربي وعكسوا الصورة تماماً حتى جعلوا الغربيين ينظرون إلى اليهود على أنهم أمة أنجبت نوابغ العالم في العلم والفلسفة ولولاهم لم تكن هناك مدنية ولاتقدم حضاري . .

---

(١) نفس المرجع ـ ص ٣٥٢٦

(٢) أنظر « الإعلام العربي بين الدعاية الإمبريالية والصهيونية ـ منير بكر التكريتي ـ ص ٧ ـ مطبعة الإرشاد « بغداد ».

ثانياً : صور من الأساليب الإعلامية العملية :

ومن الأدلة القرآنية على أن من ضمن الأساليب الإعلامية أساليب عملية قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون** ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ **قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون** ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وماتنفقوا من شيء في سبيل الله يوفَّ إليكم وأنتم لاتظلمون** ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ **وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلّه وظنُّوا أنه واقع بهم خذوا ماآتيناكم بقوة واذكروا مافيه لعلكم تتقون** ﴾[4] .

ومما لاشك فيه أن هذه الأساليب العملية تشتمل على أمرين أساسيين : أحدهما : يتعلق بالقدوة الحسنة . وثانيهما : يتعلق بالصدق في الأفعال (وأعني بهذا الإلتزام المطلق بإرادة الشرع الإسلامي مهما كانت الظروف والأحوال) فإذا التزم القائمون بإدارة شئون هذه الأمة بهذين المبدأين حسنت سيرتهم وكان في هذا إعلام عملي بمبادئهم وأهدافهم واستطاعوا كسب ثقة الناس ومن ثمَّ القدرة على الإقناع والتوجيه هذا بالإضافة إلى الآثار الإيجابية على الإعلام القولي لأنه في هذه الحالة يعكس واقعاً إيجابياً وقوياً في كافة المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية . . ألخ) . وأما إذا افتقرت الإدارة إلى أحد هذين الأمرين المذكورين ساءت سيرتهم وضعفت ثقة الناس بهم وكان في ذلك إعلام عملي ضد مبادئهم وأهدافهم هذا بالإضافة إلى آثاره السلبية على الإعلام القولي لأنه في هذه الحالة يعكس واقعاً ضعيفاً في كافة المجالات فهناك ترابط واضح بين الإعلام العملي والإعلام القولي قال تعالى : ﴿ **من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور** ﴾[5].

١ ـ القدوة الحسنة :

لوحظ أن القرآن الكريم قد سلط ضوءاً شديداً على الجانب الخلقي مما يدل على

(١) البقرة/٢٤٣ (٢) الأعراف /١٢٣ (٣) الأنفال/٦٠ (٤) الأعراف/١٧١ (٥) فاطر/١٠

أن نجـاح هذه الدعوة موصول في جانب كبير منه بالسلوك . قال تعالى : ﴿ **قل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إنالشيطان ينزع بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً** ﴾[1] وفي هذه الآية دعوة عامة للأخلاق كما دعا إلى الإبتعاد عن جميع رذائل الأخلاق »[2] في قوله تعالى : ﴿ **وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾[3] . وقد فصَّل القرآن الكريم هذه الأخلاق في كثير من الآيات نذكر بعضها على سبيل المثال :

١ ـ الصدق . . قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾[4].

وهـذه الآية تحث المؤمنـين على الصـدق والإبتعاد عن الكذب لأن الجهود المبذولة في نشر أى دعوة لايكتب لها النجاح إلا إذا كانت تعتمد على الصدق وتـزويد النـاس بالحقـائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأى عام صائب وناضج حول قضية من القضايا المصيرية الهامة . . . فإذا خلت هذه الدعوة أو العملية الإعلامية من الصدق تصبح تضليلاً للجمهور .

ولهذا كانت هذه الصفة من أهم صفات الرسول ﷺ ومن أجل هذا صدقه العرب حين جاءهم برسالة السماء ـ وجعل هذه الصفة مدخلاً للدعوة إلى الله حين صعد الصفا ونادى قريشاً فقال لهم « أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا : ماجربنا عليك كذباً قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد[5] .

٢ ـ الالتزام بالعهد . . قال تعالى : ﴿ **وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا** ﴾[6] . .

ولم يعرف في تاريخ البشرية كلها مثل الرسول ﷺ في المحافظة على العهود والإلتزام بها « وماجرى يوم الحديبية برهان واضح . . . على الإلتزام بالعهود[7]« فعندما تعاهد الرسول ﷺ مع قريش في صلح الحديبية على شروط من بينها أن محمدا يتعهد برد من

---

(١) الإسراء /٥٣ (٢) أصول الدعوة ـ عبدالكريم زيدان ـ ص ٧٨ ـ ط ٣ بتصرف (٣) النحل/ ٩٠ (٤) التوبة /١١٩
(٥) فتح القدير ـ جـ ٥ ـ ص ٥١٣ .
(٦) الإسراء /٣٤
(٧) الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ـ ص٦٤ .

يأتيه من قريش بغير إذن وليّه عليهم فجاء أبوجندل بن سهل بن عمرو مؤمناً بربه فردَّه ﷺ على أبيه وكان لهذا العمل أثر عظيم في الإعلام بالأخلاق التي يقوم عليها الدين الجديد مما ساعد على انتشار صيت هذه الدعوة واعتناق الناس لها .

« واعتبر الوحي السَّماوي هذا الصلح فتحاً عظيماً من الناحية السلوكية[1]

٣ ـ **العفو عند المقدرة** . . قال تعالى : ﴿ **ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر** ﴾[2] « وكان موقف الرسول ﷺ من قريش التي كانت تضطهد المسلمين وتعذبهم أشد أنواع العذاب بالضرب والتقتيل والتشريد بعد الفتح خير مثال على العفو عند المقدرة . . فعندما فتح رسول الله ﷺ مكة وحطَّم الأصنام « وجه الخطاب إلى قريش ماتظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم ! قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء »[3] وكان سلوك الرسول ﷺ هذا السلوك مع أقوى أعدائه يعتبر من أعظم أساليب الإعلام بما يدعو له الإسلام من تسامح وعفو عند المقدرة وأنه جاء للإصلاح لا للافساد كما تزعم قريش . .

٤ ـ **الثبات على الحق** . . قال تعالى : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنَّة التي كنتم توعدون** ﴾[4] . .

ذهب رجال من قريش إلى أبي طالب عم رسول الله ﷺ وطلبوا منه أن يكف عنهم ابن أخيه وأنَّهم مستعدون لبذل كل مافي وسعهم من مال وجاه وسلطان مقابل أن يترك هذا الأمر الذي يدعو له فما كان من جواب الرسول ﷺ حين فاتحه عمه بهذا الأمر الآّ أن قال : « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه »[5] .

ومما تقدم نعلم أن للاخلاق مكانة عظيمة في الإسلام ـ لذا نوه الله سبحانه وتعالى بخلق رسوله الكريم ﷺ بقوله و « انك لعلى خلق عظيم »[6] . .

---

(١) نفس المرجع ـ ص ٦٤ .

(٢) آل عمران / ١٥٩

(٣) مختصر سيرة بن هشام ـ ص ٢٣٤

(٤) فصِّلت/ ٣٠

(٥) مختصر سيرة بن هشام ـ ص ٤٤ ـ ط ٢

(٦) القلم/٤

وكان لأخلاقه ﷺ أثر إعلامي كبير في نشر هذه الرسالة بين جميع العرب « وكان الناس يتحدثون عن هذه الأخلاق . . إما جهاراً حين لا يخافون سطوة أحد واما عن طريق الهمس حين يخافون شيئاً من ذلك وكان هذا التحدث أو التهامس عاملاً قوياً من عوامل انتشار الدعوة »[1] . .

ب ـ العمـــل :

وفي هذا القسم سنعـرض إلى بعض الأعـمال التي قام بها الـرسول ﷺ ومـاحققته من أهداف إعلامية ـ كما سنشير الى بعض الأعمال المفروضة في الإسلام وآثارها الإعلامية في انتشار هذا الدين .

ـ بعض الأعمال التي قام بها الرسول ﷺ وأهدافها الإعلامية .

١ ـ الهجـــرة :

اضطهد المكيون الرسول ﷺ حتى وصل بهم الأمر إلى التفكير في التخلص منه قال تعالى : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾[2] ، فأمره الله تعالى بالهجرة إلى المدينة قال تعالى : ﴿ **إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا** ﴾[3] فخرج الرسول ﷺ ومعه ابوبكر الصديق متوجهاً إلى المدينة تنفيذاً لأمر الله تعالى له ولم يكن خروج الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة خوفاً ولا هرباً من المشركين « بل تعليم للأمة ضرورة أخذ الحيطة في الأزمات وليقف على تحركات قريش ويعلم مقاصدهم ولينكشف مااعتزموا عليه »[4] .

وكـان هذا العمـل من الرسول ﷺ من أبلغ الأساليب الإعلامية في الإسلام وكانت له آثار إعلامية في داخل مكة وخارجها . فأهل مكة شعروا بأن هؤلاء لم يتركوا أهلهم ووطنهم وأموالهم إلا من أجل قوة إيمانهم بصدق ماهم عليه من حق كما أن هذه الهجرة « أوجدت فراغاً كبيراً في مكة ولفت هذا الفراغ أنظار المكيين للتغيرات

---

(١) الإعلام في صدر الإسلام ـ ص ١٦٠ .

(٢) الأنفال/٣٠

(٣) التوبة/٤٠

(٤) تفسير كلام المنان ـ حـ ٢ ـ ص ٢٣٦ .

التي حدثت في مجتمعهم ومن أهمها . . ظهور هذا الدين[1] ولم تقتصر آثار الهجرة على مكة وحدها « فإن وجود عناصر مكية في المدينة لفت انتباه جميع من فيها وفي ذلك إعلان كبير . . عن هذا الدين »[2] .

ومن هنا كانت الهجرة أسلوباً إعلامياً فريداً قلَّ أن يكون له مثيل في التاريخ .

٢ - بناء المسجد .

قال تعالى : ﴿ **لاتقم فيه أبداً لمسجد أسِّس على التقوى من أوَّل يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين** ﴾[3] .

سواء كانت هذه الآية نزلت في قباء أو المسجد النبوي الشريف فإن الملاحظ أن أول عمل قام به الرسول ﷺ عند قدومه إلى المدينة هو بناء مسجد ولم يكن الهدف الوحيد من هذا المسجد هو الصلاة بل كان مركزاً إسلامياً عاماً يجتمع فيه المسلمون من جميع القبائل ليتعلمـو فيه أمور دينهم ويقول د. ابراهيم إمام « أراد الرسول ﷺ فيما يبدوا أن يبني مكاناً لاينتمي إلى هذه القبيلة أو تلك ولا يجتمع فيه أفراد من أسرة خاصة بل ان يشيد مكاناً للجميع وهو بيت الله »[4] .

وفي هذا إعلام لجميع المسلمين الموجودين في المدينة وغيرها أن هذا الدين دين الله وأنه يقضى على العصبيات مهما كانت وعلى أى أساس وجدت وأن مقياس التفاضل فيه إنما هو بتقوى الله عز وجل قال تعالى : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ فلو أقام المسجـد في بيت من بيوت احـدى القبيلتـين الموجودتين في المدينة لوجدت القبيلة الأخرى في نفسها شيئاً من ذلك واعتبرته تفضيلاً لها فكان هذا العمل من الرسول ﷺ فيه من الحكمة مالا يخفي .

والحقيقة أنه ما من مكان في الأرض يستطيع تحقيق مايحققه المسجد من توحيد في الكلمة والجهود والقضاء على العصبيات إذا وجد من يحسن الإستفادة منه من الناحية الإعلامية .

---

(١) الإعلام في صدر الإسلام - ص ١٣٥ .

(٢) نفس المرجع ص ١٣٥ .

(٣) التوبة/١٠٨

(٤) الإعلام الإسلامي - ابراهيم إمام - ص ٧٣ مكتبة الأنجلو المصرية « القاهرة »

٣ - بيعة الرضوان :

قال تعالى : ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافي قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً** ﴾[(١)] .

خرج رسول الله ﷺ مع بعض أصحابه وكانوا نحوا من الف وخمسمائة من المدينة قاصدين بيت الله الحرام للزيارة وكان هذا بعد غزوة الأحزاب بعام « فلما اقتربوا من مكة وجدوا قريشاً تستعد لقتالهم . . فبعث إليهم الرسول ﷺ عثمان بن عفان يقترح عليهم عقد صلح بين الفريقين . . فرفضت قريش هذا العرض وسرت شائعة بأن عثمان قد قتل »[(٢)].

فلجأ الرسول ﷺ إلى أسلوب إعلامي يشعر القرشيين بقوة المسلمين وأنهم على استعداد لقتالهم والانتصار عليهم فجمع اصحابه ودعاهم إلى المبايعة « فبايعوه تحت شجرة على قتال المشركين وأن لايفروا حتى يموتوا »[(٣)] فلما علمت قريش بهذه البيعة وأن المسلمين عازمون على الدخول في الحرب معهم دخل الرعب في قلوبهم واضطروا إلى الدخول في المفاوضات السلمية التي كانت الهدف الأساسي للرسول ﷺ من استخدام هذا الأسلوب وكانت قريش ترفض هذه المفاوضات فعقد معهم « هدنة الحديبية » التي اعتبرها الله تعالى نصراً ـ للمؤمنين وأمتنَّ بها على رسوله ﷺ بقوله « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً »[(٤)] وكانت لهذه الهدنة إيجابيات كثيرة ذكر بعضها عبداللطيف حمزة في كتابه « الإعلام في صدر الإسلام »[(٥)].

وهذا النوع من الأساليب استخدمه الرسول ﷺ عدة مرَّات فبعد منصرف قريش من غزوة أحد بلغه أن قريشاً قد أجمعوا الكرة عليهم فخرج الرسول ﷺ بمن معه من الصحابة حتى انتهى إلى حمراء الأسد فبلغ ذلك أبا سفيان فخاف من العودة إلى المدينة وعاد بمن معه إلى مكة وفي طريقه إليها مرَّ به « ركب من عبد القيس فقال لهم أبوسفيان بلِّغوا محمداً أنا قد أجمعنا الرجعة على أصحابه لنستأصلهم فلما مرَّ الركب

(١) الفتح /١٨
(٢) الإعلام في صدر الإسلام ص ١٦١
(٣) تفسير كلام المنان ـ جـ ٧ ص ١٠٣
(٤) الفتح /١
(٥) انظر « الإعلام في صدر الإسلام » ص ١٦٣ .

برسـول الله ﷺ بحمـراء الأسد أخبروه بالذي قال أبوسفيان فقال رسول الله ﷺ والمسلمون معه حسبنا الله ونعم الوكيل »[1] وكانت هذه الحادثة هي سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ماأصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم . الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** »[2].

واستخـدم الـرسـول ﷺ هذا الأسلوب أيضـاً في الحـج عنـدمـا أمر أصحابه « بالإضـطبـاع » والـرَّمـل في الـطواف لإعلام قريش بقوة المسلمين وأنهم خلاف مايظنـون بهم من ضعف وخـور . وفي العصر الحـديث قامت الـولايات المتحدة الإمريكية باستخدام أسلوب شبيه بهذا الأسلوب ضد « ايران » وذلك عندما قام بعض الـطلبة الإيرانيين باحتجاز الدبلوماسيين الإمريكيين بالسفارة الامريكية في طهران كرهائن حتى تلبي جميع مطالبهم وكان ذلك في ٤ نوفمبر ١٩٧٩ م وأقرت السلطات الإيرانية الطلبة على هذا الإحتجاز وصرَّحوا بأن هؤلاء الرهائن سيقدَّمون للمحاكمة بتهمة التجسس مالم تستجب الحكومة الإمريكية إلى مطالب إيران . . فقـامت الـولايات المتحدة بحشد أسطولها البحري الضخم الذي يضم حاملتين للطائرات وهما « كيتي هوك » و « ميدواى » كما يضم واحداً وعشرين سفينة حربية على مقـربـة من الساحل الإيراني ليضع الأهداف الإيرانية ضمن مدى الطائرات الإمريكية المقاتلة »[3] وذلك لإشعار القادة الإيرانيين بخطورة الموقف إذا هم أقدموا على محاكمة الرهائن أو عرضوهم إلى أى أذى .

٤ ـ البعثات النبوية :

قال تعالى : ﴿ **تبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** ﴾[4] في هذه الآية بيان للغاية التي من أجلها أنزل القرآن على الرسول ﷺ وهى إنذار العالمين وتخويفهم من بأس الله ونقمتـه وبيان رضا الله من سخطه . وفي هذا دلالة واضحة على أن هذه الرسالة عالمية « وغايتها نقل هذه البشرية كلّها من عهد إلى عهد ومن نهج إلى نهج . عن

(١) فتح القدير ـ جـ ١ ـ ص ٤٠١

(٢) آل عمران/ ١٧٢ ، ١٧٣

(٣) انظر « مجلة اقرأ السعودية » العدد ٢٥٢ الخميس ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩ م ص ١٥

(٤) الفرقان/ ١

طريق هذا الفرقان الذي نزَّله الله على عبده ليكون للعالمين نذيرا »[1].

وإذا كانت هذه الدَّعوة عالمية فلابد أن يكون إعلامها كذلك . فالرسول ﷺ والمسلمون مكلفون بتبليغ هذه الرسالة إلى جميع الناس بشتى الأساليب الإعلامية .

ولـذا فإننا نرى الرسول ﷺ عند أول فرصة وجدها بعد صلح الحديبية قام بإرسال البعوث الدينية إلى القبائل العربية المجاورة وإلى الأمم خارج الجزيرة العربية للتبشير بهذه الرسالة تنفيذاً لأمر الله تعالى له بتعميم هذه الرسالة .

ولقد حقق هذا النَّوع من الأساليب عدَّة أهداف من أهمها :ـ

١ ـ إشعار العرب والعجم وغيرهم « أن الإسلام ليس خاصاً بالعرب وحدهم ولكنه عام لجميع الناس »[2] .

٢ ـ قبول هذه الدعوة والترحيب بها من قبل بعض الأمراء والملوك الموجهة إليهم كما فعل المقوقس والنَّجاشي وإن كان البعض رفضها وأساء الرد على صاحبها كما فعل كسرى .

وهـذا النَّـوع من الأسـاليب يستخـدم في عصرنـا هذا لتـوثيق الـروابط السياسية والإقتصادية والإجتماعية بين الدول عن طريق السفارات والمبعوثين الدبلوماسيين .

جـ ـ بعض العبادات العملية وآثارها الإعلامية :

*** الصـــلاة :**

قال تعالى : ﴿ **أتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ماتصنعون** ﴾[3].

في هذه الآية الكريمة الحث على إقامة الصلاة التي من واجباتها « الأذان » ويعتبر الأذان من أكبر أساليب الإعلام لأنه قائم على التكرار فهو يذكِّر الناس بهذا الدين خمس مرات في اليوم والليلة كما يذكِّر بأن الصلاة ركن من أركانه « التي تعتبر رمزاً للوحدة الإنسانية فالصغير بجانب الكبير والغنى مع الفقير الكل سواسية »[4]

(١) في ظلال القرآن ـ المجلد ٥ ـ ص ٢٥٤٨
(٢) الإعلام في صدر الإسلام ـ ص ١٥٥
(٣) العنكبوت/ ٤٥
(٤) الإعلام الإسلامي ـ ص ٣٥ .

لافضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى . فأداء الصلاة عمل على جانب عظيم من التأثير سواء في جذب الناس إلى هذا الدين أو في الإحتفاظ بالمسلمين منهم وتقوية شعورهم بالأنتماء وتقوية رغبتهم في الخير والقضاء على رغبتهم في الشر .

* **الحـــج :**

قال تعالى : **﴿ ولله على الناس حِجّ البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنيٌ عن العالمين ﴾**[1] وقال تعالى : **﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير »**[2] .

وفي هذه الآيات دلالة واضحة على أن الحج فريضة على كل مسلم مستطيع القريب منهم والبعيد ولذا فإننا نرى عشرات الألوف من المسلمين رجالا وركباناً يتقاطرون من مشارق الأرض ومغاربها « تلبية لدعوة الله التي أذن بها إبراهيم عليه السلام منذ آلاف الأعوام »[3] .

والحج يعتبر من أقوى الأساليب العملية لتوحيد المسلمين وتقويتهم فهو كما يقـول سيد قطب « مؤتمر اجتماع وتعارف ومؤتمر تنسيق وتعاون »[4] يمكن عن طريقه حل جميع القضايا المستعصية السياسية والإقتصادية والإجتماعية إذا نوقشت هذه القضـايا من زاوية إسلامية وكان الباحثون فيها رجالاً مسلمين حقاً وعلى مستـوى المسئولية من الناحية العلمية والعملية والقيادية (أى يكونون من قادة الرأى) ـ ويكون همهم الوحيد من جهدهم وعملهم رضى الله ورسوله وتحقيق الخير والرفاهية لشعوبهم قبل أي اعتبار شخصي .

والحقيقة أن هذه الفرصة المتكررة التي تتاح للمسلمين في كل عام مرة للاتصال ببعضهم فيتبـادلـون الأفكـار والآراء ويتعـاونـون في حل المشاكل المتعلقة بهم وبـالخصـوص القضايا المصيرية منها سواء كانت سياسية مثل قضية القدس أو

---

(١) آل عمران /٩٧

(٢) الحج /٢٧ ، ٢٨

(٣) في ظلال القرآن ـ المجلد ٤ ص ٢٤١٨

(٤) نفس المرجع المجلد ٤ ص ٢٤١٨

اقتصادية كالتنمية أو ثقافية كالتعليم . . إلى آخر ذلك من القضايا الهامة . هذه الفرصة لاتوجد عند غيرهم ولكن مع الأسف فإن المسلمين لم يستطيعوا حتى اليوم الإستفادة من هذا المؤتمر العظيم وذلك بسبب غياب قادة الرأى الأكفاء عن السلطة .

* **القصـــاص :**

قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلىٰ الحرُّ بالحرِّ والعبد بالعبد واالأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شيء فاتِّباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ولكم في القصاص حياة ياأولى الألباب لعلكم تتقون** ﴾[١].

ففي هذه الآيات تشريع للقصاص في القتلى ـ فالقاتل يقتل إلا إذا عفا أولياء المقتـول . ثم بيَّن سبحـانـه وتعالى الحكمة من هذا الأسلوب بقوله « ولكم في القصاص حياة » قال الزجاج « إذا علم الرجل أنه إن قَتل قُتل أمسك عن القتل فكـان في ذلـك حياة للذي هَمَّ بقتله ولنفسه »[٢] وبذلك تحقن الدِّماء وتنقمع الأشقياء لأنه من عزف أنَّه مقتول إذا قتل كف عن القتل وإذا رُئيَ القاتل مقتولاً اتعظ بذلك غيره وكفَّ عن القتل . كما أن القصاص أيضاً يشفى صدور أولياء الدم عند تنفيذ القتل بالقاتل من الحقد والرغبة في الثأر الذى لم يكن يقف عند حد في القبـائـل العربية حتى لتدوم معاركه المتقطعة أربعين عاماً كما في حرب البسوس المعروفة عندهم »[٣] .

ولاشـك أن سائـر الحـدود الشرعية فيها من النِّكاية والإنزجار عن ارتكاب الجرائم مالا يخفي مما يدل على حكمة الله وأنَّه عليم بما يصلح لعباده في هذه الدّنيا من التشريعات التي تحفظ دماءهم وأموالهم إلَّا بحقها .

وهـذا الأسلوب الإعلامي الذي يهدف إلى الكف عن الجريمة لايوجد من يطبقـه اليوم في العـالم الإسلامي إلَّا من رحم ربك . . . . ولذا نرى الضعف والخور والجرائم بجميع أنواعها تسوس هذه البلدان وتعصف بها .

---

(١) البقرة/١٧٨ ، ١٧٩

(٢) تفسيرآيات الأحكام ـ جـ ١ ـ ص ١٧٣ محمد على الصابوني مكتبة الغزالي « دمشق » .

(٣) في ظلال القرآن ـ المجلد ١ ص ١٦٥

* **الجهاد في سبيل الله :**

لم يشرع الجهاد قبل بيعة العقبة الثانية إنَّما كان يؤمر بتبليغ هذه الرسالة إلى الناس والصبر على الأذى . « ولكنَّ قريشاً كانت مصرَّة على اقتلاع جذور الإسلام بكل الأساليب الممكنة »[1] بما في ذلك القتل والنفي والتعذيب .

فأذن الله عز وجل لرسوله ﷺ في القتال والإنتصار ممن ظلم المسلمين وبغى عليهم . قال تعالى : ﴿ **أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإنَّ الله على نصرهم لقدير** ﴾[2] .

فبيَّن في هذه الآيات الإذن لهم بالقتال وأنه بسبب الظُّلم الذي وقع عليهم من المشركين ثم بين أنهم إذا انتصروا لن يفسدوا في الأرض كما يفعل أهل الظلم والفساد وإنما سيقيمون الصلاة ويؤتون الزَّكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

ومع الإذن لهم بالقتال رفع للمعنويَّات وتشجيع على القتال في قوله ﴿ **وإنَّ الله على نصرهم لقدير** ﴾ .

ومنذ ذلك الحين دخل الرسول ﷺ في حرب مع أعداء هذا الدين وكانت هذه الحروب تتمثل في أمرين . حروب وقائية وحروب دفاعية .

أولا : الحروب الوقائية : وتشتمل على نوعين :

أ ـ حروب نفسية وقائية

ب ـ حروب عسكرية وقائية

أ ـ الحروب النفسية الوقائية :

وتتمثل في نشر روح الهزيمة في صفوف العدو ومثالها ماقام به الرسول ﷺ ضد أعدائه وأعداء الإسلام في غزوة الأحزاب حيث بعث إلى غطفان يعرض عليها ثلث ثمار المدينة إن هي رحلت وتخلت عن المشاركة في حرب المسلمين وأبدت غطفان ميلا لقبول هذا العرض ولكن الأنصار حينما استشارهم الرسول ﷺ في الأمر قالوا له : إن كان الله أمرك بهذا

(١) الإعلام في صدر الإسلام ـ ص ١٤٥

(٢) الحج / ٣٩

فسمعاً وطاعةً وإن كان شيئاً تصنعه لنا . . فلا والله مانعطيهم إلّا السيف فأخذ الرسول ﷺ برأى الأنصار بعد أن حقق بعض مايريد . وهو إضعاف حدة الروح القتالية لدى فرقه من العدو وفى الوقت نفسه ألهب الحماسة في صدور أصحابه .

ثم أرسل « نعيم بن مسعود الأشجعي » وكان قد أسلم حديثاً ولم يعلم الناس بإسلامه وقال له « خذِّل عنَّا ما استطعت فإن الحرب خدعة »[1] وكان « نعيم » داهية ذكياً فذهب إلى الأحزاب ـ وخذَّل بين يهود بني قريظة من جهة وقريش وغطفان من جهة أخرى فانعدمت الثقة بينهم فتفرقت صفوفهم وضعفت قواهم .

وكانت هذه النتيجة هي المطلوبة من العمل الدعائي الذي قام به نعيم بن مسعود رضى الله عنه . وأحسب أن من هذا الأسلوب ماتقوم به الولايات المتحدة حالياً من التلويح باستعدادها لتقديم بعض المساعدات العسكرية والإقتصادية لبعض الدول العربية . وذلك في حالة عزم إسرائيل على تنفيذ بعض مخططاتها العدوانية ضد بعض العرب الآخرين وهدفها من ذلك إضعاف روح المعارضة عند تلك الدول فيخذل بعضهم البعض حتى تحقق إسرائيل هدفها وتتمَّ عمليتها .

ومن هنا نستطيع أن نقرر أن المقياس الحقيقي لقوة الجيش وضعفه هو بما يتمتع به أفراد قوَّاته من ارتفاع في المعنويات وبما تتمتع به أجزاؤه وقطاعاته من ترابط قوى قائم على أساس متين من التفاهم والنصح والصدق عند اللقاء . لا بما يمتلكه من سلاح وكثرة في العدد والعتاد . وهذا واضح من قوله تعالى : ﴿ **أوَ لَمَّا أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أني هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شىءٍ قدير** ﴾[2].

وواضح أيضاً مما حصل ليهود بني النضير الذين اجلاهم الرسول ﷺ وكان السبب الرئيسي في إجلائهم وانتصار المسلمين عليهم هو أن الله سبحانه وتعالى خذلهم وقذف الرعب في قلوبهم قال تعالى : ﴿ **هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ماظننتم أن يخرجوا وظنُّوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم**

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد ـ ابن قيم الجوزية ـ جـ٣ ص ٢٧٣ مؤسسة الرسالة « بيروت »
(٢) آل عمران/ ١٦٥

يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرُّعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا ياأولى الأبصار ﴾[1] .

وبهذا تعلم سبب ضعف المسلمين اليوم وأنه ليس بسبب قلَّة مايمتلكونه من عدد وعدّة ولكن بسبب الوهن القاتل الذي قذفه الله في قلوبهم وبسبب نزع المهابة من قلوب أعدائهم وهذا ماأخبرنا به رسول الهدى ﷺ أنه سيصيب هذه الأمة . فعن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها « فقال قائل : ومن قلَّة نحن يومئذ ؟ قال « بل أنتم كثير ولكنَّكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوِّكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن » فقال قائل : يارسول الله وما الوهن ؟ قال « حب الدنيا وكراهية الموت »[2].

ب ـ الحروب العسكرية الوقائية : وتتمثل في أمرين سرايا وغزوات .

١ ـ **السرايا الحربية** : ومن الأمور الوقائية التي قام بها الرسول ﷺ إرسال بعض السرايا الحربية وذلك لهدف إعلامي . ومن أشهر تلك السرايا « سرية مؤتة » التي كان سببها اعتداء شرحبيل بن عمرو الغساني على الحارث بن عمير الأزدى بالقتل وكان مبعوثاً من قبل الرسول ﷺ بكتاب إلى ملك الروم بالشام يدعوه فيه إلى الإسلام فلما بلغ الرسول ﷺ نبأ مقتله اشتد ذلك عليه لأن هذا الإعتداء كان بمثابة الإعتداء على أمن الإسلام والمسلمين فجهز جيشاً بلغ عدده ثلاثة آلاف بقيادة زيد بن حارثة لإرهاب هؤلاء الأعداء وفرض المهابة في قلوبهم للمسلمين فذهب زيد بجيشه هذا حتى لقى الأعداء في « مؤتة » وكان عددهم مائة ألف من الروم بقيادة « هرقل » وانتهت الواقعة بانحياز كل فئة عن الأخرى قبل أن يحقق أحد الطرفين نصراً مبيناً .

ومهما يكن من أمر فإن هذه السرية وغيرها من السرايا حققت أهدافها

---

(١) الحشر/٢

(٢) سنن أبي داود ـ لأبي داود ـ جـ٤ ـ ص ١٥٨ ـ مطبعة السعادة .

الإعلامية بنجاح تام والتي من أهمها : إشعار أعداء هذا الدين من العرب والعجم بقوة الإسلام والمسلمين وخطورة الإعتداء على أمن أفراده . ولو لم يفعل الرسول ﷺ هذا الإجراء الخطير ضد المعتدين في الشام لفكَّر الأعداء في الغارة على المسلمين في عقر دارهم ولتكرر مثل هذا العمل منهم ومن غيرهم من أعداء هذا الدين .

٢ ـ **الغزوات الحربية الوقائية** : ومن هذه الغزوات التي قام بها الرَّسول ﷺ ضد أعدائه « غزوة حنين » فعندما علم الرسول ﷺ أن قبيلة هوازن تستعد لمحاربته جهز جيشه وخرج من مكة لقتالهم ولم ينتظرهم حتى يغزو الإسلام في عقر داره ومن غزواته الوقائية أيضاً غزوه ﷺ « بني قريظة » فعندما تأكد له خبر نقضهم للعهد الذي بينه وبينهم قام بعد انصرافه من الخندق بمحاصرة بني قريظة وذلك بأمر من الله حتى أجبرهم على النزول على حكمه ﷺ وحكم فيهم سعد بن معاذ بأن تقتل رجالهم وتقسم أموالهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم . وقد نزل في هذه الغزوة قوله تعالى : ﴿ **وإمَّا تخافنَّ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لايحب الخائنين . ولايحسبن الذين كفروا سبقوا إنَّهم لايعجزون** ﴾[1] فعن ابن شهاب قال : دخل جبريل على رسول الله ﷺ فقال : قد وضعت السلاح ومازلنا في طلب القوم فاخرج فإن الله قد أذن لك في قريظة .

وأنزل فيهم ﴿ **وإمَّا تخافن من قوم خيانة . .** ﴾[2].

والجدير بالذكر أن القرآن الكريم حث أمته على الحروب الوقائية ضد أي عدو قد يهدد أمن الإسلام في حاضره ومستقبله قال تعالى : ﴿ **ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربَّنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجل لنا من لدنك نصيرا** ﴾[3].

(١) الأنفال/٥٨ ، ٥٩

(٢) فتح القدير ـ جـ ٢ ـ ص ٣٢١ .

(٣) النساء / ٧٥ .

فهذه الآية تعطي الضوء الأخضر لشن حملة نفسية وعسكرية والتدخل في الشئون الداخلية لأى دولة من دول العالم إن هى قامت بعمل من شأنه أن يهدد أمن المسلمين أو يحدّ من حريتهم أو يمنعهم من حقوقهم المشروعة حتى ولو كان هؤلاء المسلمون قلة في تلك الدولة وتابعين لها .

فالآية تحتم على المسلمين عدم التأخر في بذل أقصى الجهود لإزالة الخطر وفرض حقوقهم وحرياتهم على الأعداء حتى ولو اضطرهم ذلك إلى الإستمرار في القتال قرناً من الزمن ولاشك أن هذا الأسلوب فيه إعلام لتلك الدولة ولمن خلفها من الدول بخطر التعرض لحرمات المسلمين وهضم حقوقهم والحد من حرياتهم وأن الإقدام على مثل هذا العمل يعتبر من قبيل المغامرة التي قد تكون نتيجتها زوال تلك الدولة ودمارها .

ومن المؤسف حقاً أن يكون الذي يستخدم هذا الأسلوب هم أعداء هذه الأمة وأخص بالذكر هنا « إسرائيل التي استخدمته على أوسع نطاق ضد الدُّول العربية حتى أن « موشى أرنيز » سفير إسرائيل في الولايات المتحدة قال في تصريح له « إن الأوساط العسكرية الإسرائيلية تميل إلى ماأسماه الهجوم الوقائي ضد أية دولة عربية قد تعمل على وضع حد للمزايا العسكرية النوعية التي تتمتع بها إسرائيل حالياً[1] .

وأكبر دليل على تبني إسرائيل لهذه السياسة الإعلامية وتنفيذها بدقة تامة ضربهم للمفاعل النووي في ٧ يونيو عام ١٩٨١ م وقيامها بالهجوم على لبنان ليل نهار وتهديداتها المتواصلة للتدخل في شئون الدول العربية .

ثانياً : الحروب الدفاعية :

فالرسول ﷺ خاض كثيراً من الغزوات الدفاعية وحقق انتصارات باهرة في أغلبها وكان لهذه الإنتصارات وهذه الأحداث صدى إعلامي عظيم في جميع أنحاء الجزيرة العربية مما كان له أثر عظيم في انتشار هذه الرسالة .

ـ ومن أعظم هذه الغزوات « غزوة بدر الكبرى » ولقد انتصر المسلمون فيها

---

(١) جريدة اليوم « السعودية ـ عدد ٣٤١٩ الخميس ٤ مارس ـ ١٩٨٢ ص ٤

انتصاراً ساحقاً قال تعالى-: ﴿ **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون** ﴾(١).

ـ و « غزوة أحد » التي استشهد فيها كثير من الصحابة ولم يحقق فيها المسلمون انتصاراً ظاهراً من النّاحية العسكرية ولكنّهم استفادوا منها دروساً هامة كان لا غنى لهم عنها في حياتهم المستقبلية . قال تعالى : ﴿ **ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذ فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ماأراكم ماتحبون** . . إلى قوله ﴿ **والله خبير بما تعملون** ﴾(٢).

ـ « وغزوة الأحزاب » التي تحزَّب فيها أَعداء هذا الدين من مشركين ومنافقين ويهود للقضاء على هذا الدِّين وأهله قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا** . . إلى قوله ﴿ **إن يريدون إلّا فراراً** ﴾(٣) ولكن الله كفى المؤمنين شر هذه الغزوة وأيدهم بنصره « فأرسل ريحاً عاتية دمرت خيامهم واقتلعت قدورهم وزلزلت صفوفهم »(٤).

آثار هذه الغزوات الإعلامية :

إن هدف الرسول ﷺ من جميع الأساليب الإعلامية التي استخدمها القولى منها والعملي هو تبليغ هذه الرسالة إلى الناس كافة ، وغزوات الرسول ﷺ كانت من أهم الأساليب العملية في تحقيق هذا الهدف العظيم ، وكانت لها آثار واضحة على المستويين الداخلي والخارجي .

أولاً : الآثار الإعلامية على المستوى الداخلي :

١ ـ تقوية البنية الإجتماعية وتماسكها وذلك بفضل شعورهم بالخطر الذي يهددهم دائماً من قبل أعدائهم فتنصرف أنظارهم وأذهانهم عن جميع المشاكل الإقتصادية والإجتماعية التي من شأنها أن تهدد كيان المجتمع . فصدق عليهم قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **إن الله يحب**

(١) آل عمران/١٢٣
(٢) آل عمران/١٥٢ ، ١٥٣
(٣) الأحزاب/٩ ـ ١٣
(٤) الإعلام في صدر الإسلام ص ١٦٩

الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾[1] .

٢ ـ شعور المسلمين بالخطر ربطهم برباط قوى من التواد والتراحم حتى تحقق فيهم قول الله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجَّدا يبتغون فضلاً من الله ورضوانا ﴾[2] .

٣ ـ للجهاد أثر كبير في تطوير الأمة اقتصادياً بسبب مايضيفه للدخل القومي من مكاسب مادية لايعلمها إلا الله . قال تعالى : ﴿ وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجَّل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيما ﴾[3] .

٤ ـ إن استمرار الجهاد والصراع بين الحق والباطل يجعل معنويات الجيش والشعب مرتفعة دائماً مما يحثهم على العمل المتواصل في جميع ميادين الحياة حتى تصير كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى ويتحقق قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾[4] .

٥ ـ انتصار المسلمين على أعدائهم في الوقت الذي كانوا فيه أقل عدداً وعدَّة جعلهم على يقين تام بأن النصر بيد الله وأنه لايهبه إلا لأوليائه فحثهم ذلك على توثيق علاقتهم بربهم قال تعالى : ﴿ لقد نصركم الله في موطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ﴾[5] .

٦ ـ ظهور اليهود على حقيقتهم وماكانوا يبيتونه للرسول ﷺ وأصحابه من عداء ومكر وخداع فأمر الله رسوله الكريم بالتخلص منهم بالقتل أو النفى ففعل بهم ذلك وتخلص المسلمون من شرهم وكان في القضاء عليهم إضعاف لكيد المنافقين ومكرهم لأنهم كانوا يعتمدون على اليهود في معاداتهم للإسلام ويلجؤون إليهم لإعانتهم في الكيد لهذا الدين .

٧ ـ ظهور المنافقين على حقيقتهم « ففي يوم أحد انسحب عبدالله بن أبي بن سلول بثلاثمائة مقاتل من أتباعه »[6] وكان لعمله هذا آثار سيئة على المسلمين من النَّاحية المعنوية التي كانت تعتبر سرّ قوة المسلمين وكان بمثابة الطعنة في الظهر مما جعل المسلمين يأخذون حذرهم منهم بعد ذلك ولايعتمدون عليهم في الشدائد .

---

(١) الصف/٤
(٢) الفتح/٢٩
(٣) الفتح/٢٠
(٤) البقرة/١٩٣
(٥) التوبة/٢٥
(٦) المرجع السابق ـ ص ١٦٧

قال تعالى : ﴿ **وماأصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون** ﴾[1] وهاتان الآيتان فيهما إشارة واضحة إلى هذا الموقف من المنافقين مما يدل على عظمته عند الله وشدَّة وقعه عند المسلمين .

٨ - ومما ينبغي التنبيه عليه هنا هو أن الجهاد أقوى من أى أسلوب إعلامي في توحيد الأمة فلو مثلاً رفع علم الجهاد باسم الإسلام وفتحت الجبهتان الشرقية والتي تتمثل في أفغانستان والغربية وتتمثل في تحرير بيت المقدس فإنَّه ولاشك ستجد العالم الإسلامي كلَّه يشترك في هذا الجهاد ويساهم بكل مايمتلكه من قوة لإزاحة الكفر والطغيان عن الأراضي الإسلامية . وهذا مالا تستطيع جميع أجهزة الإعلام القولية تحقيقه في عدة قرون من الزمن لأن هذا من الأمور التي يستحيل تحقيقها إلاّ بالعمل الفعلي والصِّراع القوي .

ثانياً : الآثار الإعلامية على المستوى الخارجي :

١ - لفتت هذه الغزوات أنظار العرب في كلِّ شبرمن الجزيرة العربية . . وكان ذلك إعلام كبير عن هذا الدين الجديد[2] .

٢ - إعلام الأعداء بقوة الإسلام المطردة والتماسك والإستعداد التام للجيش الإسلامي مما يجعلهم على اقتناع تام بعدم قدرتهم على النيل من هذه الأمة أو القضاء على هذا الدين بالطرق والأساليب التي كانوا يتَّبعونها .

٣ - الجهاد جعل كلمة المسلمين مسموعة ويحسب لها ألف حساب مما جعلهم يؤثِّرون ويتأثَّرون بالأحداث الجارية . وأصبح لهم دور كبير في الحل والعقد في جميع المسائل والقضايا في الجزيرة العربية وخارجها .

٤ - والحقيقة أن الجهاد يكسب المسلمين شرفاً واحتراماً يجعل غيرهم دائماً يطلب ودَّهم ومساعدتهم مما يهيىء فرصة طيبة للمسلمين لنشر فكرهم وعقيدتهم على نطاق أوسع .

فأى إعلام وأى أسلوب يستطيع أن يحقق هذه الأهداف أو جزءاً منها هل هى الصحافة ؟

---

(١) آل عمران/١٦٦ ، ١٦٧

(٢) المرجع السابق - ص ١٦٦

هل هى الإذاعـة والتلفـزيون ؟ أم غيرهمـا ؟ طبعاً لاشىء من ذلك كله يستطيع أن يقوم بهذه الإنجازات سوى الجاد في سبيل الله .

الأعداء وأساليبهم الإعلامية

مامن أحد يريد تغيير الرأى العام وخصوصاً إذا كان هذا التغيير حول مسائل عقدية إلاّ لقي معارضة ومقاومة وأذى شديداً . وإذا تتبعنا جميع الرسالات السماوية من خلال القرآن الكريم نجد هذا المعنى واضحاً كل الوضوح . قال تعالى : ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخـرف القول غرورا** ﴾[1] ولقد لقى الرسول ﷺ من قريش والمنافقين وأهل الكتاب الكثير من الظلم والصدِّ عن سبيل الله بشتى الأساليب الإعلامية .

اولاً : المشركون وأساليبهم الإعلامية :

ويرجع عداء المشركين لهذه الدعوة إلى سببين رئيسيين هما :

١ ـ أن قادة الـرأى العـام في قريش كانـوا يعتقدون أن هذه الدعوة إذا نجحت سيكون لها أثر عظيم على ماكـان لهم من مركز ومنافع مادية وأدبية عظيمة قال تعالى : ﴿ **وقالوا إن نتّبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرما آمناً يجبي إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا** ﴾[2] .

٢ ـ كما يرجـع هذا العـداء الى الحسد والكبر المتأصل في نفوسهم في ذلك الوقت قال تعالى : ﴿ **وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون** ﴾[3] .

هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة عندما قال « أينزل على محمد واترك وانا كبير قريش وسيدها ويترك ابومسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف ونحن عظيما القريتين فأنزل الله هذه الآية ﴾[4] .

---

(١) الأنعام/١١٢
(٢) القصص/٥٧
(٣) الزُخرف/٣٢
(٤) مختصر سيرة ابن هشام ـ ص ٦٨

فظلوا الى جانب حسدهم للرسول ﷺ وكبرهم يرون في هذه الدعوة تهديداً خطيراً لمركزهم ومنافعهم الكبرى بسبب سدانتهم للكعبة « فآلوا على انفسهم منذ ذلك الوقت على أن يبذلوا كل مافي وسعهم للقضاء على هذه الدعوة في مهدها »[1].

وأعلنوا موقفهم بصراحة من هذه الدعوة قال تعالى : ﴿ **وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه** . ﴾[2] فاخذوا في محاربة هذه الدعوة منذ ذلك الحين بشتى الاساليب الاعلامية .

والركيزة الأساسية التي ينطلق منها اعلام المشركين في مواجهتهم لهذا الدين بينها الله سبحانه وتعالى بقوله ﴿ **أرءيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا** ﴾[3] كما بين المقصود من أساليبهم الاعلامية بقوله « ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وماأنذروا هزوا »[4] .

وقال تعالى : ﴿ **يريدون ليطفؤا نورالله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون** ﴾[5] .

بعض أساليب المشركين الإعلامية :

١ - اتهام الرسول ﷺ بالجنون والكذب وبذل كل الجهود الممكنة لاقناع الرأى العام بهذا الاتهام . قال تعالى : ﴿ **وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الآلهة إلها واحداً ان هذا الشيء عجاب وانطلق الملاء منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا الا اختلاق** ﴾[6] .

هذه الآية تشير إلى أسلوب من أساليب الدِّعاية الإعلامية التي قام بها قادة الرأى العام في قريش فرموا صاحب هذه الرسالة بالجنون والسحر والكذب لتشويه سمعته أمام الرأى العام القرشي وللتقليل من شأنه وإثارة المعارضة ضد دعوته ووضع الحواجز النفسية في نفوس العامة لينفروا من الرسول ﷺ ويبعدوا عنه لكى لا يستمعوا إلى الحق فيتأثروا به .

« والحق الذي لا مرية فيه أن كبراء قريش لم يصدقوا انفسهم لحظة وهم يقولون عن

---

(١) الإعلام في صدر الإسلام - ص ١٢٦
(٢) سبأ/٣١
(٣) الفرقان/٤٣
(٤) الكهف/٥٦
(٥) الصَّف/٨
(٦) ص/٤ - ٨

الرسول ﷺ . . أنه ساحر وأنه كذاب إنما كان هذا سلاحاً من أسلحة التهويش والتضليل وحرب الخداع الذي يتقنها الكبراء ويتخذونها لحماية أنفسهم ومراكزهم من خطر الحق »[1] وهذا الأسلوب الذي قامت به قريش ضد الرسول ﷺ يذكرنا بفرعون قوم موسى وهو واقف يخطب في قومه يسخر من موسى ويقلل من شأنه ويثير الرأى العام ضده . قال تعالى : ﴿ **ونادى فرعون في قومه قال ياقوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين** ﴾[2] وفي هذا دليل واضح أن اسلوب المشركين المعارضين لرسالة محمد ﷺ امتداد ونسخة مكررة من أساليب أعداء الرِّسالات السماوية السابقة .

٢ ـ تشويه صورة المؤمنين :

قال تعالى : ﴿ **إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مرُّوا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالُّون** ﴾[3] .

في هذه الآيات إخبار من الله تعالى بأسلوب من أساليب المشركين وهو السخرية من المؤمنين والإستهزاء بهم . فعندما يمرون بهم يضحكون ويتغامزون إحتقاراً لهم وازدراء وفي هذا تشويه لسمعتهم ودعاية ضدهم وتنفير من دينهم والسخرية التي ذكرها القرآن الكريم من المؤمنين وسوء الأدب معهم والتطاول عليهم وقعت من المشركين « ولكنَّها تتكرر في أجيال وفي مواطن شتى وكثير من المعاصرين نشهدها كأنما هذه الآيات قد نزلت في وصفها وتصويرها »[4] .

٣ ـ التشويش الإعلامي قال تعالى : ﴿ **وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون** ﴾[5] .

تدل هذه الآية على الجهود التي بذلها قادة الرأى القرشي للصد عن دين الله عندما شعروا بقوة الحق وتأثيره في النفوس « وأنهم عاجزون عن المواجهة بالحجة والمقارعة

---

(١) في ظلال القرآن ـ المجلد ٥ ص ٣٠٠٨
(٢) الزخرف/ ٥١ ـ ٥٤
(٣) المطففون ٢٩ ـ ٣٢
(٤) المرجع السابق ـ المجلد ٦ ص ٣٨٦٠
(٥) فصلت /٢٦

بالبرهان »[1] فلجؤوا إلى محاولة إقناع الناس بالإعراض عنه وعدم الإستماع إلى الحق الـذي جاء به القرآن الكريم أو بالقيام بالتشويش عليه عند سماعه بالكلام الذي لافائدة منه لاجهاض مفعوله وأثره في النفوس .

٤ - تشويه صورة الرسول ﷺ قال تعالى : ﴿ **وقال الذين كفروا هل ندلُّكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزَّق إنَّكم لفي خلق جديد أفترى على الله كذباً أم به جنَّة بل الذين لايؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد** ﴾[2] .

هذه الآيات تلقي ضوءً على أسلوب من أساليبهم في مواجهة هذه الدعوة وهو « تشويه صورة الرسول ﷺ » وذلك بدعوة الناس للوقوف على حقيقة الرسول ﷺ بطريقة ساخرة فيها تهكم وتشهير بدعوته التي تثير الاستغراب والتعجب لبعدها عن العقل والتصور وهى دعواه « أن الناس يُبعثون بعد الموت ويجزون على أعمالهم في الدنيا » .

وهذا الأسلوب لايعتمد على أى أساس سوى العناد والظلم « لأنهم كانوا يعلمون أن الرسول ﷺ أصدق خلق الله وأعقلهم »[3] .

٥ - التعجيز أمام الرأى العام قال تعالى : ﴿ **بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتي صحفاً منشَّرة** ﴾[4] « قال المفسرون إن كفار قريش قالوا لمحمد ﷺ : ليصبح عند رأس كل رجل منَّا كتاب منشور من الله أنَّك رسول الله »[5] ومعنى ذلك أنه إذا لم ينفِّذ هذا الطلب لن يؤمنوا به لأنهم لادليل عندهم على صدق دعواه أنَّه رسول من عند الله .

وهـذا الأسلوب يهدف إلى إقنـاع العـامـة بعجز الرسول ﷺ عن إقامة الدليل والبرهان القاطع على أنه نبي مرسل من الله - لأن جميع الأنبياء والرسل كانت ترافقهم معجزات مادية تصدِّق دعواهم .

٦ - أسـلوب طلب التقـارب . قال تعـالى : ﴿ **فلا تطع المكـذِّبـين ودوا لو تدهن فيدهنون** ﴾[6] وفي هذه الآية أسلوب جديد اتبعه المشركون عندما شعروا بقوة هذه الـدعـوة وسرعـة انتشـارهـا وهذا الأسلوب هو « الدعوة إلى التقارب بين الإسلام والكفـر » على أساس تقديم التنازلات من كلا الطرفين - فنهاه الله عن قبول هذه

---

(١) المرجع السابق - المجلد ٥ ص ٣١٢٠
(٢) سبأ/ ٧ ، ٨
(٣) تفسير كلام المنان - جـ ٦ ص ٢٦٢
(٤) المدثر/٥٢
(٥) فتح القدير - جـ ٥ ص ٣٣
(٦) القلم/ ٨ ، ٩

المقترحات وأمره بالثبات على الحق والإصرار عليه ـ لأن في هذا إشعاراً للأعداء بأن هذه العقيدة متكاملة الأجزاء والصغير منها كالكبير . . لايجوز التخلي عن شيء منها مهما قدّمت له من التنازلات .

وطلبهم للتقارب هذا إن دلَّ على شيء إنَّما يدل على أن المشركين عقائدهم مزعزعة . يقول سيد قطب رحمه الله « إنهم على استعداد للتخلي عن كثير منها في مقابل أن يتخلى الرسول ﷺ عن بعض مايدعوهم إليه . . فهم ليسوا أصحاب عقيدة يؤمنون بأنها الحق وإنما هم أصحاب ظواهر يهمهم ان يستردوها »[1] .

٧ ـ التهديد والأذى للرسول ﷺ قال تعالى : ﴿ **أرءيت الذي ينهي عبداً إذا صلَّى** ﴾[2] « عن ابن عباس رضى الله عنه في سبب نزول هذه الآية : أن أبا جهل قال : لئن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة لأطأن عنقه فبلغ النبي ﷺ فقال : لو فعل لأخذته الملائكة عياناً »[3] وتبع ابا جهل في هذه الأعمال القبيحة غيره من أهل مكة فكان عمُّه أبولهب من أشد الأعداء والأذية له ﷺ وكذلك زوجه « التي كانت تتعاون معه على الإثم والعدوان . . وتسعى بقدر إمكانها في أذية الرسول ﷺ »[4] .

قال تعالى : ﴿ **تبت يدا أبي لهب وتب ماأغنى عنه ماله وماكسب سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد** ﴾[5] وهذه الآيات التي نزلت في عم رسول الله ﷺ تدل على قوة هذه الدعوة وأن الأساس الذي يقوم عليه الإرتباط فيها هو العقيدة « وأما غيره من الإرتباطات من عروبة وأخوة وعمومة وبنوَّة وغير ذلك من الإرتباطات لاقيمة له والقرآن الكريم فيه دلالة واضحة على هذه الحقيقة قال تعالى : ﴿ **ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهل وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسئلن ماليس لك به علم إني إعظك أن تكون من الجاهلين** ﴾[6] وهذا أسلوب اعلامي غير مباشر يعلم قريشاً بأن دعوة الرسول ﷺ ليس المقصود منها أن يسود بنو هاشم على غيرهم وإنَّما الجميع سواء في هذه العقيدة .

---

(١) في ظلال القرآن ـ المجلد ٦ ـ ص ٣٦٥٨
(٢) العلق / ١٠
(٣) فتح القدير ـ جـ ٥ ص ٤٧٠
(٤) تفسير كلام المنان ـ جـ ٧ ص ٦٨٥
(٥) المسد / ١ ـ ٥
(٦) هود / ٤٥ ، ٤٦

ـ وأما أتباع الرسول ﷺ فإن قريشاً عرَّضتهم لأقصى أنواع العذاب « فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشد الحر . . ليفتنوهم عن دينهم فمنهم من يفتن ومنهم من يعصمه الله منهم »[1] قال تعالى : ﴿ **إنَّ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق** ﴾[2] هذه الآية وإن كان نزولها في أصحاب الأخدود إلا أن لها علاقة مباشرة بالمؤمنين الذين كانوا يلاقون أشد العذاب من قريش وليس لهم ذنب إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد . ومما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **ان بطش ربك لشديد** ﴾ فالمخاطب هنا الرسول ﷺ .

وهذا الأسلوب غير المباشر كثير في القرآن الكريم وهو واضح في القصص والأمثال القرآنية .

٨ ـ وعندما فشلت كل الأساليب التي اتبعوها لجؤوا إلى أسلوب آخر وهو فرض الحصار الإقتصادي والإجتماعي على المسلمين « فاجتمعوا وائتمروا بينهم وكتبوا صحيفة تعاهدوا وتواثقوا فيها على أن لاينكحوا للمسلمين ولاينكحوهم ولايبيعوهم شيئاً ولايبتاعوا منهم ثم علَّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم »[3].

وفي العصر الحديث لجأت الولايات المتحدة إلى هذا الأسلوب ففرضت حصاراً بحرياً على إيران لمنع وصول الإمدادات الغذائية والإقتصادية وغيرهما إليها وفي نفس الوقت قامت بمساعي جادة لتوسيع دائرة المقاطعة الإقتصادية ضد إيران وخاصة من قبل اليابان وأوروبا الغربية »[4] وكان هدفها من اتخاذ هذا الإجراء هو الضغط على إيران لإجبارها على الإفراج عن الرهائن الذين احتجزتهم في ٤ نوفمبر ١٩٧٩ م أو يؤدي ذلك إلى إجهاض الثورة قبل إتمامها . ولاشك أن نجاحها في تحقيق أحد الأمرين يعطي تصوراً خاصاً لما تتمتع به الولايات المتحدة من قوة هائلة في العالم وخطورة معاداتها أو عدم الإعتماد عليها .

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ـ عبدالسلام هارون ص ٦٩ المؤسسة العربية الحديثة ط٣ .
(٢) البروج / ١٠
(٣) انظر « السيرة النبوية » ـ لابن هشام ـ القسم الأول ـ ص ٣٥٠ شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده .
(٤) انظر مجلة « اقرأ » السعودية (عدد ٢٥٢) ص ١٥ الخميس ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩

ردود فعل الرسول ﷺ تجاه أساليب المشركين :

يختلف رد الفعل من الرسول ﷺ باختلاف الزمان والمكان وذلك حسب ماتقتضيه الحكمة . ففي مكة كانت ردود فعله ﷺ تعتمد على الأسلوب السلبي الإيجابي « الصبر» **قال تعالى : ﴿ واصبر على مايقولون واهجرهم هجراً جميلاً ﴾**[1] فعند ماشتدَّ الصراع الإعلامي بين الحق والباطل أمر الله تعالى رسوله الكريم « بالصبر» وهو أسلوب سلبي ولكنه من أهم أسباب النصر في الصراع الإعلامي - فامتثل الرسول ﷺ أمر ربه وضرب للناس أروع مثل على الصبر وقوة التحمل » مما كان له أثر عظيم في بث روح التضحية والصبر بين المسلمين لذا كان هذا الأسلوب لايقل مطلقاً عن الأسلوب الإيجابي من حيث القوة »[2] والتأثير في ميادين الإعلام والتربية والتعليم وميدان العلاقات العامة إذا روعى فيه التوقيت .

وأما ردود فعله ﷺ على أساليب المشركين بعد هجرته إلى المدينة فيختلف كل الإختلاف عنها قبل الهجرة لأننا عندما نعيد النظر في سبب هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة نلاحظ أن السبب الرئيسي هو أن قريشاً تجاوزت الحد في إلحاق الأذى بالمسلمين حتى بلغ إلى ارتداد بعضهم عن الدين وتشريد البعض الآخر . فكان لابد من إيقافهم عند حدهم بأسلوب يتناسب مع مواقفهم وطبائعهم « فأذن الله لرسوله ﷺ وأصحابه بالقتال والإنتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم فكانت أول آية أنزلت في إذنه له بالحرب . . . قوله تعالى : **﴿ أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾**[3] .

ومنذ ذلك الحين أخذ الرسول ﷺ يردُّ بالقوة على المشركين وكل من يقف معها في حربها ضد الإسلام والمسلمين . وكان في هذا الأسلوب إقناع لقريش وأتباعها أن هذا الدين سيعلوا ولاتستطيع قوة مهما بلغت من القضاء عليه أو النيل منه .

ثانياً : المنافقون وأساليبهم الإعلامية :

« لم يكن أمام الكافرين والذين لم يدخلوا في الدين الجديد إلا التظاهر بالإسلام والقيام

(١) المزمل / ١٠
(٢) الإعلام في صدر الإسلام - ص ١٢٨ بتصرف
(٣) تهذيب سيرة ابن هشام - ص ١١٦

بأركانه مع قبائلهم »[1] واعتمدوا في أساليبهم الإعلامية ضد هذه الدعوة على الكيد والمراوغة وفي بعض الأحيان تظهر منهم مواقف علنية عليها طابع النفاق .

قال تعالى : ﴿ **فإذا برزوا من عندك بيَّت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب مايبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا** ﴾[2] .

« فالمنافقون هم الذين يظهرون غير مايبطنون . . . وهم اخطر من الكافرين ولهم النصيب الأوفى . . من الإفساد في الأرض »[3] قال تعالى : ﴿ **ومن الناس من يعجبُك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على مافي قلبه وهو ألدُّ الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد**[4] .

ـ ولقد بين الله سبحانه وتعالى الغرض من أساليبهم الإعلامية المجرمة التي اتبعوها في سبيل القضاء على هذه الدعوة بقوله تعالى : ﴿ **ودُّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله** ﴾[5] يقول سيد قطب رحمه الله في معنى هذه الآية « إنهم لم يضلوا أنفسهم فحسب . . . إنما هم كذلك يبتغون إضلال المؤمنين ﴾[6] وفي الآية دلالة على أنهم كفار ولو نطقوا بالشهادتين « والذي يكفر لا يستريح لوجود الإيمان والمؤمنين في الأرض ولابد له من عمل شاق لرد المسلمين إلى الكفر ليكونوا كلهم سواء »[7] .

أهم أساليب المنافقين الإعلامية :

إن شر ما مُنيَ به النبي ﷺ في مدة إقامته بالمدينة المنورة هو ترويج شائعات المنافقين . وكان أشد هذه الشائعات على النبي ﷺ حادثتان ذكرهما القرآن الكريم لخطورتهما على هذا الدّين .

١ ـ إثارة الفتنة بين المهاجرين والأنصار قال تعالى : ﴿ **هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لايفقهون يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذل ولله العزة ولرسوله**

---

(١) في ظلال القرآن ـ المجلد ٦ ص ٣٥٧٣
(٢) النساء/٨١
(٣) الإعلام الإسلامي ـ ص ٥٩
(٤) البقرة/٢٠٤/٢٠٥
(٥) النساء/٨٩
(٦) في ظلال القرآن ـ المجلد ٢ ص ٧٣١
(٧) نفس المرجع ـ ص ٧٣١

وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون ﴾[1] عن زيد بن أرقم قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر أصاب الناس فيها شدَّة فقال عبد الله بن أبي لأصحابه : لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال : لإن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل »[2] وكان سبب هذه المقولة مارواه البخاري ومسلم في صحيحهما أن رجلاً من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار في غزوة بني المصطلق فاستغاث المهاجري بالمهاجرين كما استغاث الأنصاري بالأنصار . . فسمع ذلك عبدالله بن أبي فقال ماقال[3] وله هدفان أساسيان من هذا الأسلوب .

أولاً : الحث على الحصار الإقتصادي للرسول ﷺ وأصحابه كما فعل القرشيون معهم قبل الهجرة حتى إذا اشتد عليهم الجوع لايجدون مفراً من الخروج من المدينة والتحول إلى مكان آخر .

ثانياً : حث الأنصار على إلقاء عهدهم للرسول ﷺ بمناصرته وإخراجه مع المهاجرين من المدينة بالقوة .

وفي هذا دلالة واضحة على ماكان يبيته المنافقون للرسول ﷺ وأصحابه من حقد وعداء شديد .

٢ ـ حادثة الإفك قال تعالى : ﴿ **إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لاتحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم مااكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم** ﴾[4] وكان سبب نزول هذه الآية كما هو واضح من كتب التفسير هو إفك بعض المنافقين وبعض المؤمنين الصادقين الذين اشتركوا في هذه الشائعة من أمثال حسان بن ثابت بسبب قوة دعاية المنافقين وعلى رأسهم عبدالله بن أبي بن سلول على عائشة رضى الله عنها عندما ارتحل عنها الجيش وكانت معهم في بعض الغزوات فمرَّ بها صفوان بن المعطِّل وكان متأخراً عن الجيش فأناخ راحلته وحملها عليها فلما رأى ذلك أهل الإفك قالوا ماقالوا فبرأها الله مما قالوا »[5].

---

(١) المنافقون/ ٧ ، ٨
(٢) تفسيرات بن تيمية ـ ص ٤٢٢ مطبعة ـ علمي بريس (مالكاؤن)
(٣) فتح القدير ـ جـ ٥ ص ٢٣٢ ـ بتصرف
(٤) النور/ ١١
(٥) فتح القدير ـ جـ ٤ ص ١٥

وسبَّبت هذه الشائعة حرجا لم ير الرسول ﷺ في حياته أشد منه ـ حتى جاء الوحي ببراءتها من هذه التهمة الشنيعة .

« ولـو نجحت إحـدى هاتين الشائعتين في بلوغ الهدف منها لكانت خطراً على الدعوة وصاحبها وكانت كفيلة بهدم الإسلام في مهده . . ولكن الله حمى هذه الرسالة من جميع هذه الشرور والشائعات »[1].

٣ ـ ومن أساليبهم الإعلامية في مواجهة هذه **الدعوة** : إذاعة ونشر كل مايصل إليهم من أخبار الحرب والسياسة سواء أكانت هذه الأخبار مسرَّة أو مسيئة مطمئنة أو مثيرة وبثهم لهذه الأخبار وإشاعتهم لها يستفيد منه أعداء هذا الدين مما يعود بالضرر على الإسلام والمسلمين .

قال تعـالى : ﴿ **وإذا جاءهم أمـر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردُّوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا** ﴾[2] .

فهذه الآية تندد بأسلوب المنافقين هذا وتبين ماكان يوجبه عليهم الإخلاص والطاعة والإيمان وهو إعلام الرسول ﷺ وأولى الأمر منهم بالخبر والوقوف عند هذا الحد حيث ينظر فيه النبي ﷺ وأولوا الأمر ويستعينون بأهل الخبرة في الوصول إلى الحقيقة ويتم التصرف بعد ذلك وفقاً لما تقتضيه المصلحة وفي الآية كما نلاحظ تقرير قاعدة إعلامية جليلة مستمرة وهي :

أنه ليس لرجال الإعلام أن يقوموا بنشر شيء مما يتصل بشئون الدولة وأمنها وسلامتها إلَّا بعد رفعه إلى أولي الأمر منهم وعلى أولي الأمر أن يبذلوا قصارى جهدهم لاستنباط الحقائق من الوقائع معتمدين في ذلك على فهمهم للامور والإستشارة والإستعانة بالخبراء والمتخصصـين في تلك الأمور ثم بعد الدِّراسة والتدقيق يأتي التقرير بما يذاع وينشر وما لايذاع ولاينشر حسب ماتقتضيه المصلحة مع مراعاة التوقيت المناسب .

٤ ـ تحالفهم مع اليهود للقضاء على الإسلام . قال تعالى : ﴿ **بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليما . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزَّة فإن العزة لله جميعاً** ﴾[3].

---

(١) الإعلام في صدر الإسلام ـ ص ٧٣

(٢) النساء/٨٣

(٣) النساء/١٣٨ ، ١٣٩

لقد اغتر المنافقون بما رأوه لدى اليهود من أسباب القوة وذلك بسبب قصر نظرهم وسوء ظنهم بالله « فعقدوا معهم صلحاً لتوحيد جهودهم وكيدهم في موقف المعارضة والقضاء على هذه الدعوة »[1].

٥ ـ تحريض اليهود على الصمود أمام هذه الدعوة : قال تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولانطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنَّهم لكاذبون** ﴾[2].

وفي هذه الآية دلالة على أن المنافقين كانوا يبذلون كل الجهود في مواجهة هذه الدعوة ومنها تحريض يهود بني النضير على الصمود والتصدي للمسلمين وعدم الخروج من المدينة عندما بعث إليهم الرسول ﷺ يأمرهم بذلك فقاموا أيَّاماً يتجهزون فأرسل إليهم المنافق عبدالله بن أبي بن سلول أن لاتخرجوا من دياركم فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم فيموتون دونكم وتنصركم قريظة وحلفاؤكم من غطفان »[3] .

٦ ـ بناء مسجد الضرار : قال تعالى : ﴿ **والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون** ﴾[4] .

وهذه الآية تشير إلى عمل قام به المنافقون وهو بناء مسجد الضرار قرب مسجد قباء بالمدينة المنورة وكان الهدف من إنشائه « الإضرار بالمسلمين والإسلام والكفر بالله وستر المتآمرين على الجماعة المسلمة الكائدين لها في الظلام والتعاون مع أعداء هذا الدين على الكيد له تحت شعار الدين »[5].

فنهاه الله سبحانه وتعالى عن القيام والصلاة فيه بقوله « لاتقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾[6].

فبعث إليه النبي ﷺ من يهدمه ويحرقه فهدم وحرق وصار بعد ذلك مزبلة . وعلى هذا نستطيع اعتبار جميع المنظمات القـــائمة في عصرنا هذا على أساس غير إسلامي

---

(١) في ظلال القرآن ـ المجلد ٦ ص ٣٥٧٣
(٢) الحشر/١١
(٣) تفسير كلام المنان ـ جـ ٧ ـ ص ٣٢٥
(٤) التوبة/١٠٧
(٥) في ظلال القرآن ـ المجلد ٣ ـ ص ١٧١٠
(٦) التوبة/١٠٨

كالتي تدعو إلى الأممية والشعوبية أو إلى القومية أنها تؤدي مايؤدي إليه مسجد الضرار من الإضرار بالإسلام والمسلمين وإن كانت ليست من بابه وبيان ذلك هو أن المنظمة عادة تتكون من أعضاء يمثلون دولهم وشعوبهم فإذا كان من بين هذه الدول من يعتنق ديناً غير الإسلام أو يطبق نظاماً وشرعاً غير نظام الإسلام وشرعه فإن أعضاء هذه الدولة بلاشك سيزنون الامور بميزان ذلك النظام وينظرون إلى الأحداث من خلاله وعلى ضوئه . ولكي تحقق هذه المنظمة بعض التقدم والنجاح في المسائل المطروحة يتحتّم على الأعضاء الممثلين بها التحلي بالمرونة والإستعداد الدائم للتنازل عن بعض آرائهم ومقترحاتهم حتى تقترب وجهات النظر ويصلون إلى حل وسط في تلك القضايا . وقد تكون هذه الحلول في بعض الأحيان على حساب الاسلام ومخالفة لحكمه مما يضر بصالح الإسلام وأهله .

ومن هنا نعلم أن كل عمل فيه ضرر على المسلمين أو معصية لله أو تفريق بين المؤمنين أو معاونة لأعداء الدين فإنه محرم ومخالف لتعاليم هذا القرآن الذي ينهي عن كل مامن شأنه إضعاف هذا الدين وأهله .

وحركة النفاق هذه التي بدأت بدخول الإسلام واستمرت إلى يومنا هذا كان لها أثر واضح في سيرة هذه الفترة التاريخية . . وقد شغلت من جهد المسلمين ووقتهم قدراً كبيراً »[1] ومما يدل على خطورتها وورود ذكرها في القرآن الكريم مرات كثيرة .

ردود فعله ﷺ تجاه هذه الحركة :

المنافقون يشكلون العدو الداخلي المختبىء في الصفوف وهو أخطر من العدو الخارجي الصريح - والله سبحانه وتعالى يأمر نبيّه ﷺ بالحذر تجاه هذا النوع من الأعداء بالذات لخطره قال تعالى : ﴿ **فاحذرهم قاتلهم الله أني يؤفكون** ﴾[2] ولكنه لم يأمره بقتالهم إلاّ المنافقين الذين لم يهاجرون إلى الديار الاسلامية فإنه أمر المسلمين بقتالهم حيثما وجدوا قال تعالى : ﴿ **فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولاتتخذوا منهم ولياً ولانصير** ﴾[3] .

واستثنى من قتال هؤلاء المنافقين ثلاث فرق مذكورة في قوله تعالى : ﴿ **إلاّ الذين**

(١) المرجع السابق - المجلد ٦ - ص ٣٥٧٢

(٢) المنافقون/٤

(٣) النساء/٨٩

يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلَّطهم عليكم فَلَقَتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقتلوكم والقوا إليكم السَّلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها فإن لَّم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً ﴾(١) ويقول سيد قطب رحمه الله تعالى « ويبدوا في هذا الحكم اختيار الإسلام للسلم مع المنافقين حيثما وجد مجالا له لايتعارض مع منهجه الأساسي من حرية الابلاغ . . وكفالة الأمن والإستقرار للمسلمين »(٢) لذا نرى الرسول ﷺ لم يخرج المنافقين من الصف الإسلامي مع شدَّة مالاقى منهم من الأذى والصَّد عن دين الله ـ وعندما قال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه « مر عبَّاد بن بشر فليقتل عبدالله بن أبي عندما كان يحاول الوقيعة بين المهاجرين والأنصار فقال له رسول الله ﷺ « فكيف ياعمر لو تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ؟ لا ولكن أذن بالرحيل . . ثم مشى الرسول ﷺ حتى أمسى وليلته حتى أصبح وصدر يومه ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما »(٣) وهذا الفعل من الرسول ﷺ ليشغل الناس عن الحدث الذي كان بالأمس خوفاً من الفتنة ـ وهذا أسلوب عظيم من الأساليب غير المباشرة في تحقيق هدف من الأهداف المصيرية والهامة بالنسبة للأمة . . وهو أسلوب مستخدم حالياً في إعلامنا المعاصر فنجد وسائل الإعلام لدولة من الدول تركز على حدث من الأحداث لصرف أنظار العالم عن قضية أخرى على جانب عظيم من الأهمية وذلك لغرض معين تريد تحقيقه من وراء ذلك .

ثالثاً : أهل الكتاب وأساليبهم الإعلامية :

« والقرآن الكريم عندما يحدثنا عن أهل الكتاب عموماً واليهود منهم بصفة خاصة نجدهم ناساً لايتبعون ماأنزل إليهم »(٤) قال تعالى : **﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثمَّ لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدي القوم الظالمين ﴾**(٥) فليس غريباً عليهم رفض الدّين الجديد قال تعالى : **﴿ ولما جاءهم**

(١) النساء/٩٠
(٢) في ظلال القرآن ـ المجلد ٢ ص ٧٣٣
(٣) المرجع السابق ـ المجلد ٦ ص ٣٥٧٦
(٤) مدخل إلى القرآن الكريم ـ محمد عبدالله درَّاز ـ ص ١٥١ ـ دار الفكر الكويتي
(٥) الجمعة/٥

رسـول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون ﴾[1] وذلك بسبب الحسد كما هو واضح من قوله تعالى : ﴿ ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق . . ﴾[2] .

والركيزة الأساسية التي ينطلق منها إعلامهم هو أنهم « يعتقدون أن ليس عليهم حساب بشأن الطوائف الأخرى ولا الإلتزام بالعدل »[3] وأنهم شعب الله المختار وهذه هى الركيزة التي ينطلقون منها في معادات كل الشعوب والأديان مستخدمين في عدائهم كل الأساليب الشيطانية قال تعالى : ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لايؤده إليك إلا مادمت عليه قائماً ذلك بأنَّهم قالوا ليس علينا في الأمين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾[4]

ويخبرنا الله تعالى عن موقف أهل الكتاب تجاه هذه الدعوة وهو أعلم بهم بقوله تعالى : ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك »[5] وإذا كان الأمر كذلك فإن الذي لايؤمن بالشيء لايرتاح لوجوده ومن هنا نعلم أن أهل الكتاب سيبذلون كل الجهود المتاحة لديهم للقضاء على هذه الرسالة قال تعالى : ﴿ ودَّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ومايضلون إلاَّ أنفسهم ومايشعرون ﴾[6] وقال تعالى : ﴿ قل يأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء ومالله بغافل عما تعملون ﴾[7] .

والقرآن الكريم عندما أخبرنا عن موقفهم من هذه الدعوة فإنه يخبرنا أيضا عن المقصود من مقـاومتهم لهذا الدين ويضعنا أمام الهدف الحقيقي لأساليبهم الشيطانية انه تحويل المسلمين من دينهم إلى دين أهل الكتاب »[8] .

حتى يكون الجميع سواء في الضلال ولن يرضوا عنهم أبداً حتى يتبعوهم في ملتهم وإلاّ فهى الحرب والصراع المستمر بين الحق والباطل إلى النّهاية قال تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ .

(١) البقرة/١٠١
(٢) البقرة/١٠٩
(٣) المرجع السابق ـ ص ١٥١
(٤) آل عمران/٧٥
(٥) البقرة/١٤٥
(٦) آل عمران/٦٩
(٧) آل عمران/٩٩
(٨) في ظلال القرآن ـ المجلد ١ ـ ص ١٠٠

وعندما نعرف هذا عن أهل الكتاب واليهود منهم بصفة خاصة لانستغرب ماقاموا به من كيد ومكر للقضاء على هذا الدين بشتى الأساليب الإعلامية القولى منها والعملي .

بعض أساليب أهل الكتاب الإعلامية :

كان اليهود يقومون بحملة إعلامية عنيفة ضد الإسلام والمسلمين للتشكيك فيه بأساليب شيطانية تتلاءم مع طبيعتهم التي وصفها الله تعالى بقوله : ﴿ **وإذا خلوا إلى شياطينهم** ﴾ وهذه الأساليب فضحها القرآن الكريم في عدة مواطن سنذكر بعضها .

١ ـ تحريف الكلم عن مواضعه : فكانوا يأوِّلون عبارات التوراة بغير المقصود منها وذلك لأهداف شيطانية المقصود منها « جحود دلالتها على هذه الرسالة الأخيرة ونفى بعض التشريعات والأحكام المنصوصة عندهم والتي يصدقها الكتاب الاخير (القرآن الكريم) .

وتدل وحدتها في الكتابين على المصدر الواحد وتبعاً لهذا على صحة رسالة الرسول ﷺ »[١]

قال تعالى : ﴿ **من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه** . . إلى قوله ﴿ **فلا يؤمنون إلا قليلا** ﴾[٢] .

٢ ـ التشكيك في مصدر هذه الرسالة : قال تعالى : ﴿ **مانسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير** ﴾[٣] .

« إن اليهود كانوا يتخذون من نسخ بعض الأوامر والتكاليف وتغييرها وفق مقتضيات النشأة الإسلامية الجديدة ذريعة للتشكيك في مصدرها »[٤] ويقولون للمسلمين لو كانت هذه الأوامر والنواهي من عند الله لما حصل فيها التغيير والتبديل ولقد اشتدَّت حملة التشكيك هذه عندما جاءت الأوامر من الله تعالى بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة .

فقد كان اليهود يتخذون من صلاة الرسول ﷺ نحو بيت المقدس حجة لهم على صحة دينهم وعندما جاء الأمر بتحويل القبلة شقَّ ذلك عليهم لأن فيه دحضا لحجَّتهم

---

(١) المرجع السابق ـ المجلد ٢ ص ٦٧٥ بتصرف
(٢) النساء/٤٦
(٣) البقرة/١٠٦
(٤) المرجع السابق ـ المجلد ١ ص ٩٩

« فشنُّوا حملة واسعة للتشكيك في مصدر الأوامر التي يكلفهم بها الرسول ﷺ وفي صحة تلقيه عن الوحى »[1] ويبدوا أن هذا الأسلوب قد أثار الشكوك في نفوس بعض المسلمين مما جعلهم يسألون الرسول ﷺ عن سبب ذلك النسخ فنزل القرآن يبين لهم أن ذلك يرجع إلى حكمة الله تعالى الذي يختار الأحسن لعباده ويبين لهم غرض اليهود من هذه الشائعات قال تعالى : ﴿ **ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملَّتهم** ﴾[3] .

٣ ـ التضليل « بالإيمان أول النهار والكفر آخره » : قال تعالى : ﴿ **وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين ءامنوا وجه النهار واكفروا ءاخره لعلَّهم يرجعون . .** ﴾[4] .

فاليهود كانوا يعلمون أن المشركين يثقون بهم وكانوا يرجعون إليهم في كثير من المسائل الهامة ويطلبون رأيهم فيها لأنهم أصحاب كتاب قال تعالى : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين** »[5] والمقصود بالذين كفروا في هذه الآية هم أهل المدينة الذين دخلوا في الإسلام بسبب تيقنهم بأن هذا هو الرسول ﷺ لأن اليهود كانوا يخبرونهم بقرب ظهوره ولكن اليهود لما علموا أنه الحق كفروا به ولم يؤمنوا به حسدا منهم لأن الرسول ﷺ ليس منهم . فأرادوا استخدام الثقة التي كانت موجودة عند العرب بهم للتشكيك في هذا الدين فقالوا نؤمن أول النهار ثم نرتد آخره فإذا علم العرب والمؤمنون بارتدادنا بعد دخولنا في الإسلام سيشكون في أمره ويقولون : لو كان هذا الدين حقاً لما ارتد عنه اليهود بعد الدخول فيه وهم أهل كتاب .

واعتقد أن من هذا الأسلوب ماقام به الرئيس الفرنسي « فرانسوا ميتران » من زيارته لفلسطين المحتلة في ٣ مارس ١٩٨٢ م . ومن المعروف لدى الجميع أن المواقف الفرنسية السابقة لعهد « ميتران » متضامنة مع الحق العربي والفلسطيني

---

(١) نفس المرجع ـ ص ٩٩
(٢) البقرة/١١٥
(٣) البقرة/١٢٠
(٤) آل عمران/٧٢
(٥) البقرة/٨٩

والسبب في ذلك ارتباط مصالح فرنسا الوثيق بالعالم العربي . وزيارة « ميتران » هذه والتي جاءت عقب عدة تصاريح تعبر عن وجهة نظره تجاه العرب وموقفه من قضية فلسطين والتي من أهمّها ذلك التصريح الذي نقلته عنه التايمز اللندنية « في يوم الخميس ١١ سبتمبر ١٩٨١ ونقلته عنها « الجزيرة السعودية » والذي يقول فيه « إنّه لن يقف مطلقاً إلى جانب من يريد تدمير إسرائيل »[١] .

وبهذا يكون قد أعلم العالم بالقول والعمل بموقف فرنسا وسياستها الجديدة تجاه الشرق الأوسط وأنها لم تعد كما كانت إلى جانب العرب بل تحولت تحولاً كاملاً وأصبحت تساعد وتساند إسرائيل اقتصادياً وعسكرياً لضمان استمرار اغتصابها للأراضي العربية تحت ستار المحافظة على أمن إسرائيل المزعوم .

وبهذا الأسلوب القولي والعملي يكون أيضاً قد أعلم جميع الدول التي كانت تخشى على مصالحها وعلاقاتها بالدول العربية أن موقفها هذا تجاه قضية الشرق الأوسط لايضر بمصالحها لدى العرب . لأن التجارب أثبتت أن العرب ليسوا في موقف يسمح لهم بالإضرار بمصالح الدول أو التأثير والتأثر بأحداث العالم فهم لايضرون عدواً ولاينفعون صديقاً والدليل ماثل أمامكم من الواقع فهذه فرنسا التي تعتبر من أشد الدول الغربية اعتماداً في اقتصادها على العالم العربي أقدمت على تخطي كل الحدود في معاداتها للعرب بعد أن كانت أفضل صديق لهم ومع هذا لم ولن تتأثر مصالحها كما كان يعتقد كثير من المراقبين السياسيين في العالم .

ولاشك أن عمل فرنسا هذا سيحث غيرها على انتهاج نفس الخط الذي انتهجته فرنسا دونما خوف أو فزع على مصالحها . وغير مبالية بمشاعر العرب وأحاسيسهم .

٤ ـ اعانة الأعداء في حملتهم الإعلامية ضد هذا الدين .

قال تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا** ﴾[٢].

وسبب نزول هذه الآية هو ماأخرجه الطبري والبيهقي في الدلائل عنه قال : « قدم حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف مكة على قريش فخالفوهم على قتال رسول

---

(١) صحيفة « الجزيرة السعودية » عدد ٣٣٠٣ ص ١ الجمعة ١١ سبتمبر ١٩٨١

(٢) النساء ـ ٥١

الله ﷺ وقالوا لهم : أنتم أهل العلم القديم وأهل الكتاب فأخبرونا عنّا وعن محمد قالـوا ماأنتم ومـامحمد ؟ قالوا : ننحر الكوماء ونسقي اللبن على الماء ونفك العناة ونسقي الحجيج ونصل الأرحام . قالوا : فما محمد ؟ قالوا : صنبور : أي فرد ضعيف قطع أرحـامنـا واتبعـه سراق الحجيج بنو غفار فقالوا : لابل أنتم خير منه وأهدى سبيلا »[1] فأنزل الله هذه الآيات .

وهذا هو شأنهم في الماضي والحاضر وسيظلون يحاربون هذا الدّين بشتى الأساليب الدعائية ويعينون أهل الباطل ولايتركون شيئاً إلا واستخدموه إعلامياً ضد هذا الدين حتى وهم في أضيق الأوقات وأحرجها . فعندما حاصر الرسول ﷺ يهود بني النضير وأمر بتقطيع وتحريق نخلهم « فنادوه أن يامحمد قد كنت تنهي عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها ؟[2] فرد الله عليهم بقوله ﴿ **ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله** ﴾[3] « ولكنهم أحياناً لخبثهم وتمرسهم بالحيل الماكرة ولملابسات العصر الحديث يتبعون في ذلك أساليب غير مباشرة »[4].

ردود فعله ﷺ تجاه أساليب أهل الكتاب :

فالـرسـول ﷺ كان يتبع الأسلوب الذي أمره الله به تجاه أهل الكتاب . فإن اليهود بطبيعتهم الفاشية الغليظة وبأفعالهم اللئيمة لايليق معهم إلا الأساليب التي تعتمد على التهديد والتلويح بالقوة وذلك واضح من قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزّلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحـاب السبت وكـان أمر الله مفعولا** ﴾[5] وفي هذا رد على دعاة التركيز على وسائل الإعـلام لتغيير الـرأى العام الإمريكي وغيره نحو قضايانا العادلة ـ لأنه لو كان الإيمان والانصياع للحق بتبيينه وتوضيحه « لكانت يهود أول من آمنت ولكن يهود كانت لها مصالح ومطامح وكانت لها أحقاد وعناد ومن ثم لم تؤمن ﴾[6] بالحق لمّا عرفته .

وهذه هي طبيعة أهل الكتاب جميعاً فإنهم لن ينصاعوا الى الحق بمجرد توضيحه لهم

---

(١) فتح القدير ـ جـ ١ ص ٤٧٨
(٢) في ظلال القرآن المجلد ٦ ص ٢٨٤٦
(٣) الحشر/٥
(٤) المرجع السابق ـ المجلد ٢ ص ٦٨١
(٥) النساء/٤٧
(٦) المرجع السابق ـ المجلد ٢ ص ٦٧٧

ولن يغيروا موقفهم من هذه الأمة بسهولة لأن الله سبحانه وتعالى بين لنا هدف أهل الكتاب الذي يجمعهم وهو تحويل هذه الأمة عن دينها ولايرضون غير ذلك . قال تعالى : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملّتهم** ﴾[1].

ومن أجل ذلك نهانا عن موالاتهم وطلب العزة منهم لأن العزة لله جميعاً قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياءُ بعض ومن يتولهم منكم فإنّه منهم إن الله لايهدي القوم الظالمين** ﴾[2].

فكان في هذا النهى حاجزاً نفسياً وضعه الله سبحانه وتعالى بين المسلمين وأهل الكتاب وجاء اليوم وفي عصرنا هذا من الحكام العرب من ينادي ويقول إن الصراع بيننا وبين اليهود هو صراع نفسي قبل كل شىء فإذا استطعنا تحطيم هذا الحاجز جاءت المعجزة وانتهى الصراع إلى الأبد .

ولايعلم هذا الزعيم « أن الصِّراع النفسي يحدث دائماً نتيجة لظروف واقعية وموضوعية هي التي تؤدي إليه »[3] ولاشك أن دعوة هذا الزعيم دعوة للإستسلام لا للسلام ومحاولة لتفريق الأمة الاسلامية وتفتيتها وإضعاف روحها المعنوية وتسليم زمامها إلى اعدائها كما فعل غيره ممن يعتبر قدوة لديه من أمثال « مصطفى كمال أتاتورك » وغيره ممن ابتليت بهم هذه الأمة ولا حول ولا قوة إلا بالله .

والحكمة من ذكر أساليب الأعداء الإعلامية المضادة في القرآن الكريم هي « تعليم الجماعة الإسلامية كل شىء عن طبيعة أعدائها وأساليبهم وتحذيرها من كيدهم ومكرهم وتوجيهها إلى المعركة معهم بقلوب مطمئنة »[4] .

ومع الاسف فإن المسلمين اليوم هم آخر من يعلم مايدبر لهم من كيد ومكر وخداع . وهكذا يتضح لنا من هذا العرض البسيط للأساليب الإعلامية من خلال القرآن الكريم أن الصراع الإعلامي المرير كان مستمراً بين الإسلام والمعاندين من الكفار والمنافقين وأهل الكتاب . كما يتضح لنا أن انهزام أهل الباطل والمعاندين لايرجعهم إلى الحق كما أن الحق لايتضاءل أمام باطلهم أو يندحر .

---

(١) البقرة/١٢٠

(٢) المائدة/٥١

(٣) المجلة ـ تصدر في لندن ـ العدد ـ ٣٧ ـ السبت ٢٥/٣١ اكتوبر ١٩٨٠ ص ٧٢

(٤) في ظلال القرآن ـ المجلد ٢ ص ٦٧٢

ونلاحظ من تتبعنا لأساليب الإعلام في القرآن الحكم أن الأساليب القولية والعملية استخدمها كل من الرسول ﷺ والمؤمنين في نشر هذا الدّين كما استخدمها اعداء هذا الدين للقضاء عليه والحيلولة دون انتشاره . ولكن أساليب الإعلام عند الرسول ﷺ وأصحابه كانت تتميز عن غيرها بعدة خصائص جعلتها تتم بنجاح تام مهمتها في إظهار دين الله في الأرض رغم كره الكافرين الشديد ومقاومتهم له أعنف مقاومة بشتى الأساليب والطرق الإعلامية وهذه الخصائص هى ماسنعرض لبعضها في الفصل القادم إن شاء الله تعالى .

الفصل الثالث

الخصائـص

للأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم خصائصه التي تميزه عن غيره تمييزاً واضحاً ونحن في هذا الفصل نحاول أن نعرض لبعض هذه الخصائص بشيء من الإيضاح .

أولاً : الرّبانية :

فالأساليب الإعلامية في القرآن الحكيم مصدرها هو الله العليم الخبير بكل شيء قال تعالى : ﴿ وإنَّك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ قل أنزله الذي يعلم السِّرَّ في السموات والأرض إنَّه كان غفوراً رحيماً ﴾[2] ومعنى هذا أنه يحمل في ثناياه علم الألوهية وحكمَتها ورحمتها وقدرتها »[3] فلا عجب أن تكون هذه الأساليب وافية لجميع ماتتطلبه الإنسانية وقادرة على استيعاب جميع قضاياها في هذه الحياة من العقائد والمعاملات والأخلاق والعبادات وقد روى عن الشافعي أنه قال « ليست تنزل بأحد في الدين نازلة إلا في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها »[4] .

وبما أنها من الله فإن أهدافها وأغراضها وماتحمله من رسالة إعلامية تظفر بقدر كبير من الهيبة والإحترام من قبل المؤمنين مهما كانت مراكزهم الاجتماعية وسلطاتهم الدنيوية .

أمثلة من القرآن :

ومن الأمثلة على مايتمتع به الإعلام القرآني من هيبة واحترام ماقام به الرسول ﷺ وأصحابه من غزو لبني قريظة عند ماجاءه جبريل عليه السلام وقد همَّ أن يضع السلاح بعد الإنتهاء من غزوة الخندق التي وقع فيها نقض العهد الذي كان بين الرسول ﷺ وهذه الطائفة من اليهود

---

(١) النمل/٦
(٢) الفرقان/٦
(٣) ثقافة الداعية ـ ص ٢
(٤) الإتقان في علوم القرآن ـ حـ ٢ ص ١٢٦

ومســاعدة الأحزاب على حرب المسلمين وأخبره بأن الله تبارك وتعالى يأمره يغزو يهود بني قريظة فأخبر الرسول ﷺ المسلمين بذلك وأمرهم أن لا يصلوا العصر الا ببني قريظة فسارع المسلمون الى تلبية أوامـر الله ليقينهم بأن الله لا يأمـرهم بشيء إلا وفيه جلب مصـالح عظيمة لهم أو دفع مضـار جسيمـة عنهم . فحـاولـوا أن لا يصـلي عليهم العصر إلا ببني قريظة وعندما لم يستطع بعضهم الـوصـول إليهـا إلا بعد العشاء الآخرة فإنه لم يصل العصر إلا بها بعد وصوله فاجتمع الصحـابة رضوان الله عليهم بالرسول ﷺ على بئر « انّا » وشدَّدوا الحصار على بني قريظة حتى نزلـوا على حكم سعـد بن معـاذ « الـذي حكم فيهم أن تقتـل الـرجال وتقسم الأموال وتسبي الـــذراري والنســاء فقـال رسـول ﷺ لسعـد « لقـد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعـة أرقعـة »[1] وكـان هذا العمـل الذي أمرهم الله به فيه إعلام لكل من سولت له نفسه أن يغدر بالمسلمين وينقض عهودهم بأن مصيره الفشل والهلاك .

ومن هنـا يتضـح لنـا قيمة هذا الأسلوب في الإعلام ومافيه من جلب الخير ودفع الضر عن المسلمـين . فلذلـك كانوا يسارعون في تنفيذ كل ماجاء من عند الله من أوامر ونواهي وبأسرع وقت ممكن لأنهم يعلمـون أن في ذلـك خيري الدنيا والآخرة . وهذه الحادثة أشار إليها القرآن الكـريم بقـولـه ﴿ **وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً** ﴾[2] .

أما الأساليب الإعلامية التي من وضع البشر فإن رسالتها الإعلامية لا تظفر بهذا المقدار من الإحـترام والهيبـة لأن مصـادرهـا بشرية فلابـد أن تكون أهدافها متأثرة بأهوائهم وأغراضهم الشخصية مما يجعل النفوس تجرؤ على معارضتها وعدم تقبلها كل مارأت في هذه المخالفة تحقيقاً لرغبتها وإرضاء لشهواتها .

ومن الأمثلة على ذلك ماقام به كبير المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول من تحريض لقومه على إخـراج المهـاجـرين من المـدينـة مستقلاً ماوقع بين المهاجرين والأنصار من خلاف عند « ماء المريسيع » في غزوة بني المصطلق وكان هذا موقفاً إعلامياً مناسباً لتحقيق أهدافه فخطب فيهم وهـو يقـول « هذا مافعلتم بأنفسكم أحللتمـوهم بلادكم وقـاسمتمـوهم أموالكم أما والله لو

(١) مختصر سيرة بن هشام ص ١٧٨
(٢) الأحزاب ٢٦ ، ٢٧

أمسكتم عنهم بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم »[1] ولكنه لم يفلح في إخراج المهاجرين من المدينة بهذا الأسلوب الحقير الذي يخدم أهواءه وأغراضه الشخصية وهي الحصول على السلطة التي كان يعتقد أن الرسول ﷺ والمهاجرين هم السبب في انتزاعها منه ولا سبيل إلى الحصول عليها إلا باخراجهم منها .

وكاد هذا الأسلوب أن يؤدي به إلى الهلاك المحقق من قبل قومه بل من أقرب الناس إليه وهو ابنه عبدالله لولا أن الرسول ﷺ لم يأذن بذلك محافظة منه على شعور الأنصار قال تعالى : ﴿ **هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا** ﴾[2] .

ولقد حاول القرشيون وأهل الكتاب بشتى الأساليب الإعلامية النيل من هذه الدعوة ولكنهم فشلوا كل الفشل في تحقيق شيء من أهدافهم لأن هدفهم الوحيد هو تحقيق مصالحهم الشخصية فلا تلقي رسالتهم الإعلامية أي احترام أو استجابة من قبل المستقبلين لها .

مثال آخر من الواقع :

وبعد أن القينا بعض الضوء على هذه النقطة ينبغي لنا أن نأتي بمثال من الواقع لكي تكتمل الصورة وتتم الفائدة « فمن المعروف أن العرب قبل الإسلام كانوا مولعين بشرب الخمر لا يجدون فيه منقصة ولا منكراً وبعد ظهور الإسلام استمر المسلمون على شربه . . ولكن بسبب مايترتب على شربها من مفاسد دينية ودنيوية يدعو إلى ضرورة تركها والإبتعاد عنها جاءت الأوامر من الله تدعو إلى ذلك قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** ﴾[3] فكان لهذا الأمر قوة هائلة في معالجة هذه القضية تفوق قوة جميع الأساليب الإعلامية الوضعية القولى منها والعملي « عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : بينما أنا أدير الكاس على بن ابي طالب وأبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء وأبي دجانة حتى مالت رؤسهم من خليط بسر وتمر فسمعنا منادياً ينادي ألا إن الخمر قد حرمت قال : فما دخل علينا داخل ولا خرج منّا خارج حتى اهرقنا الشراب وكسرنا الغلال وتوضأ بعضنا واغتسل بعضنا من طيب أم سليم ثم خرجنا إلى المسجد وإذا رسول الله ﷺ يقرأ « يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر . . ﴾[4]

---

(١) في ظلال القرآن ـ المجلد ٦ ص ٣٥٧٦

(٢) المنافقون/٧

(٣) المائدة/٩٠

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن ـ ابن جرير الطبري ص ٣٧ ـ جـ ٧ ـ دار المغرب ـ بيروت .

ولقد حاولت الولايات المتحدة الإمريكية وأوربا تخليص مواطنيها من شرب الخمر فأصدروا قوانين بتحريمه وقبل تنفيذ هذه القوانين قاموا بحملة دعائية تمهيدية استخدمت فيها جميع الأساليب الإعلامية المتطورة ولكن هذه الحملة فشلت فشلاً ذريعاً ولم تستطع أن توجد القناعات داخل النفوس بأضرار الخمر وبالتالي قاموا بمخالفة تلك القوانين فزاد الإدمان على شرب الخمور فبلغ في الولايات المتحدة عشرة ملايين وفي بريطانيا مليوناً وفي فرنسا أربعة ملايين »[1] فألغت هذه الدول قوانين المنع لعدم جدواها .

وهكذا يتضح لنا مدى القدسية والإحترام لما تحمله الأساليب القرآنية من أوامر ونواهي وتوجهات عند المسلمين لأنهم يدركون ماتحمله من خير وسعادة في الدارين . فاكتسبت بذلك الفاعلية والتأثير والتوجيه والتغيير مما لا يوجد في غيرها من الأساليب الوضعية مهما كان حالها من القوة والتطور .

ثانياً : التوافق وعدم التناقض :

إذا تأملنا في معاني القرآن الكريم وأجلنا الفكر فيها فاننا سنجد أن الأسس والمبادىء والأهداف والتقريرات الإيمانية والأخلاقية متسقة متطابقة تامة الإنسجام والإحكام يؤيد بعضها بعضاً بالتصديق ويشهد بعضها للبعض الآخر بالتحقيق ولو كان ذلك من عند غير الله لاختلفت الأحكام وتناقضت المعاني وأبان بعضها عن فساد الآخر .

يقول المودودي رحمه الله في هذا المعنى « نرى القرآن الكريم يضع أمامه هدفاً بعينه لا يتغير سواء حين يتحدث عن قصة خلق السماوات والأرض أو حين يشير إلى ظواهر الكون أو يأتي بحوادث من واقع التاريخ البشري »[2] وبذلك تعلم كمال القرآن وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور فلذلك قال تعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً** ﴾[3] .

قال قتادة في معنى هذه الآية « إن قول الله لا يختلف وهو حق ليس فيه باطل وإن قول الناس يختلف . وقال ابن زيد القرآن لا يكذِّب بعضه بعضاً ولا ينقض بعضه بعضا ماجهل الناس من أمره فإنما هو من تقصير عقولهم وجهالتهم »[4] .

---

(١) الخمر بين الطب والفقه ـ محمد على البار ص ٦ ـ مكتبة الرياض الحديثة .
(٢) تفهيم القرآن المودودي ص ١٢
(٣) النساء/٨٢
(٤) تفسير الطبرى ـ جـ ٥ ص ١١٤

وقال الزجاج « ولولا أنه من عند الله تعالى لكان فيه من الاخبار بالغيب مما يسره المنافقون ومايبيتونه (وهو كثير) مختلفاً بعضه حق وبعضه باطل لأن الغيب لايعمله إلا الله تعالى »[1] .

ومن هنا يتضح لنا الفارق العظيم بين الأساليب الإعلامية في القرآن الكريم والأساليب الإعلامية التي هي من وضع البشر كل الوضوح في جانب أهدافها وتنفيذها في جميع الأحوال الإجتماعية والإقتصادية والسياسية فكل مايأتي من البشر إذا أمعنا النظر فيه سنجده مليئاً بالخلط والتناقض فيما هو حق وماهو باطل وماهو خير وماهو شر وماهو صواب وماهو خطأ مما يؤدي إلى الإختلاف والتناقض في الآراء والأهداف وذلك لأن الإنسان تختلف أحواله فتختلف أغراضه فيميل إلى الشيء مرة ويميل عنه أخرى فيوجب ذلك اختلافاً في كلامه وآرائه بالضرورة فلا يصادف إنسان يتكلم أو يعمل في مدة طويلة على غرض واحد وطريقة واحدة .

ويقول سيد قطب رحمه الله في هذا المعنى « فما من نظرية بشرية ومامن مذهب بشري إلا وهو يحمل الطابع البشري . . جزئية النظرة والرؤية . . والتأثر الوقتي بالمشكلات الوقتية وعدم رؤية المتناقضات في النظرية او الخطة التي تؤدي إلى الإصطدام بين مكوناتها إن عاجلاً أو آجلاً . . وهذا ناشيء من طبيعة الادراك البشري المحدود ومن الجهل البشري بماوراء اللحظة الحاضرة فوق جهله بكل مكونات اللحظة الحاضرة . . . وعكس ذلك كله هو مايتّسم به المنهج القرآني الشامل المتكامل الثابت الأصول ثبات النواميس الكونية »[2] .

الذي يهدف إلى تحقيق غرض معين يحكم مبادئه ويحدد العلاقات بين أجزائه بل هذا الهدف هو السبب في وجود هذا الأسلوب الإعلامي أصلاً لذا لانجد تناقضاً او تعارضاً من شأنه أن يحد من فاعلية هذا الأسلوب أو قدراته على الإقناع والتأثير كما هو الحال في الأساليب الإعلامية الوضعية والسبب في ذلك ان الهدف العام من هذا الأسلوب يعتبر قيداً له .

ثالثاً : الواقعية :

المفروض في الأساليب الإعلامية المعاصرة أن تكون متلائمة مع تقدم المجتمع وحضارته في القرن العشرين فتلبي حاجاته الأساسية مع اعطاء صورة صادقة عن أخلاقه وعاداته وتقاليده وذلك كله لابد أن يكون من واقعه وأن تعتمد في تأثيرها وتقدمها على تقصّي الحقائق وتدوينها بأمان ثم نشرها بواقعية وأمان . فتتسم بالصدق والنزاهة وعدم هتك أسرار الناس وعدم

(١) تفسير أبي السعود ـ أبي السعود ـ جـ ١ ص ٧٤٤ مطبعة السعادة القاهرة

(٢) في ظلال القرآن ـ المجلد ٥ ـ ص ٧٢٢

المجاملة والإنحياز فيكون لها بذلك تأثيراً وفاعلية في توجيه المجتمع التوجيه السليم وتؤدى الغرض منها بفاعلية ونجاح تام فتلبي حاجات المجتمع وتعكس تطلعاته للحياة ولكن مع الأسف لاتوجد في العصر الحديث أساليب إعلامية خالية من الذاتية فجميع الأساليب توضع بعناية تامة وبعد دراسة مستفيضة لغرض استخدامها لأهداف معينة بصرف النظر عن مدى صلاحية هذه الأهداف وواقعيتها ولا يمكن لأي إعلام مهما كانت أساليبه أن تكون خالية من الذاتية وذلك لأن العلوم الإنسانية منتمية إلى أوطان أو أشخاص أو مذاهب لهذا فإن التغيير ملازم لها فكلما تغيَّرت الأفكار والأزمان والأشخاص تغيَّرت هذه العلوم وتعددت وتباينت من هنا يمكننا القول بأن الضلال والإنحراف الفكري لم يأت من العلوم الطبيعية بل جاء من العلوم الإنسانية لأن فرصة الكذب والخرافة أوسع والإعلام وأساليبه مرآة لهذه العلوم فكلما تعددت العلوم والأفكار وتباينت تعدَّدت أساليب الإعلام تبعاً لها فتقلب الحقائق حتى تتلاءم مع الأهداف والأغراض ولايستطيع أى إعلام أن يتسم بالحياد والموضوعية في مضمونه مهما كان هذا الإعلام متقدماً لأنه لو حاول ذلك لواجه « العقوبة » الصارمة من الحكومة أو الحزب الحاكم كما أنه قد يتعرض لغضب الجماعات والنقابات والهيئات والأحزاب التي تريد منه أن ينضم إليها[1] .

ولذلك فإن اختيار طريق الواقعية بالنسبة للموضوعات الإعلامية في مجموعها يشكل خطراً على هذا الإعلام ويجعله في موقف صعب لايحسد عليه .

الواقعية في الإعلام القرآني :

أما الإعلام وأساليبه في القرآن الكريم فإنه يختلف كل الإختلاف عن غيره من أنظمة الإعلام وأساليبها لأنه من الله الذي لاتخفى عليه خافية قال تعالى : ﴿ **الذي يعلم السر وأخفى** . . ﴾ فلا يخضع لفلسفة دون فلسفة ولا لجنس دون جنس ولا لنظام دون نظام فهو موضوعي في كل شيء بعيدة مواضيعه عن الأهواء والأغراض الذاتية لأن هدفه الوحيد هو هداية الناس وإرشادهم إلى الطريق الصحيح وإلى مافيه صالح البشرية وسعادتها في الدنيا والآخرة .

ومن هنا يمكننا القول بأن الأساليب الإعلامية في القرآن جاءت لتنير الطريق وتذكر

(١) فن الخبر ـ محمود أدهم ـ ص ٢٢٠ ـ ط ١ بتصرف

بالحقائق مهما كانت هذه الحقائق . وحتى يتضح ذلك يحسن بنا أن نشير الى بعض الأمثلة من القرآن الكريم على هذه الواقعية .

١ ـ فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ماتبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنَّها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين** ﴾[١] .

فهـذه الآية نزلت لتبـين حقيقة المسلمين وخوفهم من قتال العدو في غزوة بدر الكبرى عندما خرج رسول الله ﷺ من المدينة طالباً لعير أبي سفيان التي بلغه خبرها أنها صادرة من الشام فعلمت قريش بخروج الرسول ﷺ فخرج أبوجهل ومقاتلوا مكة ليذبوا عنها وأخذ أبوسفيان بالعير طريق الساحل فنجت وجاء النفير فوردوا ماء بدر فشاور رسول الله ﷺ أصحابه وقال لهم إن الله وعده إحدى الطائفتين إما العير وإما النفير فوافقوا[٢] ولكن آمالهم كانت معلقة بطائفة العير لانها كسب عظيم لامشقة في إحرازه لضعف الحامية فلما ظهر لهم أنها فاتتهم وعلموا أن الطائفة « الموعودة » هي النفير وأن القتال لابد منه صعب عليهم ذلك وأخذوا يتذرعون إلى رسول الله ﷺ ويتوجعون حتى أن الله وصف حالهم بقوله « كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » وفي هذا تصوير بالغ للواقع الذي كان عليه المسلمون في ذلك الوقت العصيب مع أن هذا الخوف الذي كانوا فيه لاداعي له لأن الله قد وعهم بالنَّصر مهما كان حالهم .

« فعن أبي أيوب الأنصاري قال : قال : رسول الله ﷺ وسلم ونحن بالمدينة « إني أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير لعل الله يغنمناهـا ؟ فقلنا نعم فخرج وخرجنا فلما سرنا يوماً أو يومين قال ماترون في قتال القوم ؟ فإنهم قد أخبروا بمخرجكم ؟ فقلنا : لا والله مالنا طاقة بقتال العدو ولكنا أردنا العير ثم قال : ماترون في قتال القوم ؟ فقلنا مثل ذلك فقال المقداد بن عمرو إذاً لانقول يارسول الله كما قال قوم موسى لموسى « إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههُنا قاعدون قال : فتمنينا معشر الأنصار أن قلنا كما قال المقداد أحب إلينا من أن يكون لنـا مال عظيم وقـال : فأنـزل الله على رسـوله ﷺ « **كما أخرجك ربك من بيتك**

(١) الأنفال/ ٥ ـ ٧

(٢) تفسير القاسمي ـ محمد جمال الدين القاسمي ص ٢٩٥٤ ـ جـ ٨ ـ عيسى البابي الحلبي

بالحق »[1] فهذه الآيات ذكرت واقع المسلمين وموقفهم من قتال أعداء الدين وماكانوا فيه من خوف وتردد لا لتوبيخهم أو تشويه صورتهم وإنما اعتبر هذا الموقف منهم موقفاً إعلامياً صالحاً لأن يتلقى فيه المسلمون درساً هاماً يفيدهم في حياتهم المستقبلية فذكَّرهم بسوء موقفهم هذا وبضعف ثقتهم بالله ونبيِّهم لئلا يقع ذلك منهم مرة أخرى .

٢ - ومن الواقعية في الإعلام القرآني وأساليبه أن الرسول ﷺ كان مشغولاً بأمر جماعة من كبراء قريش يدعوهم إلى الإسلام فجاءه رجل أعمى يطلب منه أن يعلمه مما علمه الله فتضجر رسول الله ﷺ منه وعبس في وجهه وأعرض عنه فنزل القرآن الكريم يتكلم عن الواقع ويعلن الحقيقة ويعاتب رسول الله ﷺ عتاباً شديداً ولم يتستر عليه أو يبرر موقفه هذا من الرجل الأعمى الضعيف قال تعالى : ﴿ **عبس وتولى أن جاءه الأعمى ومايدريك لعلَّه يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وماعليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى كلا إنها تذكرة . . ﴾ عبس/ ١-١١**

ويقول سيد قطب رحمه الله « إنَّها المرة الوحيدة في القرآن كلّه يقال للرسول ﷺ « كلا » وهى كلمة ردع وزجر في الخطاب ذلك لانه الامر العظيم الذي يقوم عليه هذا الدين »[2] .

وهو أن الميزان الذى أنزله الله للناس مع الرسل ليقوموا به القيم كلها هو إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وأنه لافضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى فكان ماوقع من الرسول ﷺ فيه خرق لهذا الميزان العظيم فكان لابد من تنبيهه وإعلام الناس بالميزان الحقيقي ميزان الله الذي لاينظر إلى الصور والأشكال وإنما إلى الأعمال الصالحة التي يراد بها وجهه تعالى .

ولم تقتصر الأساليب الإعلامية في القرآن على مراعاة الواقعية في بعض الأحداث وإغفالها في البعض الآخر فكما أنه القى الضوء على بعض المواقف التي أخطأ فيها المسلمون وحذرهم من تكرارها فإنه أيضاً القى الضوء على بعض المواقف الحميدة

---

(١) تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ـ ص ٥٥٥ جـ ٣ ـ دار الشعب القاهرة .

(٢) في ظلال القرآن ـ ص ٣٨٢٤ ـ المجلد ٦

التي وقعت من بعض الصحابة الأجلَّاء فمن ذلك إشادة القرآن الكريم ببعض مناقب أبي بكر الصديق وموقفه العظيم في نصرة الحق في جميع الأوقات والمواطن .

قال تعالى : ﴿ **إلا تنصروه فقد نصره الله إذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إنَّ الله معنا فأنزل الله سكينته** ﴾[1].

ففي هذه الآيات عتاب للمسلمين ومابدا منهم في غزوة تبوك من تردد في الخروج مع رسول الله ﷺ وفي سياق هذا العتاب لم يغفل القرآن استثناء أبي بكر الصديق رضى الله عنه ويذكر الحقيقة من واقع مواقفه التي كان يتميز بها عن غيره من الصحابه الأجلَّاء فيقول « ثاني اثنين إذ هما في الغار » فالقرآن الكريم في هذه الآية نصّ على أن أبا بكر الصدِّيق رضى الله عنه أحد الإثنين الذين توجها إلى الغار ودخلاه فهما سواء في هذا الموقف العصيب وفي التعرض لما يكون من الكفار لو عثروا عليهما .

« والمساواة في هذه الإحتجابة تشهد لأبي بكر بتمام الإستعداد للتضحية من إيمان كامل وعزيمة صادقة وبذل للروح عن طيب خاطر في مؤازرة الرسول ﷺ[2] .

وذكر واقع أبي بكر الصديق رضى الله عنه وحقيقة موقفه في مناصرة الدعوة من أول مهدها إلى أن أظهرها الله تعالى فيه تشجيع له ورفع لمعنويته وإعلام للمسلمين بأن الله لايضيع أجر من أحسن عملا فلتكن أعمالهم مثل أعماله ومواقفهم مثل مواقفه في الإقدام على الحق وعدم التردد أو الخوف من مناصرته .

ومما تقدم يتضح لنا أن القرآن الكريم كان موضوعياً وواقعياً في جميع أخباره ، ولكنَّ هذه الموضوعية وتلك الواقعية لم تصرفه عن بيان الحق وتوضيحه في كل ماينقله لنا من موضوعات لأن نقل الواقع المجرد دون توضيح الحق فيه يعتبر تضليلاً إعلامياً وحجباً للحقيقة ومع الأسف فإننا نرى في الوقت الحاضر كثيراً من المفكرين الإعلاميين ينادون بضرورة الواقعية المجردة في نقل الأخبار والموضوعات دون التعليق عليها أو إبداء أى رأى فيها لأن ذلك في نظرهم قد يؤدي إلى قلب الحقائق أو حجبها أو تأويلها حتى تتلاءم مع أفكار المحللين وتخدم أهدافهم وأغراضهم الشخصية .

وهذا وإن كان فيه شيء من الصواب إلا أن الأخبار والموضوعات إذا نقلت أيضاً

---

(١) التوبة/٤٠

(٢) نفحات القران ـ عبداللطيف السبكي ـ جـ ٣ ـ ص ٤٥ ـ يصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

بكـل مافيها من محاسن ومساوىء فإن القارىء قد يصعب عليه التمييز بين الحق والباطل وربَّما كان الباطل أقوى حجَّة وأظهر بياناً فأخذ به .

فإذا لابـد من الجمـع بين نقل الحقائق بواقعية تامة وأمان ثم التعليق عليها وإظهار الحقيقة مهما كانت هذه الحقيقة . وهذا لايمكن تحقيقه الا إذا أوجد رجل الإعلام المسلم الذي يتقيد بأوامر الله ونواهيه ويهتدي في سلوكه وعمله بالهدى الإعلامي في القرآن الكريم فيتحرى الصدق في الأخبار والموضوعات ثم يدرسها بعناية ويدرس مدى جدواها الإعلامية ثم ينقلها بواقعية وأمان مع إظهار الحق في هذه الموضوعات التي يقدمها مدعومة بالأدلة والبراهين كما هو الشأن في الإعلام القرآني وعندها سيأخذ الإعلام مكانه الحقيقي في قيادة الرأى العام للوصول به إلى الغاية الشريفة التي أنزل القرآن الكريم من أجل تحقيقها وهى إرشادهم إلى مافيه صلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ـ وهذه الغاية هي التي سنعرض لها بالذكر في الخصيصة التالية إن شاء الله تعالى .

رابعاً : شـــرف القصـــد :

إن الأسلوب الإعـلامي النـاجـح المؤثر هو الذي يقوم على شرف القصد والأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم جمع بين الهداية والحكمة والموعظة الحسنة والإصلاح التوجيهي والتربوي والتشريعي وكل مامن شأنه أن يسعد البشر أفراداً وأسراً وجماعات ودولاً في دينهم ودنياهم .

والمتتبـع للقرآن الكريم وأساليبه يدرك بوضوح مدى سيطرة هذا المفهوم على الأفكار والأغراض التي يهدف إليها ولذلك وصفه الله تعالى بقوله ﴿ **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً** ﴾[1] .

فهذه الآية توضح وتبين القصد من إنزال القرآن الكريم وهو هداية الناس إلى أفضل السبل وأصلحها وتبشير المؤمنين الصالحين بالأجر الكبير وإنذار الكافرين بالعذاب الأليم في الآخرة . ويفهم من هذه الآية أن هدى القرآن شامل لصلاح البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة معاً كما أنه عام لجميع الناس .

ويقول سيد قطب رحمه الله في معنى هذه الآية إن القرآن الكريم « يهدي للتي هي أقوم

---

(١) الإسراء/٩

في عالم العبادات وبالموازنة بين التكاليف والطاقات . . . ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض أفراداً وازواجاً وحكومات وشعوباً ودولاً وأجناساً ويقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لاتتأثر بالرأى والهوى . . ويهدي للتي هي أقوم في تبني الدّيانات السماوية جميعها والربط بينها كلها وتعظيم مقدساتها وصيانة حرماتها فإذا البشرية كلها بجميع عقائدها السماوية في سلام ووئام »[1] فاكتسب بذلك صلاحيته لكل زمان ومكان .

من هنا نعلم أن الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم يبني ولايهدم يصون ولايبدد يرفع راية التعاون على البر والتقوى ويصون نفسه عن الدنايا والخوض في الأعراض والحرمات وتلويث سمعة الأبرياء قال تعالى : **﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لاتعلمون ﴾**[2].

ففي هذه الآية بيان لما أعده الله للذين يحبون أن تشتهر الفاحشة وأفعال القبح بين المؤمنين فأخبرنا الله سبحانه وتعالى عما أعد لهم يوم القيامة من عذاب مؤلم وذلك بسبب غشهم لأخوانهم المسلمين ومحبة الشر لهم وجراءتهم على أعراضهم فإذا كان هذا الوعيد الذي ذكر في الآية لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة واستحلاء ذلك بالقلب فكيف بما هو أعظم من ذلك من اظهاره وفعله ؟

« وأسلوب الآية ينطوي على تلقين قوى عام الشمول والإستمرار بوجوب الوقوف من مثل تلك الفئة التي تحب أن تشيع الفاحشة في أوساط المسلمين موقف الشدة ـ والتأديب والتنكيل في كل ظرف ومكان وهذا فيه مافيه من الحق والحكمة »[3] وقال تعالى : **﴿ ولاتقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا ﴾**[4] فالآية تنهي الناس عن اتباع مالايعلم وتأمرهم بالتثبت في كل مايقال ويفعل . ويقول طنطاوي جوهري في تفسيره لهذه الآية « فلا تقل رأيت ولم تر ولاسمعت ولم تسمع ولا علمت ولم تعلم ولا تقل في أحد ماليس لك به علم ولاتتبعه ولاتتكلم فيه بالحدس والظن »[5] لأن الإنسان مسئول أمام الله تعالى عن كل ذلك فحقيق بالعبد الذي سيسأل

---

(١) في ظلال القرآن المجلد ٤ ص ٢٢١ (٢) النور/١٩

(٣) التفسير الحديث ـ حمزة عزة دروزة ص ٣٣ جـ ١٠ ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي

(٤) الإسراء/٣٦

(٥) الجواهر في تفسير القرآن ـ طنطاوي جوهرى ـ ص ١١ ـ جـ ٩ ـ مصطفى الحلبي ـ ط ٢

عما قال وفعل أن يعد للسؤال جواباً وذلك لايكون إلا بكفها عما يكره الله سبحانه وتعالى من الأقوال والأعمال الذميمة .

ويفهم من هذه الآية الكريمة النهي عن التقليد الأعمى في كل الأمور ومنها الإعلام وأساليبه فلا نتبع النظم الإعلامية ولانقلدها في كل ماتشيعه وتفعله فأغلب هذه النظم قائم على كشف أعراض الناس وقذفهم والمساعدة على اشاعة الفاحشة وإثارة البغضاء بينهم . ومع الأسف فإن الإعلام العربي اليوم معظم مادته مستوردة من الوكالات العالمية والتي قامت على تبني هذه الأنـظمة وخدمة أهدافها ولذلك فإنَّها لاتوحي إلى الاعلام العربي وأجهزته إلا بما يتمشى مع أغراضها وأهدافها في تفكيك هذا المجتمع وإضعافه .

وقال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضاً** ﴾[1] .

ففي هذه الآية أيضاً نهى الله عز وجل المؤمنين عن كثرة الظن السيىء لأن الظن غالباً مايكون خالياً من الحقيقة كما نهى عن التجسس والتفتيش عن عورات المسلمين ونهى أيضاً عن الغيبة وهي كما قال رسول الله ﷺ « ذكرك أخاك بما يكره ولو كان فيه » .

فالتثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها هو دعوة ـ القرآن ومنهجه الدقيق في الإعلام فلا جرى وراء الفضائح لجعلها حديث الغادي والرائح ولا إسراع بنشر نبأ قبل التثبت من جلية الخبر وتقدير العواقب في جانب الفرد والمجتمع إذا شاع وذاع . ولا اشتغال بالتافه من الحديث مع العابثين بالقيم ولا مبالغة في قتل الوقت ولا استهتار بعقلية الجماهير ولا استثارة لميولهم الدّنيا وغرائزهم السفلى .

وبذلك نعلم أن الغرض الشريف والهدف النبيل من الأساليب الإعلامية في القرآن الكريم هو الوصول بالناس إلى أعلى مستوى ممكن من الكمال . . بحيث تكون تصرفاتهم وأفعالهم وأفكارهم وميولهم وفق المنهج الذي أراده الله وقد تحقق ذلك كلّه في رسول الله ﷺ لذلك أمرنا الله تعالى بالتأسى به[2] قال تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾[3] ولقد ساهم هذا المفهوم في أهمية هذه الأساليب وفاعليتها وقدرتها على التأثير والتغيير والتوجيه .

---

(١) الحجرات/١٢

(٢) انظر « أصول الدعوة » ـ ٦٨

(٣) الممتحنة/٦

أما الأساليب الإعلامية في العصر الحديث فإن الغرض الأساسي منها هو تأريث الأحقاد بين الطبقات وإثارة الفقراء على الأغنياء وتحريض الأقليات على الأكثرية وبعث النعرات والعصبيات وتقديس تراب الأرض وتفضيله على رابطة العقيدة ـ كما أنها تنفخ أبواق الحرب في غير قضية ولا هدف سوى إرضاء الساسة وسماسرة السلاح الجشعين . كما أن الإعلام في العصر الحديث من أهم أغراضه محاباة السلطة وصرف النظر عن أخطائها وخطاياها من أجل قليل من المال زد على ذلك أن أكثر نظم الإعلام تقوم على تبني الدعوات الشاذة والمبادىء الهدامة التي تفتك بروح المجتمع وتعمل بأوامر الملحدين فتشغل ملايين الشباب بأمور تافهة عن الإهتمام بقضاياهم المصيرية ومشاكلهم الحياتية الرئيسية والتفكير في مستقبل أيامهم وأيام أممهم .

فهذه الدعوات الضالة والرموز المهتزة والمعرفة التي يتضمنها الإعلام اليوم لايمكن أن تكون مخلصة أمينة لأنها قائمة على التعصب الذميم للتراب أو للون أو للعرق .

ولاسبيل للمسلمين اليوم في الخلاص من هذا الضلال والإضلال الذي يعيشونه إلاّ بالعودة إلى المصدر الحقيقي الثابت الذي لايتغير ومحاولة الإستفادة من هديه في الإعلام وأساليبه « عندها لم يبق مجال لهذا الضياع وهذا الوهم وهذه الخرافة في عالم الأفكار ولم يبق مجال للظن والشبهة والفروض الوهمية في عالم البحوث والعلوم[1] فإذا فعلنا ذلك فسيكون لدينا منهج إعلامي أساسه البحث عن الحقيقة مهما كانت بلا إثارة أو افتعال وتقديمها بأسلوب واقعي بلا انفعال أو تشنج وبروح علمية لاتهويل فيها ولا تجريح ، إعلام يحترم الطرح الموضوعي والعلمي احترامه للعقل البشري الذي كرمه هذا الدين الحنيف ، إعلام بيئته الأرض الإسلامية على امتداد مساحاتها وتعدد مواطنها وماتحتضنه من تراث إنساني رائع ، إعلام يحترم القيم النبيلة والأفكار البناءة يسعى بذلك كله إلى عقل القارىء ووجدانه .

---

(١) في ظلال القرآن ـ المجلد ٤ ـ ص ٢٢٢٧

الباب الثاني : نماذج من الأسلوب الإعلامي في القرآن وطرق تأثيره .

أولا : أسلوب الخبر في القرآن .

ثانياً : أسلوب القصة في القرآن .

ثالثاً : أسلوب المثل في القرآن .

رابعاً : أسلوب الحكيم في القرآن .

الفصل الثاني : بعض طرق تأثير القرآن الكريم .

أولا : ذكر الحقيقة .

ثانياً : التوليد .

ثالثاً : التدرج .

رابعاً : التذكير .

خامساً : التكرار .

سادساً : التشويق .

« الباب الثاني »

نماذج من الأسلوب الاعلامي في القرآن وطرق تأثيره

عمل القرآن الحكيم من خلال إعلامه عن أغراضه المختلفة بالعديد من الأساليب وطرق التأثير . بعضها أشرنا إليه في الباب الأول والبعض الآخر لم نشر إليه . . والجدير بالذكر أن هذه الأساليب تارة تكون متداخلة وتارة تأتي على شكل انفرادي حسب ماتقتضيه الحكمة الإعلامية . وهي في كلتا الحالتين أساليب أصيلة لا غنى لأى إعلام عنها في جميع الأجيال . والباحث يستعرض في هذا الباب نماذج أخرى من أساليب القرآن الإعلامية وبعضاً من طرق تأثيره محاولاً بذلك إعطاء صورة أوضح عن الأسلوب الإعلامي في القرآن .

الفصل الأول

نماذج من الأسلوب الاعلامي في القرآن

أولاً : أسلوب الخبر :

أهمية الخبر الإعلامي :

إن أهمية الاخبار ليست وليدة العصور الحديثة وإنما هي قديمة قدم الدهر لارتباطها بالصفات الإنسانية والإجتماعية في نفوس البشر . ورغبة الإنسان في معرفة الأخبار ناشئة عن طبيعة أصيلة لديه وهى أنه يكره الألغاز ويضيق ذرعاً بالمعميات وذلك أن تطوره كامن في كل ما هو معلوم فإذا أضاف جديداً إلى معلوماته ازداد يقيناً وإدراكاً لعالمه وازداد اطمئناناً وسار خطوات على درب التقدم « وقد جاء في كتاب تاريخ التيمس ـ وهى صحيفة انجليزية مشهورة : أن الخبر هو تسجيل لمحاولات الفرد المثابر نحو اختراق رداء ذلك الغموض بعيد المدى الذي يكتنف أفقه »[1] وهذا التعريف يوضح مالدى الإنسان من الفضول وحب الإستطلاع على كل مايجري ويحدث حوله . وإذا راجعنا القرآن الكريم نجد مصداقاً لهذا التطلع قال تعالى : ﴿ **وقلنا ياآدم اسكن أنت و زوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوٌ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين** ﴾[2] ، فقد كان حب الإستطلاع هذا هو الذي أدى بهم إلى ارتكاب أول خطيئة في الجنة وذلك أن الشيطان جعله مدخلاً للتأثير على آدم وحواء وإقناعهما بالأكل من الشجرة حيث أخبرهما بأنها شجرة الخلد والملك الذي لاينتهي أبداً وبدافع من حب الإستطلاع والوقوف على الحقيقة أكلا من الشجرة ووقعا في الخطيئة التي كانت سبباً في إخراجهما من الجنة .

---

(١) دراسات في الفن الصحفي ـ ابراهيم امام ـ ص ٩٥ ـ الأنجلو المصرية .

(٢) سورة البقرة : الآية ٣٥ ، ٣٦.

ويقول محمد عطا في كتابه « الأسلوب الإعلامي والعلاقات العامة » « إن الإنسان لايستطيع أن يعيش من غير أن يلم بالأحداث التي تتصارع من حوله سواء في محيطه أو المحيط العالمي كما أنه لا يستطيع أن يحيا من غير أن يجدد ويزيد معارفه وثقافته وإلا أحس بالجمود والركود وبالرتابة والملل » .

لهذا أصبحت اهتمامات الناس وتلبية رغباتهم هي شغل الإعلاميين الشاغل فقد حرصوا على التأكيد على ضرورة جمع الأخبار الداخلية والخارجية التي يهتم بها الناس وصياغتها بالأسلوب الذي يشبع هذه الأهتمامات ويرضيها مهما كانت هذه الإهتمامات رفيعة أو وضيعة . فجميع الإعلاميين يتمسكون في تعريفاتهم للخبر الإعلامي « باهتمام الناس « كشرط أساسي لإطلاق صفة الخبر على كل وصف أو تقرير عن حدث بدون قيد لهذا الإهتمام أو تمييز .

« ولقد لعب هذا الشرط دوراً خطيراً في حياة المجتمعات إذ أدى إلى انصراف هذه الأجهزة عن الأخبار الجادة المفيدة وانصراف الناس معها إلى أخبار الرقص والغناء والممثلين والممثلات . . وعلى هذا قيست أهمية الخبر وقيمته بعد أن حصرت وظيفته في تلبية اهتمامات الناس بهذا الإطلاق غير المتحفظ »[١] .

وأما إذا تتبعنا الأخبار الإعلامية في القرآن الكريم نجده استثمر هذه الإهتمامات وجعلها مدخلاً لقلوب الناس ومشاعرهم في محاولاته لبناء الإنسان وتربيته وتوجيهه لأن صلاح الإنسان شرط في صلاح الحياة وفساده ضمان لفسادها لذا نرى القرآن الكريم حاول ترقية اهتمامات الناس قبل تلبيتها لأن تلبيتها قبل الترقية أو بعد إفسادها لا يؤدي إلاّ إلى الدمار والهلاك .

معنى الخبر في اللغة والإصطلاح :

معنى الخبر في اللغة :

من (خَبْرتُ) الشيء أخبره من باب قتل خُبْراً علمتُه فأنا خَبيرٌبه واسم مايُنقلُ ويُتَحدث به خَبر والجمع أخبارٌ » [٢]

---

(١) الإعلام في ضوء الإسلام - عمارة نجيب - ص ٢٤٥ - مكتبة المعارف بالرياض

(٢) احمد بن محمد المقرى الفيومي - المصباح المنير - جـ ١ - ص ١٦٢ - المكتبة العلمية - بيروت

معنى الخبر في اصطلاح البلاغيين :

يقسم أهل البلاغة الكلام إلى قسمين خبر وإنشاء :

فالخبر عندهم هو : الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته أي يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب وذلك بأن تكون النسبة الكلامية المفهومة من الكلام مطابقة لما في الخارج والواقع فيكون الخبر صدقاً والمخبر به صادقاً أو غير مطابقة له فيكون الخبر كذباً والمخبر به كاذباً . كقولك (جاء زيد) و (ان الأمير منتصر) . و (ان الحق يعلو ولا يعلى عليه) .

وأما الإنشاء فهو : الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته ولا يصح أن يقال لقائله انه صادق فيه أو كاذب[1] كقوله تعالى : ﴿ **عسى الله أن يأتي بالفتح** ﴾ وقوله : ﴿ **ياحيى خذ الكتاب بقوة وقوله** : ﴿ **لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ .

وجدير بالذكر هنا ان الإعلاميين ذهبوا أيضاً في تقسيمهم للفن الإعلامي والصحفي إلى مايشبه التقسيم البلاغي للكلام « حيث قسم الإنجليز الفن الصحفي إلى قسمين رئيسيين أما القسم الأول فهو الأخبار وأما القسم الثاني فهو المعالم وهذا القسم الثاني يهتم بتوضيح معالم الأنباء والأفكار . فالخبر يعطي الحقيقة مجردة أما المعالم فتفسر ماوراء الخبر »[2] .

ولقد ذهب الإعلاميون الإمريكيون إلى مايشبه هذا التقسيم للفن الصحفي حين قال (ليستر ماركل محرر (النيويورك تايمز) في محاضرة له بمعهد الصحافة الدولية :

* أن تقول « إن لكرملين شن حملة سلام » فهذا نبأ .
* وأن تقول « لماذا شن لكرملين حملة السلام في هذا الوقت بالذات » ؟ فهذا تحليل النبأ .
* وأن تقول « إنَّه ينبغي أن نحترم حملة السلام التي شنها الإتحاد السوفيتي » فهذا رأى وينفرد به كتاب الأعمدة الصحفية . .[3] .

وإذا تأملت هذا التقسيم فقد تخرج منه بفهم مفاده أن الخبر عند الإعلاميين هو ما احتمل التصديق أو التكذيب في ذاته وأن المعالم هي التي لا تحتمل التصديق أو التكذيب في ذاتها كالآراء التي تتضمنها الإفتتاحيات والمقالات والتحقيقات بأنواعها .

---

(١) د. احمد النادي شعلة : البلاغة (علم المعاني القسم الاول) ص ١١٣ ـ دار الطباعة المحمدية بالأزهر « القاهرة » .
(٢) دراسات في الفن الصحفي ـ ص ١٣٩
(٣) ابراهيم وهبي ـ الخبر الإذاعي ـ ص ٦٨ ـ ط ١ ـ دار الفكر العربي ، القاهرة .

معنى الخبر في اصطلاح الإعلاميين :

لم أقف على تعـريف من التعـريفات احتار فيه علماء فن من الفنون كتعريف علماء الإعلام للخبر الإعلامي حيث بلغوا به مالايقل عن مائة تعريف هذا مع اعترافهم في كثير من تصريحاتهم التي أدلـوا بها بالعجـز عن وضـع حد جامـع مانـع له ، وإليك ماقـاله د . محمود أدهـم في هذا الصدد : « من الملاحظ أن « تعريف الخبر » هو مسألة حار فيها العلماء واختلفت حولها الآراء وهذه الحيرة وهذا الإختلاف لم يولد اليوم فقط بل يعودان إلى أكثر من قرن من الزمان »[1] ويقول د . ابراهيم وهبي أيضاً ـ « بالرغم أن السؤال عن مفهوم لفظ الخبر يبدوا سؤالاً ساذجاً أو لمجرد تضييع الوقت في البحث عن البديهي وإثبات ماهو ثابت إلا أن البحث في ايجاد معنى محدد لمعنى كلمة « الخبر » امتد في أعماق الماضي وقد يمتد إلى المستقبل »[2] .

ولا يسـع البـاحث إلا أن يقـرر حقيقـة أن هذه الحـيرة التي اكتنفت رجال الإعلام في مجال تقـديمهم لتعـريف الخـبر قد انعكست عليه وأصبـح في حيرة من أمـره في اختيار أفضـل هذه التعـريفـات وأقربها إلى الصواب ـ فهل يقدم التعريفات جمعها ويضيف إليها تعريفاً آخر ؟ أم يكتفي بتقـديم تعريف واحد يرى أنه التعريف الأمثل للخبر ؟ أم ماذا ؟ وبعد التفكير ملياً في هذا الـوضع رأى كحل وسط أن يقتصر على التعريف الذي قدمه د . محمود أدهم كبديل لبقية التعريفات بالإضافة إلى تعريف آخر رأى صاحبه أنه جمع فيه محاسن أكثر التعريفات الأخرى .

تعريف د . محمود أدهم :

« الخـبر : وصف موضوعي دقيق تطلع به الصحيفة أو المجلة قراءها في لغة سهلة واضحة وعبارات قصيرة على الوقائع والتفاصيل ـ والأسباب والنتائج المتاحة والمتابعة لحدث حالي أو رأى أو موقف جديد لافت للنظر أو فكرة أو قضية أو نشاط هام تتصل جميعها بمجتمعهم وأفراده ومافيه أو بالمجتمعات الأخرى كما تساهم في توعيتهم وتثقيفهم وتسليتهم وتحقيق الربح المادي لها »[3] .

تعريف جلال الدين الحمامصي :

« الخـبر الصحفي هو كل خبر يرى رئيس التحـرير أو رئيس قسم الأخبار في جريدة ما بأنه

---

(١) فن الخبر ـ ص ٩ ، ط ١ .

(٢) الخبر الإذاعي ـ ص ٦٨ ، ط ١ .

(٣) فن الخبر ـ ص ٤٢ ، ط ١

جدير بأن يجمع ويطبع وينشر على الناس لحكمة أساسية هي : أن الخبر في مضمونه يهم أكبر جمع من الناس ويرون بفيادته إمَّا فائدة ذاتية أو توجيها ما لأداء عمل أساسي أو تكليفاً بواجب معين إلى آخر مايراه الناس واجباً يتحتم على الصحافة كأداة من أدوات الإعلام أن تؤديه نحوهم »[١] .

وفي ضوء هذين التعريفين وغيرهما يمكنني القول أن الخبر هو كل مااحتمل التصديق أو التكذيب في ذاته كما هو معلوم ولكن ليس كل خبر صالح أن يكون خبراً إعلامياً بل هناك مواصفات قدمت على شكل تعريفات للخبر لابد للمشتغلين في هذا الحقل من معرفتها ومراعاتها عند اختيار الأخبار الصالحة للنشر فكلما كان الخبر مشتملاً على هذه المواصفات أو جلها كلما كانت فرصته أكبر في الحصول على امتياز النشر عبر وسائل الإعلام المختلفة من بين آلاف الأخبار التي ترد يومياً إلى قسم الأخبار . ومن هذه المواصفات على سبيل المثال لا الحصر : أن يكون الخبر حديثاً بمعنى أنه ابن يومه ، ومثيراً بمعنى أنه ملفتاً للأنظار ، وذا فائدة تعود على أكبر عدد من الناس ، وجادا بمعنى أنه يتعلق بالاحوال والمواقف الهامة التي من شأنها التأثير في حياة الناس اليومية . وظريفاً بمعنى أنه مسلياً ومرفها عن القارىء . . . إلخ .

تعريف الخبر القرآني :

وقبل التعرض للخبر القرآني يحسن بي الإشارة إلى أن كلمتي (خبر ونبأ) وردتا في القرآن في العديد من الآيات كما وردتا في حديث مروي عن علي رضي الله عنه اخرجه الترمذي في فضائل القرآن يقول فيه : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : ألا إنها ستكون فتنة قلت : فما المخرج منها يارسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم وخبر مابعدكم وحكم مابينكم . . »[٢].

وهذه الظاهرة في حد ذاتها جعلتني أتساءل عن الفرق بين لفظتي (خبر ونبأ) هل هما كلمتان مترادفتان ؟ أم هناك فرق بينهما ؟ فرجعت إلى كتب اللغة ولكني لم أعثر على أحد فرَّق بينهما حتى كاد أن يكون هناك إجماع على أنهما كلمتان مترادفتان لولا ماروى عن الرغب أنه قال : « النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاث . . »[٣] . ثم لجأت إلى كتب الإعلام لعلي أجد تعليلاً لهذه الظاهرة ولكن

(١) نفس المرجع ـ ص ١١ .
(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول حـ ٨ ص ٤٦٢
(٣) الزبيدي ـ تاج العروس ـ حـ ١ ، ص ١٢١ ـ دار مكتبة الحياة بيروت

النتيجة لم تكن أحسن حظاً من سابقتها حيث لم أجد أيضاً أحداً من رجال الإعلام فرق بينهما إلا ماكان من د. محمد فريد عزت الذي قال بعد استقرائه للآيات القرآنية التي وردت فيها كلمتي (خبر ونبـأ) . إن القرآن الكريم استعمل كلمتي (النبأ والخبر) بمعنى التحدث عن الماضي وإن كان قد فرق بينهما في المجال الذي استعملا فيه جرياً على ماقام عليه نظمه من دقة وإحكام وإعجاز . فاستعمل (النبأ والأنباء) في الإخبار عن الأحداث البعيدة الغور زماناً أو مكاناً والتي لفها الزمن في أطوائه وكذلك في الأخبار الصادقة العظيمة التي لها خطر وشأن على حين استعمل (الخبر والأخبار) في الكشف عن الوقائع القريبة العهد بالوقوع أو التي لاتزال مشاهدها قائمة ماثلة للعيان »[١] .

ولكن المتتبع للآيات القرآنية التي وردت فيها كلمتي (خبر ، وقصة ، ونبأ) إذا أمعن النظر فيها ربما توصل إلى فهم يخالف مذهب د. محمـد فريد عزت ذلك أنه سيجد الآيات التي وردت فيها كلمة خبر يكون متعلقها دائماً خاص بالمستقبل القريب العاجل أو البعيد الآجل .

مثـال المستقبل القريـب : قوله تعالى : ﴿ **إذ قال موسى لأهله إنِّي آنست ناراً سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلو ن** ﴾[٢] .

مثال المستقبل البعيد : قوله تعالى : ﴿ **يومئذ تحدث أخبارها** ﴾[٣] .

كما أن المتتبـع سيجـد الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمة (قصة) متعلقها دائماً الحاضر إذا اقترنت بكلمة (نبأ) كما في قوله تعالى : ﴿ **تلك القرى نقص عليك من أنبائها** ﴾[٤] .

وقـولـه تعـالى : ﴿ **كذلـك نقص عليـك من أنباء ماقد سبق** ﴾[٥] . وأما إذا وردت كلمة (قصـة) دون اقـترانها بكلمـة (نبـأ) في آية واحـدة تعـين تعلقها بالماضي كما في قوله تعالى : ﴿ **ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلَّم الله موسى تكليماً** ﴾[٦] .

وقوله تعالى : ﴿ **ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك** ﴾[٧] .

أمـا المتتبـع لكمـة (نبـأ) في الآيات القـرآنية فسيجـد أن متعلقـه عام فقد يأتي مرة متعلق

---

(١) دراسات في فن التحرير الصحفي ـ ص ٢٠ ، ط١ .
(٢) سورة النمل : الآية «٧» .
(٣) سورة الزلزلة : الاية «٤» .
(٤) سورة الأعراف : الآية «١٠١»
(٥) سورة طه : الآية «٩٩»
(٦) سورة النساء : الآية «١٦٤»
(٧) سورة غافر : الآية «٧٨»

بالأحداث الماضية ومرة بالأحداث المستقبلة ومرة أخرى بالأحداث الجارية ولكن يتعين تعلقه بالماضي إذا اقترنت به كلمة (خبر أو قصة) .

الأمثـــلة :

* من الأمثلة على تعلق النبأ بالأحداث الماضية قوله تعالى : ﴿ **واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قرَّبا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر** ﴾[1].

* مثال تعلق النبأ بأحداث المستقبل قوله تعالى : ﴿ **لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون** ﴾[2] ، وقوله تعالى : **يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين** ﴾[3] .

* مثال تعلق النبأ بالأحداث الجارية قوله تعالى : ﴿ **فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين** ﴾[4] ، وقوله تعالى : ﴿ قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ﴾[5] لان المراد بالنبأ هنا القرآن العظيم .

* مثـال النبـأ في حالة تعين تعلقه بالماضي لوروده مع كلمة (خبر) قوله تعالى : ﴿ **يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لاتعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم** ﴾[6].

* وأمـا مثال النبأ في حالة تعين تعلقه بالماضي لوروده مع كلمة (قصة) قوله تعالى : ﴿ **ذلك من أنباء القرى نقصه عليك . .** ﴾[7].

وعـلى هذا يستـطيع الباحث أن يقرر أن القصة تكون للأحداث التي وقعت في الماضي وأن الخـبر للأحداث التي ستقع في المستقبل القريب العاجل أو البعيد الآجل وأما النبأ فهو عام قد يستخـدم للأحداث الماضية وللأحداث المستقبلية كما يستخدم للأحداث الجارية وأنه يتعين تعلقه بالماضي إذا اقترن بأحد اللفظين (خبر أو قصة) .

وفي ضوء ماسبق يمكنني القــول أن **الخـبر القـرآني** : هو الخـبر المتعلق بحـدث سيقـع في المستقبـل القـريب العـاجل أو البعيد الآجل والذي يتضمن تبشيراً أو إنذاراً أو وعداً أو وعيداً بقصد التأثير على المستقبل وتوجيهه التوجيه السليم الذي يكفل له سعادة الدارين .

---

(١) سورة المائدة : الآية «٢٧»
(٢) سورة الأنعام : الآية «٦٧»
(٣) سورة الحجرات : الآية «٦»
(٤) سورة النمل : الآية «٢٢»
(٥) سورة ص : الآية «٦٧»
(٦) سورة التوبة : الآية «٩٤»
(٧) سورة هود : الآية «١٠٠»

أمثلة على الخبر القرآني :

والآن وبعد أن تكلمنا عن الخبر وأهميته يحسن بنا أن نقدم بعض الأمثلة من الأخبار الإعلامية في القرآن وبيان أغراضها :-

مثال ١ : حينما ظهر الفرس على الروم فرح المشركون لذلك لأنهم ليسوا أهل كتاب مثلهم وحزن المسلمون لأن الروم أهل كتاب فنزل القرآن الكريم ليطمئنهم بالنصر على كفار قريش ويخبرهم بأن الروم ستغلب الفرس في السنوات القليلة القادمة . وهذا من الأمور الغيبية التي أخبرها الله قبل وقوعها وحدثت في زمان من أخبرهم الله بها من المسلمين والمشركين قال تعالى : ﴿ **الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم** ﴾[1] .

مثال ٢ : كان القرآن الكريم يعد المؤمنين من وقت لآخر بالأمن والنصر على الأعداء وذلك فيه تخفيف عنهم ورفع لمعنوياتهم قال تعالى : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنهم من بعد خوفهم أمنا** . . . ﴾[2] .

روى عن أبي العلية أنه قال : في سبب نزول هذه الآية « كان النبي ﷺ وأصحابه بمكة يدعون إلى الإسلام وهم خائفون حتى أمروا بالهجرة إلى المدينة وأذن لهم بالقتال وكانوا بها خائفين . . . ثم أن رجلاً من أصحابه ﷺ قال : يارسول الله أبد الدّهر نحن خائفون هكذا ؟

مايأتي علينا يوم نأمن ونضع فيه السلاح ؟ فقال رسول الله ﷺ لن تغبروا إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبياً ليس فيهم حديدة فأنزل الله : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض** . . ﴾[3] وهذا السبب يعطينا فكرة واضحة عن المناخ الذي نزلت فيه هذه الآيات وهو مناخ ساخن مشحون بالخوف والفزع الذي يخيم على المسلمين بسبب الحروب المتتابعة التي شنت عليهم من قبل أعداء هذا الدين من كل جانب مما جعل بعض الصحابة يضيق صدره عن كتمان مايجده هو وأصحابه من شدة وهلع ويشكو إلى الرسول ﷺ حالهم . فجاءت هذه الآية في الوقت المناسب لتبشر المؤمنين وتقرر حقيقة سنها الله في الكون وهي أن النصر والعاقبة الحسنة لابد وأن تكون للمؤمنين بالله ورسله مهما كانت

(١) سورة الروم : الآيات من ١ - ٥

(٢) سورة النور : الآية «٥٥»

(٣) فتح القدير - جـ ٤ ، ص ٤٩

الـظروف والأحوال وهذا فيه من إزالة الخوف ورفع المعنويات والتثبيت والإطمئنان مالا يخفي ولقد تحقق هذا الوعد والذي قبله وغيرهما من الوعود الواردة في مثل قوله تعالى : ﴿ **لاأقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد** ﴾ وقوله : ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر** ﴾ فنصر الله المؤمنين على من خالفهم فمنحهم الله أكتاف المشركين يوم بدر ودانت لهم الجزيرة العربية كلها ودخل الناس في دين الله أفواجاً وانتشر هذا الدين في مشارق الأرض ومغاربها .

مثال ٣ : ومن الأخبار القرآنية قوله تعالى : ﴿ **سيقول السفهاء من الناس ماولَّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾[١] .

يقـول صاحب المنار : إن الله تعالى . . علم أن أهل الكتاب سيقولون إن محمداً ليس على بينـة من ربه لأنه غير قبلته . . . وسيقول المنافقون إنَّه صلى أولا إلى بيت المقدس استمالة لأهل الكتاب . . . ثم غلب عليه حب وطنه وتعظيمه فعاد إلى استقبال القبلة فهو مضطرب في دينه »[٢]

ومـاذلـك إلا لإشـاعـة الشكوك والفرقة في صفوف المسلمين ، فسارع القرآن الكريم يخبر الرسول ﷺ والمؤمنين بما سيقع من اعتراض اليهود وغيرهم على تحويل القبلة وماسيقومون به من تشـويش إعـلامي واضـطراب في صفـوف المسلمـين قبل وقوعه وتلقينهم الحجة البالغة عليه والحكمة السديدة فيه .

وبالوقوف على هذه الأمثلة وغيرها يتضح لنا مدى تتبع القرآن الكريم للأوضاع القائمة وآمال الناس وآلامهم وأنه كان لايرى عثرة الا بادرها بالهدى ولاظلمة إلا بدَّدها بالضياء ولكنه مع ذلك كان يراعي الحكمة في جميع أخباره فلا يأتي الإخبار عن أمر من الأمور إلا بعد أن يتأكد نفعه وفائدته وأما إذا كان الإخبار يؤدي إلى الإساءة والإضرار فإنه يمسك عن ذلك فلا يأتي خبر ولا توجيه إلاّ إذا تحققت فائدته وحان الوقت المناسب له .

ومع أن القرآن الكريم راعى الحكمة في كل مايقول ويأمر به فإنه أيضاً امتدحها وأمر بها وأخبر أن من رزقه الله بها فقد نال حظاً عظيماً قال تعالى : ﴿ **ومن يؤتي الحكمة فقد أوتيَ خيراً كثيراً** ﴾ ولاشك أن الحكمة مطلوبة في كل شيء ولكنها من أهم الأمور التي يحتاجها الإعلام وخصوصاً في العصر الحديث وإذا فقدت الحكمة في الإعلام فربما نتج عن ذلك أمور خطيرة كتسمم العلاقات بين الدول أو إدانة الأبرياء وتشويه سمعتهم ومن

(١) سورة البقرة : الآية «١٤٢»

(٢) محمد رشيد رضا ـ تفسير المنار : جـ ٢ ، ص ٦ ، ط ٢ .

الأمثلة على فقدان الحكمة في توقيت نشر الخبر ماحدث في أمريكا « من اختطاف رضيع من عربته الصغيرة ووضع الخاطف ورقة صغيرة يطلب الفدية . . وأمرت الشرطة بعدم إذاعـة الخبر . . . ولكن هناك صحيفة رأت في الموضوع خبراً مثيراً للقراء فنشرت الخبر وتبعتها الصحف الأخرى في ذلك . . ففشلت خطة رجال الشرطة وعثر على الطفل بعد أيام جثة هامدة وضاع أثر الجريمة[١] وكانت هذه النتيجة السيئة بسبب ترك الحكمة وعدم التقيد بالوقت المناسب لنشر الخبر .

فعلى المسلمين اليوم الإهتداء في اعلامهم بالهدى القرآني والتذرع بالحكمة في اختيار الأخبار ووقت نشرها وخصوصاً أن أكثر المادة الإعلامية في أيامنا هذه تصل إلينا عن طريق وكالات الأنباء العالمية وغالباً ماتكون أخبارها الموجهة إلى العالم الإسلامي مختارة ومدروسة بعناية بحيث تخدم أهداف تلك الدول التي تمتلك هذه الوكالات .

والآن وبعد أن أنهينا الكلام عن أسلوب الخبر ننتقل إلى أسلوب آخر من أساليب القرآن الكريم الإعلامية « وهو أسلوب القصة القرآنية » .

ثانياً : أسلوب القصة :

القصة في اللغة والإصطلاح :

قبل الدخول في الكلام عن القصة يجدر بنا ان نعرِّفها حتى نتمكن من فهمها وفهم أغراضها ومراميها الإعلامية فنقول إن القصة في اللغة من « قص أثره قصا وقصيصاً تتبعه وللخبر أعلمه « فارتدا على آثارهما قصصاً » أى رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر ـ ونحن نقص عليك أحسن القصص نبين لك أحسن البيان والقاص من يأتي بالقصة[٢] .

ويحـدد المعـاصرون القصة بأنها حكاية حوادث وأعمال وتصوير شخصيات بأسلوب مشوق ينتهي إلى غاية مرسومة وغرض مقصود »[٣] .

والمراد بها في القرآن الكريم الإخبار عن أحوال الأمم والنبوات السابقة واظهار ماتتضمنه من حقائق وعبر بقصد إعلام الناس بها ودفعهم إلى التفكير والتأمل في تلك الحقائق وفي تلك المواقف وأنواع السلوك التي تصدر عن هذه الأمم تجاه هذه الحقائق في مراحل مختلفة من التاريخ .

(١) دراسات في الفن الصحفي ـ ص ١٠٨

(٢) القاموس المحيط ـ الفيروز أبادى ـ المجلد ٢ ص ٣١٣ ـ مؤسسة الحلبي وشركاه « القاهرة » .

(٣) فن القصة ـ احمد ابوسعيد ـ جـ ١ ـ ص ٧ ـ دار الشرق الجديد بيروت

القصة أسلوب قرآني :

وقبل أن نتحدث عن أغراض القصة التي هدف إليها القرآن الكريم يجدر بنا أن نقرر بأن القصة بصورة عامة أسلوب من أساليب الإعلام يصغى إليه السامع وترسخ عبره في النفس . وذلك لأن القصة المحكمة الدقيقة تطرق السامع بشغف وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر وتسترسل مع سياقها المشاعر فلا تمل ولاتكلّ .

ومن هنا نستطيع أن نقرر بأن القصة تعتبر بحق من أقوى الأساليب الإعلامية لأنها تخلط بين التعليم والخبر وتوجه الفكر والضمير والسلوك نحو الأهداف والأغراض المرسومة . ولعل السبب في خطورة هذا الأسلوب كما يقول رمضان لاوند « ان الإنسان بطبيعته يميل إلى التقليد ولما كانت أحداث القصة متمثلة في شخوص تفكر وتتصرف وتصنع الأحداث . . . فإنها تبدو للقارىء أو السامع وكأنها نماذج بشرية تملك جاذبية غير عادية ثم يحاول أن يقلد هذه النماذج على نحو تم به التعاطف الكامل معها »[1] .

لهذا كانت القصة موضع اهتمام الأفراد والجماعات واتخذ منها المفكرون والفلاسفة أسلوباً من أهم الأساليب لتحقيق أهدافهم وعرض آرائهم ومذاهبهم في فهم الحياة وتفسير مشكلات هذه الحياة .

لذا نرى أن أهم موحيات القصص في القديم هى إظهار بعض أيام العرب وتصوير بطولات بعض الأفراد فيخلط فيها الخيال بالواقع ويبرز فيها التحيز لإشباع رغبة قومية أو أمجاد شخصية . وأما أهم موحياتها في العصر الحديث « أن الحرية الجنسية هى أساس الحياة الإجتماعية الراقية وأن كل محافظة على الحشمة والعفة بقية من رواسب التخلف وأن التفوق العرقي أمر لا مندوحه عنه في معاملة الأجناس الأخرى[2] .

فتركزت هذه الموحيات في أعماق المؤمنين بهذه القصص وأثرت في أفكارهم وسلوكهم .

بعض أغراض القصة القرآنية :

ولما كان الغرض من الإعلام القرآني هو شد الناس إلى القيم الإنسانية الرفيعة وتوعيتهم بالحقائق السماوية الخالدة ولاسيما حقيقة التوحيد في الألوهية والربوبية وحقيقة البعث والنشور والجزاء والحساب وغير ذلك من الحقائق الهامة التي لها علاقة مباشرة بسعادة البشرية فإنه جعل القصة أسلوباً من أساليبه الإعلامية في تحقيق هذا الغرض وتوجيه الناس

(١) من قضايا الإعلام في القرآن ـ ص ٢٣٤

(٢) نظرات تحليلية في القصة القرآنية ـ محمد المجذوب ـ ص ٩ ـ موسسة الرسالة .

إلى الخـير وابعادهم عما ألفوه من خلق وعادات وآراء زائفة معتمدا في ذلك على فاعلية أسلوب الخبر والحكاية في زلزلة الأفكار الزائفة والعادات السقيمة مستخدماً في ذلك أرقى أسلوب عرفته البشرية في التوجيه « لذا فإن القصة القرآنية تميزت دائماً بنوع واضح من التحسين والتقبيح . . . تحسين العمل الصالح وتقبيح العمل الفاسد . . . فهي تقول الحق وتـروى الـوقـائع دون مبالغة ولكنها تعتمد الأسلوب الفني والإثارة النفسية لتمنح الوقائع المروية قوة ايحائية وقدرة معنوية[1] .

والقارىء للقصة القرآنية يدرك أثناء قراءته أنها سيقت لتؤكد وتثبت بعض الحقائق التي وردت في القرآن الكريم كحقيقة وحدانية الله في الألوهية والعبودية وأنها الأساس الذي اتفقت عليه دعوة المرسلين من لدن آدم عليه السلام حتى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ . وحقيقـة البعث والنشـور والجـزاء والحساب . وحقيقة موقف الأمم من أنبيائهم الداعين إلى هذه الحقائق وحقيقة أن كل أمة من هذه الأمم لابد أن تنقسم إلى فرقتين على أساس العقيدة فريق يستجيب لدعوة أنبيائه فيؤمن ويصدِّق بكل ماجاءه من ربه وفريق يقف أمام هذه الدعوة بالكيد والصد عنها . وحقيقة أن الله ينصر أولياءه ويهلك أعداءه الذين كذبوا رسله وأشركوا في عبادته .

نماذج من القصة القرآنية :

ولكى ندرك أثر القصة القرآنية في تحقيق هذه الأغراض نورد فيما يلي نماذج من القصص القرآني ونرى مدى تحقيقه لهذه الأغراض .

أنظر من قوله تعالى : ﴿ **لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم** . . » **إلى قوله تعالى** : ﴿ **ومآأرسلنا في قرية من نبيٍّ إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرَّعُون** ﴾[2] .

١ ـ لقـد اشتملت هذه الآيات على مجموعة من قصص الأنبياء الذين يحملون الحقيقة الأساسية التي يقوم عليها الدين كله ويتعاقب بها الرسل جميعا على مدار التاريخ إلى أممهم وتوضيحها لهم مستخدمين في ذلك مالديهم من أساليب قولية وعملية وذلك لحرصهم على هداية الناس إلى الحق وانقاذهم من الخطر الذي سيواجهونه في الدنيا

(١) من قضايا الإعلام في القرآن ـ ص ٢٤٠

(٢) سورة الأعراف ـ الآيات من ٥٩ ـ ٩٤ .

والآخرة بسبب شركهم بالله في الألوهية والعبودية .

« فلم يكن هناك رسول من عند الله دعا إلى رب قبيلة أو رب أمة أو رب جنس كما أنَّه لم يكن هناك رسول دعا إلى إلهين اثنين أو آلهة متعددة . . . لقد جاءت الرسل رسولاً بعد رسول بالتوحيد وبربوبية رب العالمين »[1] .

وهذا فيه دليل على أن مصدر هذا الدين وغايته واحدة وأنَّه من عند الله الذي لاشريك له وهو الذي أرسل الرسل لتبليغ هذه الحقيقة إلى الناس .

٢ ـ وفي كل مرة يقف رؤساء القوم وكبراؤهم في وجه كلمة الحق ولم ينقادوا له فقدحوا في رسلهم أعظم قدح ونسبوا إليهم الضلالة والسفاهة وأبوا أن تكون العبودية والدينونة لله ربِّ العالمين وحده . وهي الحقيقة التي قامت عليها الرسالات كلها وقام عليها دين الله كله وبذلك ينقسم قوم كل نبي إلى فرقتين متباينتين على أساس العقيدة وعندها يأخذ الله المكذبين المستكبرين وينجى الطائعين المستسلمين قال تعالى : **﴿ وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لاريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ﴾**[2] .

يقول سيد قطب رحمه الله « ماجرت سنة الله قط بفتح ولا فصل قبل أن ينقسم القوم الواحد إلى أمتين على أساس العقيدة وقبل أن يجهر أصحاب العقيدة بعبوديتهم لله وحده وقبل أن يثبتوا في وجه الطاغوت بإيمانهم »[3] .

٣ ـ ونلاحظ من الآيات أن كل نبي من هؤلاء الأنبياء يخبر قومه بخوفه وشفقته عليهم من العذاب الأبدي والشقاء السرمدي وهذا لايكون إلا في يوم الجزاء والحساب يوم القيامة وفي هذا محاولة من هؤلاء الرسل اقناع قومهم بهذه الحقيقة « حقيقة الحياة بعد الموت . . لأنها هي التي تربطنا بفكرة البعث والحساب وبفقدانها ينطلق البشر كالوحوش الجائعة يأكل بعضها بعضا ويفقد الإنسان كرامته وقيمته كالمشاهد في ظل الأنظمة القائمة على الإلحاد »[4] .

وبعد انتهاء السياق من بيان السنَّة الجارية يتجه بالخطاب إلى رسول الله ﷺ يطلعه على العاقبة الشاملة لابتلاء تلك القرى وماتكشف عنه من حقائق عن طبيعة الكفر

---

(١) في ظلال القرآن ـ المجلد ٣ ـ ص ١٣٠٥
(٢) سورة الشورى : الآية ٧
(٣) المرجع السابق ـ ص ١٣٠٥
(٤) نظرات تحليلية في القصة القرآنية ـ ص ٤٥

وطبيعة الإيمان ثم عن طبيعة البشر الغالبة كما تجلت في هذه الأقوام قال تعالى : ﴿ **وما أرسلنا في قرية من نَّبي إلاّ أخذنا أهلها بالبأساء والضرّاء لعلهم يضرَّعُون ثم بدّلنا مكان السية الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مسّ آباءنا الضرّاء وإلسراء فأخذناهم بغتة وهم لايشعرون** ﴾[1] . ثم بين الغرض من ورود هذه القصص وما اشتملت عليه من أحداث ومواقف ليتخذ الناس العبر ويزدجر الظالمون ويتعظ المتقون قال تعالى : ﴿ **تلك القرى نقصّ عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين** ﴾[2] .

٤ ـ ولاشك أن إعلام الرسول ﷺ والمؤمنين بهذا النصر الذي أعدَّه الله لإنبيائه وأوليائه وإعلامهم بما أعده الله لإعدائه وأعدائهم من هلاك وأن هذه سنة من سنن الله لاتتغير ولاتتبدل مهما كانت الظروف والأحوال . فيه تثبيت لقلب رسول الله ﷺ وأصحابه ورد للثقة في نفوسهم وبث الطمأنينة في قلوبهم وإزالة الهم والقلق الذي كانوا يشعرون به بسبب مايواجهونه من كيد المشركين لهم وللدعوة التي جاء بها النبي ﷺ من ربه . وكان لهذه القصص أثر عظيم في الإيحاء للمؤمنين بالتحلي بالصبر والثبات في مواجهة كل الصعوبات التي تواجههم حتى وصل بهم الأمر في النهاية إلى النصر على أعدائهم ومعارضيهم في مدة وجيزة من الزمن .

٥ ـ والقرآن الكريم أثناء عرضه لهذه الحقائق عن طريق القصص وبيان مواقف كلا الطرفين المؤمنين بها والمكذبين وجزاء كل منهما وعاقبته يوجه العواطف القوية الصادقة نحو هذه الحقائق التي هى أساس الدين ومبادؤه ونحو التضحية بالنفس والنفيس في سبيل كل ماهو حق وكل ماهو خير وكل ماهو جميل وفي الوقت نفسه يقوم بتكوين « عواطف قوية وصادقة ضد كل ماهو قبيح وذميم من الأشياء والناس . . وبذلك تتذبذب المبادىء التي شاخت وهرمت وأصبحت لاتسير الحياة والأحياء »[3] .

٦ ـ وورود هذه القصص وماجرى فيها من مواقف وأحداث على وجه الدقة والإتقان فيه البرهان القاطع على أن ماجاء به الرسول ﷺ وحى من الله وأنه مرسل من عنده ليخرج الناس من الظلمات إلى النور لأن هذه الأمور لايمكن معرفتها إلا بالنقل لمن غاب

---

(١) سورة الأعراف : الأيتان ٩٤ ، ٩٥.

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٠١

(٣) القصص في العصر الإسلامي ـ عبدالهادي الفؤادي ـ ص ٣٣ ـ دار الزمان بغداد .

عنها أو بالدراسة والتلقي والتعليم والرسول ﷺ كان أمياً لايقرأ ولايكتب ولا صلة له بالعلم والتعليم . قال تعالى : ﴿ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وماكنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وماكنت لديهم إذ يختصمون** ﴾[1]. وقال تعالى : ﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين** ﴾[2] .

وللقصة القرآنية أغراض إعلامية كثيرة أخرى من أهمها :ـ

أ ـ تنبيه أبناء آدم عليه السلام إلى أن الشيطان عدوهم الأكبر آلى على نفسه أن يفتنهم وأن يبذل كل الجهود من أجل أن يسد في وجههم كل سبيل إلى الجنة وأن يمنعهم من عودتهم اليها بعد أن كان السبب في خروجهم منها « وكان إبـراز هذه العداوة الخالدة . . . عن طريق القصة أروع وأقوى وأدعى إلى الحذر الشديد من كل هاجسة في النفس تدعوا إلى الشر وإسنادها إلى هذا العـدو الـذي لايريد بالناس الخير »[3] ولأهمية قصة آدم عليه السلام نرى القرآن الكريم يطالعنا بها في سور عدة لتأكيدها وتعميقها في النفوس حتى يأخذوا حذرهم منه لأن هذا هو الطريق الوحيد الذي يجنبهم الشقاء الأبدي ويضمن لهم السعادة والفوز بالعودة إلى الجنة قال تعالى : ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم** ﴾[4] . واقـرأ إن شئت من قولـه تعـالى ﴿ **ولقـد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين** ﴾[5] .

يتبين لك من عرض هذه القصة في القرآن مدى حقيقة وجدية هذه المعركة

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٤٤ .
(٢) سورة يوسف : الآية ٣ .
(٣) التصوير الفني في القران ـ سيد قطب ـ ص ١١٩ ـ مكتبة القران ـ بيروت .
(٤) سورة البقرة : الآيات ٣٤ ـ ٣٧ .
(٥) سورة الأعراف : الآيات ١١ ـ ٢٤ .

الخالدة مع الشيطان الذي أصرَّ على ملاحقة الإنسان في كل حال وعلى اتيانه من كل صوب مستخدماً في ذلك كل الأساليب الشيطانية لتحقيق هدفه وهو القضاء عليه وتضليله وجره إلى جهنم وبئس المصير .

لذا نرى القرآن الكريم يطالعنا على هذا الإنسان في كثير من الأحيان وقد ضل عن الطريق المستقيم ووقع في شرك الشيطان وحبائله فإذا به يبحث عن الهداية والنجدة فتأتيه العناية الإلهية والعون من الله فيرسل له الرسل تهديه إلى الطريق المستقيم .

ب ـ ومن الحقائق التي تهدف القصة القرآنية إلى إبرازها بيان عاقبة الصلاح وعاقبة الإفساد ومن ذلك قصة ابني آدم عليه السلام التي وردت في سورة المائدة من قوله تعالى : ﴿ **واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق** . . ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **فأصبح من النادمين** ﴾[1] .

فهذه الآيات أبرزت كلا الأخوين في وضعه المميز فهابيل إنسان ربَّاني ارتفعت نفسه عن الحقد والحسد لأنها امتلأت بمراقبة الله والخوف منه « والخائف من الله لايقدم على الذنوب خصوصاً الذنوب الكبار »[2] .

وأما قابيل فهو إنسان مهيأ بطبعه للجريمة إنَّه ثار بأخيه وغضب لمجرد ماقام به من عمل طيب كان سبباً في رضا الله عنه وسدَّ عليه هذا الغضب جميع السبل فأصبح لامتنفس له سوى ارتكاب الجريمة تحت ضغط هذا الغضب العنيف فقتل أخاه وخسر الدنيا والآخرة .

وهذه القصة توحي بالنهي والتخويف من الإقدام على القتل والإفساد في الأرض . كما توحي بالترغيب في تقوى الله عزَّ وجل وفعل الخيرات وترك المنكرات .

جـ ـ ومن أهداف القصة القرآنية أيضاً بيان قدرة الله سبحانه وتعالى على الخوارق كقصة بني إسرائيل مع القتيل الذي لم يعرف قاتله واختلفوا فيمن قتله حتى كادت تحصل فتنة دامية بينهم ولم يكن هناك طريق للخروج من هذه المشكلة

---

(١) سورة المائدة : الآيات من ٢٧ ـ ٣١ .

(٢) تفسير كلام المنان ـ جـ ٢ ـ ص ٢٧٩

إلَّا بمعجزة فأمرهم الله تعالى على لسان نبيه الكريم موسى عليه السلام بأن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ففعلوا وماكادوا يفعلون فأحياه الله وأظهر لهم الحقيقة حيث أخبرهم بقاتله . وكان في إحيائه وهم يشاهدونه مايدل على قدرة الله على كل شيء ومنها إحياء الموتى وليست هذه هي القصة الوحيدة التي تدل على قدرة الله سبحانه وتعالى : ﴿ **فهناك** خبر **الألوف الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت فأماتهم الله ثم أحياهم** وخبر **عزير الذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها . . . فأماته الله مائة عام ثم بعثه** »[1].

وقصة خلق آدم عليه السلام إلى غير ذلك من القصص الخارقة للعادة والتي تهدف إلى إثبات قدرة الله على الخلق وعلى الإعادة بعد الموت والجزاء والحساب .

وهكذا تكون القصة في القرآن بالنسبة إلى الرسول ﷺ وأصحابه معلماً يرشد ويوجه ويسلِّي فتتعهد تنمية الطاقات النفسية التي لابد من تغذيتها لمواجهة الصعوبات التي تواجههم وتمنحهم في الوقت نفسه الشوق إلى ماعند الله فيمدهم ذلك بمزيد من الصبر الذي يتطلبه الصراع بين الحق والباطل وطبيعي أن هذه الموحيات العليا تظل هي بالنسبة للاحقين من المؤمنين حتى نهاية الحياة .

فعلى الإعلام الإسلامي اليوم أن يستفيد من هدى القرآن في هذا المجال « ففي القصص القرآني تربة خصبة تساعدهم على النجاح في تحقيق أهدافهم بما أحتوت عليه هذه القصص من سيرة النبيين وأخبار الماضين وسنة الله في حياة المجتمعات وأحوال الأمم »[2].

مع العلم أن كل مافي هذه القصص حقائق ثابتة مصاغة في صورة بديعة من الألفاظ المنتقاة والأساليب الرائعة . قال تعالى : ﴿ **نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون** ﴾[3] .

وبهذا أكون قد ألقيت بعض الضوء على أسلوب القصة في القرآن . ويمكنني الآن الإنتقال إلى أسلوب آخر من أساليب القرآن الكريم الإعلامية

(١) نظرات تحليلية في القصة القرآنية ص ٤٤ .
(٢) مباحث في علوم القرآن ـ ص ٣١١ .
(٣) سورة القصص : الآية ٣ .

التي استخدمها في كثير من الأحيان لتحقيق بعض أهدافه وأغراضه السامية .

ثالثاً : أسلوب المثل :

المثل وفائدته الإعلامية :

المِثْلُ في اللغة : كلمة تسوية يقال هذا (مِثْلُه) و (مَثَلُه) كما يقال (شِبْهُه) و (شَبَهُه) و (المَثَـــلُ) مايُضـــرب بـــه مـــن :(الأمْثَـال) . و (مَثَلُ) الشيء أيضاً بفتحتينَ : صِفَتُه . . . و (مَثَّلَ) له كذا (تمثيلاً) إذا صوَّر له مِثَالَه بالكتابة أو غيرها »[1].

وعرَّفه ابن السكيت بقوله : « المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ شبَّهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره »[2].

ومعنى هذا أن الحقائق السامية في معانيها وأهدافها تأخذ صورتها الرائعة إذا صيغت في قالب حسن يسهل فهمه ويمكن إدراكه والتمثيل هو ذلك القالب الذي يبرز المعقول في صورة مجسمـة ويلبس المعنى ثوب المحسـوس ويفصِّل المجمل ويوضِّح المبهم مما يجعل النفس تتقبله والعقل يقتنع به .

وكان من فضل الله وتدبيره على عباده أن جعل ضرب الأمثال أسلوباً من أساليبه يبرز به المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس فتتقبله النفوس المؤمنة وتعترف به فتزداد تمسكاً واقتناعاً بإيمانها وتنكره النفوس المريضة الجاحدة فتزداد غواية على غوايتها قال تعالى : **﴿ إنّ الله لايستحيي أن يضرب مثلاً مابعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنّه الحقّ من ربّهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضلُّ به كثيراً ويهدي به كثيراً ومايضلّ به إلا الفاسقين ﴾**[3].

لذا نلاحظ أن أسلوب المثل في القرآن تناول حقائق عدة « فدعا إلى الإيمان ونفّر من الكفر وفضح النفاق وحَضَّ على الإنفاق ونادى بالخير وندد بالشر وصوَّر الطيب والخبيث والصالح والطالح وغير ذلك مما أشاد به أو أشار إليه »[4] .

---

(١) مختار الصحاح ـ محمد بن ابي بكر الرازي ـ ص ٣٣٧ ـ المطبعة العامرة الشرفية ـ ط ٢

(٢) مجمع الأمثال ـ الميداني ـ جـ ١ ـ ص ١٣ ـ دار مكتبة الحياة بيروت .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٦ .

(٤) الأمثال في القرآن ـ محمود الشريف ـ ص ٨ ـ دار عكاظ للطباعة والنشر ط ٢

بعض الجوانب الإعلامية للمثل القرآني :

ولكي يتضح لنا مدى جدوى أسلوب المثل القرآني من الناحية الإعلامية لابد لنا من النـظر في بعض هذِه الأمثـال ومحاولة اظهار بعض الأغراض الإعلامية التي وضع هذا الأسلوب لتحقيقها والتي من أهمها :ـ

١ ـ إثارة غريزة الطمع أو الخوف في نفس المخاطب :ـ

ففي إثارة غريزة الطمع يتجه الإنسان بدافع ذاتي إلى مايراد توجيهه له . وفي إثارة غريزة الخوف والحذر يبتعد الإنسان بدافع ذاتي عما يراد إبعاده عنه[١].

مثاله من القرآن :

* إثارة غريزة الطمع في نفس المستقبِل :

فمن المعلوم أن كل إنسان بداخله غريزة الطمع وهى من الغرائز التي طبعه الله عليها وهذا واضح من قوله تعالى : ﴿ **وإنه لحب الخير الشديد** ﴾[٢] . فهذه النفس التي جبلت على الحب الشديد للأخذ والكره الشديد للعطاء إذا تركت على حالها تسير على غير هدى من الله فإنها لن تقف عند حد وستتطرف إلى مالا نهاية في الطمع والجشع حتى يصبح هذا الطمع وهذا الجشع مرضاً من امراض النفس المستعصية التي لاتقف آثارها وأضرارها على صاحبها وحده بل تعصف بجميع مصالح المجتمع الأخلاقية والإقتصادية والسياسية .

فأراد الله سبحـانـه وتعالى أن يحمي هذا المجتمع من التفكك والإنهيار بسبب هذا الحرص وهذا المرض فقدم لها علاجاً نفسياً يرغب النفس في الإنفاق بسخاء دونما خوف أو وجل فضرب لها مثلاً بين لها فيه الثواب العظيم الذي أعده الله للمنفقين في سبيله وابتغاء مرضاته يوم القيامة مما يثير غريزة الطمع فيها فيضعف تمسكها بما لديها من مال ويدفعها للإنفاق بسخاء وهى راضية مطمئنة دونما خوف أو وجل رغبة منها في الحصول على هذه الزيادة العظيمة قال تعالى : ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** ﴾[٣] .

وعـلى هذا فاننا نستطيع القول إن النفس كالطفل على فطرته إذا امتلك حلوى فإنَّه

---

(١) الأمثال القرآنية ـ عبدالرحمن حبنكة الميداني ـ ص ٦٢ ـ دار القلم « دمشق » .

(٢) سورة العاديات ـ الاية ٨ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٦١ .

يرفض بإصرار اعطاء أخيه شيئاً منها ولو كانت أكثر من حاجته فيقوم والده بترغيبه في دفع بعض الحلوى لأخيه ليضعف من اصراره على تمسكه بها فيقول له إذا أعطيت أخاك بعض هذه الحلوى فسأشترى لك دراجة مثل دراجة فلان فيبتسم الطفل ويذهب بنفسه وهو راضٍ ويدفع لأخيه شيئاً من الحلوى أملاً في الحصول على هذا الوعد المغري .

وقد تجعل بعض الدول هذه الغريزة مدخلاً إعلامياً لها للحصول على بعض المكاسب الإقتصادية والعسكرية والسياسية كأن تتقدم دولة كبرى لدولة ما طلباً للسماح لها بوضع بعض القـواعـد العسكرية أو أبراج المراقبة في أراضيها فتمتنع هذه الدولة فتقوم الدولة الكبرى بتقديم مايغري هذه الدولة لتضعف من رفضها وتوافق على بعض أو جلِّ ماطلبته منها كأن تقول لها إن هذه القواعد أو هذه الأبراج سيكون المستفيد منها الأول هو أنتم للمحافظة على أمنكم من الداخل والخارج هذا بالإضافة إلى ماسنقدمه لكم من معونات اقتصادية ومالية وعسكرية لتحسنوا بها أوضاعكم وتعززوا بها قوتكم وتضرب لها مثلاً : ببعض الدول التي قبلت هذا العرض وماحققته من أمن ورخاء وتقدم محاولة بذلك اقناعها بأنه أمر عادي ولا داعي للخوف والفزع منه فتضعف مقاومة هذه الدولة ومعارضتها للفكرة ثم توافق على الطلب المقدم لها إن لم تسع لاهثة للحصول عليه .

* **إثارة غريزة الخوف والحذر في نفس المستقبل :**

وكما أن الله تبارك وتعالى جعل من غرائز الإنسان التي طبعه عليها غريزة الطمع والحب الشديد للخير فإنه أيضاً جعل من غرائزه الخوف الشديد من فقدان النعمة أو عدم الحصول عليها قال تعالى : ﴿ **إن الإنسان خلق هلوعاً ، إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعاً** ﴾[1] .

والقرآن الكريم جعل هذه الغريزة مدخلاً لإجبار المخاطبين ودفعهم إلى الإبتعاد عن مايراد ابعادهم عنه . قال تعالى : ﴿ **وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون** ﴾[2] .

ذهب أكثر المفسرين إلى أن القرية المراد بها هنا مكة وذلك لمَّا دعا عليهم رسول الله ﷺ

---

(١) سورة المعارج : الآيات ١٩ ـ ٢١ .

(٢) سورة النحل : الآية ١١٢

وقـال : ﴿ **اللهم اشـدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فابتلوا بالقحط حتى أكلوا العظام** ﴾[1] .

فلقد أنعم الله سبحانه وتعالى على مكة وأهلها من دون جميع الناس قبل الإسلام بالأمن والإستقرار حيث جعل فيها البيت الحرام الذى تعظمه جميع العرب وتحترم كل من يقيم في مكة بسببه وتمتنع عن القيام بأي عمل تخريبي فيها فاطمأن كل من دخلها حتى ولو كان قاتلاً . كما أنه أغدق على أهلها نعمه حيث جبى إليها ثمرات كل شيء من جميع الأقطار مع أنَّها في واد ليس فيه زرع ولا شجر واستمر أهل مكة على هذا الحال حتى جاءهم رسول منهم يعرفون صدقه وأمانته يأمرهم بما فيه نفعهم وينهاهم عما فيه ضرهم فكذبوه وكفروا بنعم الله عليهم فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

وهذا المثل الإعلامي المضروب الغرض منه دفع أهل القرى إلى الإعتبار بما جرى لأهل مكة وحضهم على الإيمان بالله وبرسوله ﷺ وتخويفهم وتحذيرهم من عاقبة الكفر بأنعم الله .

وهذا الغرض والذي قبله أعنى (إثارة غريزة الخوف واثارة غريزة الطمع) من الأمور التربوية المهمة التي ركز عليها القرآن الحكيم وأكثر منها في بيانه .

ومن أسلوب إثارة غريزة الخوف في الإعلام المعاصر . التصريح الذي أدلى به « موشى أرنيز » سفـير إسرائيل في أمـريكا وأذاعه راديو إسرائيل عدة مرات والذي أعلن فيه أن إسرائيل ستقوم بتطبيق القضاء والتشريع الإسرائيلي في الضفة كما فعلت في الجولان العربية في حالة عدم التوصل إلى اتفاق بشأن الحكم الذاتي مع المفاوضين المصريين[2] .

٢ ـ حث المستقبل على فعل الشيء أو الإبتعاد عنه بالترغيب فيه أو التنفير منه :

فالقرآن الكريم اتبع أسلوب ضرب الأمثال في بعض الأحيان لإبراز الجوانب الحسنة لبعض الأمور وتزيينها أو لإبراز بعض الجوانب السيئة وتشيينها للترغيب فيها أو للتنفير منها .

---

(١) فتح القدير ـ جـ ٣ ـ ص ١٩٩

(٢) انظر صحيفة الشرق الأوسط ـ عدد ١٢٠٧ ـ الجمعة ـ ١٩ مارس ١٩٨٢ م ص ١ .

مثاله من القرآن :

* الترغيب في الكلمة الطيبة والتنفير من الكلمة الخبيثة :

قال تعالى : ﴿ **ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار** ﴾[1] .

في هذا النص القرآني ضرب الله سبحانه وتعالى مثلين أحدهما للكلمة الطيبة وثانيهما للكلمة الخبيثة .

فالكلمة الطيبة شبهها بالشجرة الطيبة أصلها راسخ بسبب تمكنها من الأرض الطيبة الخصيبة بعروقها . وفروع هذه الشجرة جميلة خضراء متجهة الى السماء مرتفعة في الهواء . وهذه الشجرة الطيبة الخيِّرة تؤتي أكلها الطيب في كل ساعة من ساعات الليل أو النهار وفي جميع الأوقات من غير فرق بين شتاء أو صيف بإرادة الله ومشيئته .

وهذا مثل الكلمة الطيبة يتبناها الإعلام الإسلامي ويجعلها القاعدة الأساسية التي ينطلق منها في البث والنشر فلا يقول إلا ماهو طيب وحسن وجميل فيرشد الناس إلى الخير ويحثهم عليه ويبين لهم الشر ويدعوهم إلى اجتنابه مستنداً في ذلك إلى هدى ربه ممتثلاً أوامره ومجتنباً نواهيه فيصبح كل مايقوم به من عمل إعلامي يثبت في القلوب المؤمنة والنفوس الطيبة فتستجيب لأهدافه وأغراضه وهي راضية مطمئنة لأنها على يقين بأن هذا الإعلام لايرشدها ولايوجهها إلّا إلى خير دنياها وآخرتها لأنه نابع عن إيمان بالله مبلغ لأوامره ونواهيه بإخلاص وتفان وصدق فيثمر الخير المتمثل في إشاعة المحبة والتآخي والتعاون بين المسلمين ويحقق جميع أهداف الأمة العامة منها والخاص على المستويين الداخلي والخارجي في جميع الأوقات والظروف .

وأما الكلمة الخبيثة فإنه شبهها بالشجرة الخبيثة في الأرض الخبيثة ليس لها أصل ثابت ولا عروق متمكنة تعصف بها ريح خبيثة تقتلعها من جذورها وهذه الشجرة ليس لها ثمرة صالحة تنتجها وإن وجدت فهي ثمرة خبيثة عديمة الفائدة وهذا مثل الكلمة الخبيثة يتبناها الإعلام ويجعلها أساساً لإعلامه فلا يبث ولاينشر إلا كل مامن شأنه أن يشوه صورة الناس

---

(١) ابراهيم/٢٤ ـ ٢٦ .

وصورة الحقائق أو يفضح الأعراض أو يشيع الفاحشة أو يفسد الأخلاق أو يضلل الرأى العام والخاص أو يبعد عن دين الله . فهذا الإعلام لن يجد صدى ولا قبولاً في النفوس الطيبة الطاهرة لأنها لاتطمئن إليه وتشك في كل مايرشدها أو يوجهها إليه فهو لا أصل له فيها ولامكان لأن مايبثه لاينبع عن إيمان بالله ولايبلّغ أوامره ونواهيه بل هو في خدمة الشيطان وتحقيق أهدافه المتمثلة في زرع الشر والفساد في الأرض . فهذا الإعلام لا ثمرة له ولا قيمة وإن أثمر شيئاً فسيكون خبيثاً يتمثل في زرع الشقاق والنفاق في المجتمع ويقضى على أواصر الحب والتراحم والتواد والتعاون ويقطع الروابط الأسرية والإجتماعية والدَّولية مما يجعل الناس يعيشون في جو من الحقد والكراهية والبؤس والخوف والإرهاق النفسي والجسدي في جميع الأوقات والظروف ولن يكون له خيرٌ أبداً على الأمة لا في دنياها ولا في آخرتها لأن كل إناء بما فيه ينضح .

والغرض الإعلامي من هذين المثالين المضروبين للكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة كما هو واضح ترغيب في الأولى وتنفير من الثانية .

وما أحوج الإعلام الإسلامي اليوم أن يتبنى هذه القاعدة الإعلامية وخصوصاً إذا كان الأمر يتعلق بالاسلام والمسلمين فلا يذيع ولاينشر إلا ماهو طيب وجميل وأن يتحاشى كل ماهو مستقبح من الكلام الذي من شأنه أن يهدم ولايبنى ويفسد ولايصلح فإنه إذا فعل هذا سيكسب ثقة الناس ورضى الله مما يسهل عليه تنفيذ مهمته التي أناطها الله تبارك وتعالى به وهى قيادة الأمة إلى السعادة الأبدية .

*** التنفير من نقص العهود :**

إن الاسلام اهتم بمسألة الوفاء بالعهود وتشدد فيها لأنَّها الضمان الوحيد لبقاء قاعدة الثقة في التعامل بين الناس والتي بدونها لايمكن أن يقوم مجتمع كريم يسوده التعاون والتراحم . لذا فإن القرآن الحكيم لم يقف عند حد الأمر بالوفاء والنهي عن نقضه بل استخدم اسلوب المثل في تقبيح نكث العهود وتشويه ذلك الأمر في النفوس وتقبيحه في القلوب قال تعالى : ﴿ **وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ماتفعلون ولاتكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً** . . ﴾[1] .

---

(١) النحل : ٩١ ، ٩٢

كان لعمر بن كعب بن سعد بنت تسمى « ريطة » وكانت إذا غزلت الصوف أو شيئاً آخر نقضته لحمقها . . حتى يصبح لافائدة منه فلا هو غزل تنتفع به ولا صوف يُنتفع به فكذلك الذي يعطي العهد ثم يقطعه لا هو وفي بالعهد إذا اعطاه ولا هو ترك العهد فلم يعطه[1].

ومامن عاقل يرضي لنفسه أن يكون مَثَلُه كمثل هذه المرأة الضعيفة الإرادة التي تقضي حياتها فيما لا غناء فيه ولا فائدة .

* التنفير من الغيبة :

إن المجتمع الفاضل الذي يقيمه الاسلام بهدي القرآن مجتمع له أدب رفيع ولكل فرد فيه كرامته التي لاتمس وهي من كرامة المجموع والغيبة والنميمة والتجسس على عورات الناس كلها أمور من شأنها أن تهدم هذا الصرح المتين الذي بناه القرآن وتعهدهُ من وقت لآخر بالتربية والتعليم ومن شأنها أن تمزق هذا المجتمع العظيم وتقطع أوصاله وتجعله فرقاً وشيعاً تسوده الأحقاد والبغضاء وسفك الدماء .

فكان لابد من من المحافظة على هذا المجتمع وحمايته من هذا الخطر ولايمكن تحقيق هذا إلا بوضع حاجز نفسي دون هذا العمل وتنفير الناس منه . فضرب لهذا العمل الشنيع مثلاً تتأذى له أشد النفوس كثافة وأقل الأرواح حساسية قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم** ﴾[2].

فشبه اغتياب المسلم لأخيه بأكل لحمه وهو ميت (وذلك ان . . المغتاب لما كان يمزِّق عرض أخيه في غيبته كان بمنزلة من يقطع لحمه في حالة غيبة روحه عنه بالموت ولما كان المغتاب عاجزاً عن دفعه عن نفسه لكونه غائباً عن ذمِّة كان بمنزلة الميت الذي يقطع لحمه ولايستطيع أن يدفع عن نفسه)[3] .

وهكذا وضع الله سبحانه وتعالى حداً للغيبة وأضرارها الجسيمة بهذا الحاجز النفسي الذي يبعدهم عن هذا العمل الشنيع وينفرهم منه ليعيش الناس في مجتمع نظيف آمنين على بيوتهم وأسرارهم وأعراضهم .

(١) الأمثال من الكتاب والسنة ـ الترمذي ـ ص ٢٤

(٢) الحجرات/١٢

(٣) أعلام الموقعين ـ ابن قيم الجوزية ـ جـ ١ ـ ص ١٧٠ ـ دار الفكر ببيروت .

٣ ـ تقريب صورة المُمَثَّل له إلى ذهن المستقبل :

فالتمثيل في بعض الأحيان يكون أفضل أسلوب إعلامي لتقريب المراد إلى ذهن المخاطب من الأمثلة على هذا .

* تشبيه عمل الكافر بالرماد :

إن الإيمان في الإسلام هو الأصل الذي ينبثق منه كل فرع من فروع الخير وتتعلق به كل ثمرة من ثماره وإلا فهو فرع مقطوع من شجرته صائر إلى ذبول وجفاف وبهذا يتحقق التكامل والتماسك في جميع الأعمال فتتناسق وتتعاون وتسلك طريقاً واحداً في حركة واحدة لها دافع معلوم وهدف مرسوم .

لذا فإن القرآن الكريم أهدر قيمة كل عمل لايعود إلى هذا الأصل بأسلوب من شأنه أن يقرب هذا المعنى إلى النفوس ويقنعها به فساق لهم مثلاً بيَّن لهم فيه أثر الكفر ونتيجته على الأعمال فشبه أعمال الكافر بالرماد الذي هو أدق الأشياء وأَخفُّها فإنه إذا اشتدت به الريح لايبقى منه شيء فكذلك أعمال الكافر إذا هبت عليها ريح الكفر فإنها تزيلها ولا تبقى لها أثراً وماذلك إلا لأنها لاتستند إلى أساس قوي من الإيمان والعقيدة قال تعالى : **﴿ مثل الذين كفروا بربِّهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لايقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ﴾**(١) .

يقول سيد قطب رحمه الله في معرض تفسيره لهذه الآية (هذا المشهد ينطوي على حقيقة ذاتية في أعمال الكافر فالأعمال التي لاتقوم على قاعدة من الإيمان ولاتمسكها العروة الوثقى التي تصل العمل بالباعث وتصل الباعث بالله مفككة كالهباء والرماد لا قوام لها ولا نظام فليس المعوَّل عليه هو العمل ولكن باعث العمل . فالعمل حركة آلية لايفترق فيها الإنسان عن الآلة إلا بالباعث والقصد والغاية(٢) .

وفي هذا المثل المضروب تحذير من الكفر والحضُّ على اجتنابه لما له من آثار سيئة على الأعمال الصالحة حتى أنه يجعلها عديمة الفائدة والأثر فيخسر صاحبها دنياه وآخرته .

---

(١) ابراهيم/١٨

(٢) في ظلال القرآن المجد ٤ ـ ص ٢٠٩٤

* **تشبيه الحور العين باللؤلؤ المكنون :**

قال تعالى : ﴿ **وحور عين كأمثال اللؤلو المكنون . جزاء بما كانوا يعملون** ﴾[(1)] .
فهذا النص القرآني يطلعنا على الحور العين في الجنة وهن ذوات صور يمكن إدراكها بالحس الظاهر ولكن هذا متعذر في الدنيا مما جعلهم مجهولات الحال لنا . فضرب الله لنا مثلاً يُقرِّب لتصورنا ماهن عليه من جمال وكمال يسر القلب ويروق الخاطر « فهن كاللؤلؤ الرطب الصافي البهي المستور عن الأعين والريح والشمس الذي يكون لونه من أحسن الألوان لا عيب فيه بوجه من الوجوه »[(2)] .

فأسلوب المثل في الحقيقة من أجمل الأساليب الإعلامية وأسلسها في تقريب الأمور التي لايمكن إدراكها بالحس أو التصور سواء كان المارد من تقريبها الترغيب فيها أو التنفير منها أم لتحقيق غرض آخر من أغراض المرسل . فعلى كل حال هو أسلوب إعلامي يفهمه الخاصة والعامة على السواء .

٤ ـ **احضار المعنى المراد في نفس المستقبل** بصورة المثال الذي مثل به ، فإن احضار المعنى المراد في نفس المستقبل بصورة المثال الذي مثل به « قد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره » فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام »[(3)] .

مثاله من القرآن :

* **احضار ضرر الشرك وفائدة التوحيد في نفس المستقبل :**

لما كان الشرك هو العامل الأول في القضاء على السعادة البشرية التي أرادها الله تبارك وتعالى للبشرية لأنه يختم على قلب الإنسان ويغطي عقله ويضعف إرادته فيسهل انقياده الى شهواته وأهواء أوليائه فيشقى بذلك في حياته وبعد مماته .

لما كان الكفر يفعل هذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يحضر ضرره في نفس المستقبل لجذب انتباهه بأسلوب من أروع أساليبه غير المباشرة فضرب له مثلاً ليصور له به هذا المعنى بوضوح ويجعله ماثلاً في نفسه قال تعالى : ﴿ **ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء**

---

(١) الواقعة/٢٢ ، ٢٣
(٢) تفسير كلام المنان حـ ٧ ـ ص ٢٦٤
(٣) أعلام الموقعين ـ حـ ١ ـ ص ٢٣٩

متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل اكثرهم لايعلمون ﴾[1] .

فهذا المثل كما نلاحظ لم يبين بصراحة ضرر الشرك وفائدة التوحيد ولكنه استحضر هذا المعنى في ذهن المستقبِل العاقل بصورة المثال الذي مثل به . فكما أن العبد المملوك لعدة أشخاص يتخاصمون فيه وهو بينهم موزع ولكل منهم فيه توجيه وتكليف وهو حائر متمزق الإتجاهات والقوى لايستوي بالعبد الذي يمتلكه سيد واحد وهو يعلم مايطلبه منه ويكلفه به فهو مستريح مستقر على طريق واحد صريح وواضح . كذلك المشرك الذي يعبد آلهة متعددة مع الله لايستوي مع المؤمن المخلص الذي لايعبد إلا الله وحده لايشرك به شيئاً .

وبهذا المثل يكون القرآن الكريم قد حرك الضمائر الحية وأثار العواطف والمشاعر للتحرر من الشرك وافراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة .

* احضار ضعف الأدعياء من دون الله وأن القوة لله جميعاً في نفس المستقبل

إن في هذا الكون قوة واحدة هى قوة الله عز وجل وماعداها من قوة الخلق فهى قوة واهية وهزيلة فأراد الله سبحانه وتعالى : إحضار هذا المعنى في نفس المستقبل فضرب له مثلاً قال فيه : **﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾**[2] . فهذا المثل أحضر حقيقة الإلحاد إلى غير الله تبارك وتعالى والتعلق به في الشدائد طلباً منه النُصرة والعزة والنفع في نفس المخاطب وجذب انتباهه إلى أن من يفعل ذلك كمثل العنكبوت الضعيفة التي اتخذت لنفسها بيتاً مُن خيوط واهية ليحميها من الآفات والمصائب فهي وماتحتمي به سواء في الضعف والوهن والغرض الإعلامي منه دفع المخاطب إلى عدم التعلق واللجوء إلى غير الله عز وجل في السراء والضراء .

ولو أن المسلمين اليوم عقلوا هذا المثل المضروب وعملوا بمقتضاه لصاروا أقوى من جميع القوى المعارضة لفكرهم وعقيدتهم ولداسوا كبرياء الجبابرة في الأرض ولدكوا معاقلهم وحصونهم ولعادت لهم السيطرة والقوة والمنعة كما كانوا من قبل .

وأظن أن ماقدمته من أمثال يكفي لبيان أن هذا الأسلوب كان من الأساليب الإعلامية الناجحة التى استخدمها القرآن الحكيم في كثير من الأحيان لتحقيق بعض أغراضه

(١) الزمر/ ٢٩
(٢) العنكبوت/ ٤١

الإعلامية الهامة لما لها من وقع خاص في النفوس وبلاغ مبين في الموعظة وقوة عظيمة في الإقناع قال تعالى : ﴿ **ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون** ﴾[(١)].

وقد اسعان بهذا الأسلوب الرسول ﷺ في تبليغ الدعوة وإقامة الحجة على الناس . فعلى المسلمين اليوم الإستفادة من هدى القرآن في هذا الأسلوب والإستعانة به في إعلامهم لتوضيح الحقائق والترغيب فيها أو التنفير منها بتقريبها والتشويق إليها عن طريق ضرب الأمثال .

رابعاً : أسلوب الحكيم :

إن القرآن ظل يتحرك ويعمل وينشىء تصوراً جديداً ويقاوم التصورات الجاهلية داخل الأمة الإسلامية وظلَّ أيضاً يدافع عن هذه الأمة ويقيها العثرات مدة ثلاثة وعشرين عاماً بشتى الأساليب والطرق وذلك لأن الله سبحانه وتعالى نزَّل هذا القرآن لينشىء فيها حياة كاملة ويحركها ويقودها إلى شاطىء الأمان بين الأشواك والعثرات ومشقات الطريق التي تتناثر فيها العقبات وكانت نتيجة ذلك :-

أولاً : برزت أوضاع جديدة في المجتمع الجديد الذي.جعل يأخذ شخصيته الخاصة ويتعلق به الأفراد تعلقاً وثيقاً . فلم يعودوا أولئك الأفراد المبعثرين ولاتلك القبائل المتناثرة إنما عادوا أمة لها كيان ولها نظام ولها وضع يشد الجميع إليه ويهم كل فرد فيه أن يعرف خطوطه وارتباطاته وهى حالة جديدة أنشأها القرآن الكريم بسياسته وطريقته في القيادة .

ثانياً : تغلغلت العقيدة الجديدة وسيطرت على نفوس الناس حتى صار كل أحد يتحرج أن يأتي أمراً في حياته اليومية قبل أن يستوثق من رأى العقيدة فيه وشعورهم هذا جعلهم يقفون دائماً على قدم الإستعداد لتلقي كل توجيه من العقيدة الجديدة لتصوغ حياتهم الجديدة على أساسها مبرأة من كل شائبة .

لذا نرى القرآن الكريم يطالعنا بكثير من المواقف التي يسأل فيها المسلمون نبيهم ﷺ عن شئون شتى تصادفهم في حياتهم الجديدة يريدون معرفة كيفية السير فيها وفق تصورهم

---

(١) العنكبوت : ٤٣.

ونظامهم الجديد ولقد عمَّت هذه الأسئلة على كثير من الأمور حتى انها شملت ظواهر الكون الذي يعيشون فيه .

كما يطالعنا بأساليبه الإعلامية في اجابته عن كل سؤال وعلى كل تساؤل يصدر من هذه الجماعة ومتابعته للأحداث الهامة وطريقة معالجته للمشاكل الخاصة والعامة في الحياة اليومية والمستقبلية .

معنى أسلوب الحكيم :

ومن خلال تطلعاتنا في القرآن الكريم نلاحظ ظاهرة غريبة في بعض الأحيان وهى أنه يعدل في بعض أجوبته عما تقتضيه بعض الأسئلة الموجهة . ولقد أطلق السكاكي على هذا النوع من الإجابات « اسلوب الحكيم » وكل أساليب القرآن الكريم حكيمة . كما عرَّف هذا النـوع من الأساليب « على بن محمد الجرجاني » بأنه عبارة عن ذكر الأهم تعريضاً للمتكلم على تركه الأهم(١) .

ولقد اتبع القرآن الكريم هذا النوع من الأساليب لأنه بصدد انشاء أمة لها تصور خاص ونـظام خاص ومجتمـع خاص تستطيع أن تصنع المعجزات في انقاذ البشرية من الهاوية وقيادتها إلى بر الأمان .

وعلى هذا الأساس نشاهده لايشغل نفسه فيما لافائدة منه في المهمة التي جاء من أجلها ولكنه لايضيع ولايغفل أى فرصة ليلفت الأنظار إلى كل ماله علاقة مباشرة أو غير مباشرة بما يهم سعادة الناس في حياتهم الخاصة والعامة .

بعض الأمثلة على هذا الأسلوب :

ومن الأمثلة على هذا النوع من الأساليب القرآنية :

قوله تعالى : ﴿ **يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج** . . ﴾(٢) .

يقول السكَّاكي (إن اصحاب رسول الله ﷺ سألوا عن الهلال لم يبدوا دقيقاً مثل الخيط ثم يتزايد قليلاً حتى يمتلأ ثم لايزال ينقص حتى يعود كما بدا فأجيبوا ببيان حكمة ذلك تنبيها على أن الأهم السؤال عن ذلك لا ماسألوا عنه)(٣) .

---

(١) كتاب التعريفات ـ على بن محمد الشريف الجرجاني ـ ص ٢٣ مكتبة لبنان « بيروت » سنة ١٩٧٨ م .

(٢) البقرة/١٨٩

(٣) الإتقان في علوم القرآن ، جـ ١ ـ ص ١٩٦

فأخبرهم بأن بها يعرفون مواقيت عباداتهم من الصيام وأوقات الزكاة والكفارات وأوقات الحج كما يعرفون بها مواقيت معاملاتهم كأوقات الديون المؤجلة ومدة الإجارات ومدة العدد والحمل وغير ذلك مما هو من حاجات الخلق فجعله تعالى حساباً يعرفه كل أحد صغيراً كان أو كبيراً عالماً كان أو جاهلاً .

فالقرآن الكريم عدل في جوابه عن مقتضى سؤالهم وهو إخبارهم عن الدورة الفلكية وكيف تتم واتجه بجوابه على هذا السؤال إلى واقع حياتهم العملية وحدَّثهم عن وظيفة الأهلة في واقعهم وفي حياتهم لأن هذا هو المهم بالنسبة لهم في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخهم .

مثال آخر :

قال تعالى : ﴿ **يسئلونك ماذا ينفقون قل ماأنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وماتفعلوا من خير فإن الله به عليم** ﴾[1] .

فهذه الآية تبين لنا أن أصحاب النبي ﷺ سألوه عن حقيقة ماينفق من الأموال فأجيبوا ببيان طرق إنفاقها تنبيهاً على أن هذا هو الأولى والأجدر بالسؤال عنه .

فأخبرهم أن كل ماينفق من الأموال يكون للوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال ميمون بن مهران بعد تلاوته لهذه الآية (هذه مواضيع النفقة ماذكر فيها طبلاً ولا مزماراً ولا تصاوير الخشب ولا كسوة الحيطان)[2].

وبفضل هذا التوجه يكون قد ربط جميع طوائف المجتمع في رباط التكافل الإجتماعي الوثيق بين بنى الإنسان في إطار العقيدة المتين .

وكان في هذا التوجيه تنبيهاً لهم على أن معرفة هذه الأمور التي أرشدهم إليها أعظم بكثير مما سألوا عنه وطلبوا معرفته من نوع الأموال التي ينبغي الإنفاق منها لأن الإنفاق يكون من كل شيء فيه خير ومنفعة لبني الإنسان .

مثال آخر :

قال تعالى : ﴿ **قال فرعون ومارب العالمين قال رب السموات والأرض ومابينهما إن كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال إن رسولكم**

---

(١) البقرة/٢١٥

(٢) تفسير القرآن العظيم ـ المجلد ١ ـ ص ٣٦٧

الذي أرسل إليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب ومابينهما إن كنتم تعقلون)[1].

(فمن المعروف أن « ما ») تستخدم في السؤال عن ماهية الشيء وجنسه ولما كان هذا السؤال في حق الباريء سبحانه وتعالى خطأ لأنه لا جنس له فيذكر ولاتدرك ذاته عدل موسى عليه السلام إلى الجواب بالصواب ببيان الوصف المرشد إلى معرفته[2] .

فقال له إن ماسألتني عنه هو رب هذا الكون الهائل الذي لايبلغه سلطانك يافرعون ولا علمك .

ولاشك أن جواب موسى عليه السلام هذا يكافيء ذلك التجاهل الذي بدى من فرعون ويغطيه لأنه يوحي باستصغار فرعون وبطلان مايدعيه من ألوهية كما أن فيه إلفات لنظر فرعـون إلى هذا الكون الهائل والتدبر والتفكر فيه لكي يتوصل إلى حقيقته وحقيقة رب العالمين لأن هذا هو الأجدر به وبقومه أن يبحثوا ويسألوا عنه لا عن ماهية الله سبحانه وتعالى .

فتعجب فرعون من جواب موسى وعدم مطابقته للسؤال لذا التفت إلى من حوله . وقال لهم « ألا تستمعون ؟ » أي إلى جوابه الذي لم يطابق السؤال .

ولم يتـأخر موسى عليه السلام في الرد عليه وعلى قومه بصفة أخرى من صفات رب العالمين فقال « ربكم ورب آبائكم الأولين » ليبطل بذلك مايعتقدون من ربوبية فرعون نصـاً وإن كان دخـل في الأول ضمنـاً . لذلك لم يطق فرعون السكوت لأن الملأ حوله يستمعون إلى الحقيقة التي تدمر كل ما يعتمد عليه في دعواه للألوهية ومن ثم رمى قائلها في تهكم بالجنون .

« قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون » ولما لاحظ موسى عليه السلام عدم فطنة قومه أغلظ عليهم في الثالث بقوله « رب المشرق والمغرب ومابينهما إن كنتم تعقلون » .

وبهذا الأسلوب وصل القرآن الكريم بقلوب الناس إلى الغرض المنشود في رفق وفي هدوء وفي غير معسفة ولا اصطناع .

هذا الأسلوب وغيره من الأساليب الإعلامية التي أشرنا إليها فيما تقدم من هذا البحث الموجز أرشدنا إليها القرآن الكريم لنقيم عليها نظاماً إعلامياً فريداً في أسلوبه يأخذ بيد الإنسان كما هو ويبدأ به من حيث هو ثم ينتهي به إلى آماد وآفاق لاتصل إليها البشرية بغير

---

(١) الشعراء/٢٣ ـ ٢٨ .

(٢) الإتفاق في علوم القرآن ـ جـ ١ ـ ص ١٩٦

هذه الأساليب ولم تبلغ إليها إلا حين سارت على هذا النظام في هذا الطريق .

وقبل أن ننتقل إلى الفصل الثاني من هذا الباب يحسن بنا أن نشير إلى أن هذا الأسلوب ليس مستخدماً الآن في الإعلام على هذا النحو الذي أشرنا إليه وإنما الذي يستخدم الآن في الإعلام شيء آخر يمكننا أن نطلق عليه « أسلوب لفت الأنظار ويتمثل في تركيز وسائل الإعلام على قضايا جانبية وإثارة الضجيج الإعلامي حولها لتوهم الناس بأهميتها وذلك بهدف اشغالهم عن قضايا هامة وخطيرة تتعلق بأمنهم واستقرارهم في الحاضر والمستقبل .

وهذا الأسلوب على هذا النحو يعتبر من أهم المبادىء النازية في الدعاية يقول « جوبلز » (يجب أن تعمل الدعاية على تسهيل عملية الإبدال وذلك بتركيز مشاعر الجماهير العدوانية نحو أهداف بديلة مثل كراهية اليهود والبولشفيك)[1] .

ومن الأمثلة على أسلوب لفت الأنظار هذا : الضجيج الإعلامي الذي أثارته إسرائيل وجميع وسائل الإعلام العالمي حول الصواريخ التي نصبتها سوريا في لبنان وكان هدفها الحقيقي لفت أنظار العالم العربي والإسلامي عن العملية التي كانت إسرائيل تنوي القيام بها والتي قامت بها بالفعل بعد ذلك بوقت قصير وهى ضرب المفاعل النووي العراقي في ٧ يونيو ١٩٨١ م .

وساعد على انجاح هذا الأسلوب تحكم وكالات الأنباء العالمية في الاخبار الخارجية واعتماد العالم الإسلامي على كل ماتوحيه هذه الوكالات من أنباء مع العلم أن أغلب العاملين بها يهود متعصبون ومن ثم نلاحظ أن الإعلام الاسلامي لايهتم بقضاياه وإنما يهتم بما يوحي إليه من قبل لوكالات العالمية للأنباء الشرقي منها والغربي كل حسب انتمائه .

ومن الأمثلة على « أسلوب لفت الأنظار » التركيز الإعلامي على الثورة الإيرانية وعلى قضية الرهائن الإمريكيين في ١٩٧٩ م وأخيراً الحرب العراقية الإيرانية ولفت أنظار العالم الإسلامي والعربي إلى كل مايحدث في هذه المطنقة من العالم وذلك لشغل العالم الإسلامي عن قضية الشرق الأوسط وتحرير القدس من الصهاينة الذين هم في الحقيقة أشد خطراً على هذه المنطقة من كل شيء لأن كل مايحدث فيها من قلاقل وفتن واشعال للحرائق هنا وهناك إنما هو بفعلهم وتدبيرهم الشيطاني لأن هذا هو شأنهم منذ القدم ومن صميم عقيدتهم .

---

(١) الإعلام الدولي ـ احمد بدر ـ ص ٣١٢ ـ مكتبة غريب « الفجالة »

ولقد نجح أسلوبهم هذا في تحقيق جميع أهدافهم فصارت اسرائيل تسرح وتمرح في المنطقة دون أى تنديد حازم من الاعلام العربي فنفذت جميع مخططاتها في هذه المنطقة من تخريب العالم العربي اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً ومن القيام بعمليات عسكرية بقصد إذلال العرب وتشويه صورتهم في العالم كضرب لبنان من وقت لآخر والقيام بعملية تدمير المفاعل النووي العراقي وأخيراً عقد أخطر تحالف عسكري استراتيجي بينها وبين الولايات المتحدة الإمريكية للهيمنة على المنطقة .

واعتقد أن العالم العربي في طريقه إلى استعمار أشد من سابقه إذا استمر على هذا الحال من التفكك والتمزق وعدم التركيز واختلاف الأهواء والاتجاهات مما نتج عنه مواقفهم السلبية تجاه جميع القضايا الهامة والتي تهدد أمن وسلامة المنطقة .

وإذا استمرت الولايات المتحدة واسرائيل تنتهجان هذا الأسلوب تجاه هذه المنطقة على هذا المنوال . فإنه لن تكون هناك وحدة أو اتحاد في العالم العربي والاسلامي إلا بمعجزة من الله سبحانه وتعالى وهو القادر والقاهر فوق عباده .

الفصل الثاني

بعض طرق تأثير القرآن الكريم

تحدثت في الفصـل السـابق عن نماذج من الأسلوب الإعـلامي في القرآن الكريم وفي هذا الفصل أبين بعض الطرق التي استند إليها القرآن الكريم في التأثيرعلى الرأى العام . لأنه من المعروف أن من أصعب الأمور تغيير الآراء والمعتقدات الراسخة في نفسية فرد أو في نفسية الشعوب .

ومـع ذلـك فإننـا إذا أمعنا النظر في القرآن الكريم استطعنا الوقوف على بعض الطرق التي استند إليها في التأثيرعلى الآراء والمعتقدات الباطلة التى كانت راسخة في ذلك الوقت في نفوس الناس وأذهانهم إلى أبعد الحدود وهدايتها إلى الطريق المستقيم ووجدنا أن هذه الطرق صالحة لكـل زمـان ومكـان لتحقيق الهـدف المنشود وهو توجيه الناس الوجهة السليمة التي تكفل لهم السعادة في الدارين .

وسأحصر كلامي في هذا الفصل على الطرق الآتية على التوالي :-

ذكر الحقيقة ، التوليد ، التدرج ، التذكير ، التكرار ، التشويق .

١ ـ ذكر الحقيقة

أعني بذكر الحقيقة هو ماذكره « رمضان لاوند »[١] من أنها « مناقشة كل قضية من القضايا المطروحـة بمنهج موضوعي لايلتفت فيه إلى أى عامل من العوامل المعارضة التي تتعارض مع

---

(١) الإعلام الإسلامي والعلاقات الانسانية ص ٦٣

قول الحقيقة[1] .

وقبل التَّكلم عن ذكر الحقيقة في القرآن الكريم يحسن بي الإشارة إلى قوة هذا المبدأ الإعلامي في التأثير على الرأى العام وترسيخ المعلومات وكسب ثقة الناس . فأقول إن الإعلام الذي يستند إلى قول الحقيقة يكون أقوى في التأثير وأبقى على الزمن من الأكاذيب والتهاويل والشائعات وباستطاعته توثيق العلاقات بين المرسل والمستقبل بحيث لاتشوب هذه العلاقات أى شائبة من الريبة والشك . وليس أخطر على العمل الإعلامي من أن تكذِّب الوقائع مايجرى على ألسنة الإعلاميين وماتسجله أقلامهم ـ وذلك لأن الله سبحانه وتعالى جعل في الفطر الإنسانية « الدّأب في البحث عن الحقائق والإستمرار في التفتيش عن الحلول الصحيحة والإجابات المقنعة لكل مايصدر عن الفكر الإنساني من مسائل ومشكلات . . والتي ستظل باقية مابقيت التغييرات والتطورات المادية والمعنوية[2] والتزام الصدق في عرض الحقائق ورواياتها كما وقعت هما الضمان الأساسي للفوز بثقة الناس وقبولهم لآراء المرسل وإذا لم تكن أخبار المرسل ملتزمة بالدقة والصدق التام ولو في مرة واحدة من المرات فإن ذلك يسبب للمستقبل ضيقاً شديداً ويزعزع الثقة في رسالة المرسل وأهدافه ونواياه لأن من يكذب مرة لا يأمنه الناس بعد ذلك بالمرة ولذلك عندما أراد الرسول ﷺ الجهر بالدعوة صعد الصفا ونادى قومه وقال لهم « لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي . ؟ فأجابوا جميعاً بصوت واحد ماجربنا عليك كذباً » .

ومن هنا يتضح لنا خطورة هذا المبدأ في الإعلام فإنهم لو أخذوا عليه كذبة واحدة في حياته لكان في ذلك مدخلاً وحجة لهم في عدم قبول هذه الدعوة وصد الناس عنها .

« والواقع أن في وسع الإعلام الموضوعي الذي يتعامل بمقاييس الإستقامة وموازين الموضوعية أن ينتزع الثقة من قلب كل إنسان لا يعارض الحق عن مكابرة وعناد »[3].

---

(١) وعلى هذا يكون « بيجن » قد صدق قومه عندما اتخذ قراراً بتطبيق التشريع الإسرائيلي « على مرتفعات الجولان السورية عام ١٩٨١ م الذي يعني الضم الرسمي لهذا الجزء الهام الى فلسطين المحتلة .

ويكون « ريجان » قد حابا الزعماء اليهود عندما أكد لهم تأييده لبقاء القدس موحدة في ظل السيادة الإسرائيلية ولم يصدق العرب عندما أبدى استعداد حكومته في المساهمة لحل قضية الشرق الأوسط وفي إظهاره لهم الصداقة والود والمحافظة على مشاعرهم .

(٢) الإعلام في ضوء الإسلام ص ١٧٧ .

(٣) الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ص ٦٤ ـ بتصرف

ولاعجب إذا في أن يكون الإعلام في القرآن الكريم يعتمد في تأثيره على العرض الموضوعي وقول الحقيقي لأنه يتعامل مع العقول والقلوب والنفوس ويحترمها ويحترم أصحابها . لذا استطاع أن يفوز بثقتها وينجح في التعامل معها . وليس أدل على ذلك من الحقائق التي نجدها في القرآن الكريم والتي جاءت على ألسنة الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم كحقيقة التوحيد التي هي جوهر الرسالة وحقيقة الوصايا والتوجيهات التي نادى بها جميع رسل السماء والتي لم تتغير ولم تتبدل إلى يومنا هذا وحقيقة الحجج والأدلة العقلية والمنطقية التي يصدع بها جميع هؤلاء الرسل للبرهنة على هذه الحقائق . كل ذلك يثبت أن الحق واحد لا يتغير وأن مصدره واحد لا يتغير وأن جميع من حمل هذه الحقائق أخلاقهم واحدة ويسيرون على نهج واحد وخطة واحدة لهداية البشر إلى الحق وإلى الطريق المستقيم .

هذا من حيث عموم ما اشتمل عليه القرآن الكيم من حقائق . وأما من حيث الجزئيات فإن جميع مافي القرآن الكريم من أخبار وتوجيهات حقائق ثابتة .

بعض الأمثلة القرآنية :

ولتتم الصورة ويكتمل المعنى في هذه النقطة الهامة من البحث ينبغي لي الإستشهاد ببعض الأخبار والوقائع التي وردت في هذا الكتاب الحكيم لتتضح كيفية عرضه للحقائق وترسيخها في نفوس الناس وعقولهم .

١ - قال تعالى : ﴿ **ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال يانوح إنَّه ليس من أهلك إنَّه عمل غير صالح فلا تسئلن ماليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين** ﴾(١) .

فقد أمر الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة لهاتين الآيتين رسوله نوح عليه السلام بأن يحمل في السفينة من كل زوجين اثنين بالإضافة إلى أهله ووعده بنجاة كل من ركب في هذه السفينة من الغرق وهو يعلم أن وعد الله حق وأنه لا يخلف الميعاد ولكنه ظن أن الوعد شامل لجميع الأهل من آمن منهم ومن لم يؤمن فلذلك دعا ربه بأن ينجي له ابنه حسب وعده له عندما رآه سيهلك مع الهالكين فعندها بين الله سبحانه وتعالى له حقيقة الأهل وحقيقة القرابة المعتبرة عند الله بأنها قرابة العقيدة لا قرابة النسب بنوّةً كانت أم أخوة أم غير ذلك فكل قرابة لا تقوم على أساس العقيدة فهي باطلة ولا اعتبار لها وعلى هذا الأساس فإن ابنك ليس من أهلك الذين

(١) هود/ ٤٥ - ٤٦ .

وعـدتـك بإنجـائهم لأنـه لا يدين بما تدين به وهذه الحقيقة تكررت في عدة مواضع من القرآن الكـريم منها مانزل في عمٍّ رسول الله ﷺ « أبي لهب » من وعيد بمصير أسود ينتطره يوم القيامة وهو عذاب الله الأليم قال تعالى : ﴿ **تبت يدا أبي لهب وتب ماأغنى عنه ماله وماكسب سيصلى نارا ذات لهب . . .** ﴾[1] . ولم ينجه من هذا المصير كونه عم رسول الله ﷺ ومن أهله وأقربائه وكـذلـك مانـزل في الـوليد بن المغـيرة من الوعيد الشديد بما سيلقاه يوم القيامة . قال تعالى : ﴿ **سأصليه سقر . وما أدراك ماسقر . لا تبقى ولاتذر . لواحة للبشر عليها تسعة عشر** ﴾[2] .

ولم يشفع له من هذا المصير كونه عربياً ومن قوم رسول الله ﷺ وسلم وكان المسلمون يقاتلون كفار قريش وهم أقرباؤهم في الحسب والنسب .

فكان الإبن يقاتل أباه والأب يقاتل ابنه وماذلك إلا لأنه لا اعتبار لهذه القرابة بدون الإشتراك في هذه العقيدة حتى إن الإرث والعصبة لاتكون بين الأقرباء إلا إذا وجد الإشتراك في العقيدة . ومن هنا تتضح لنا حقيقة أخرى وهى عدم جواز قيام أى وحدة أو اتحاد تحت أى شعار غير شعار الإسلام (لا اله الا الله محمد رسول الله) .

٢ ـ قال تعـالى : ﴿ **فلما قضى زيـد منهـا وطرا زوجناكها لكى لايكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا** ﴾[3] .

وكان سبب نزول هذه الآية أن الأدعياء كانوا في الجاهلية وفي أول الإسلام في حكم الأبناء من جميع الـوجـوه فأراد الله سبحانه وتعالى : ﴿ **أن يبين حقيقة الأدعياء وأنهم ليسوا في حكم الأبنـاء وأن أزواجهم لاجناح على من تبناهم في نكاحهن** ﴾ . وإذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يعلن عن حقيقة هامة لها صلة مباشرة بآراء الناس ومعتقداتهم جعل لها سبباً حتى تكون أقوى تأثـيراً وأشـد رسوخاً وهذا واضح من طريقة القرآن ونزوله منجماً حسب الحوادث فكان زيد بن حارثة قد تبناه الرسول ﷺ حتى نزل « أدعوهـم لآبائهـم » فصار يدعى لأبيه « حارثة » وكانت تحته « زينب بنت جحش » فلما طلقها تزوجها رسول الله ﷺ بأمر من الله سبحانه وتعالى وذلك لإظهـار حكم الـزواج بزوجات الأدعياء كما قال سبحانه « لكى لايكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم » وهـذا من الإعـلام العملي المقترن بالقول وهو من أرقى أساليب الإعلام في ترسيخ الحقائق .

---

(١) المسد/١ ـ ٣ .

(٢) المدثر/٢٦ ـ ٣٠ .

(٣) الأحزاب/٣٧ .

٣ ـ وقال تعالى : ﴿ ومامحمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين ﴾[١] .

سبب نزول هذه الآية هو ماذكر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال تفرقنا عن رسول الله ﷺ يوم أحد فصعد الجبل فسمعت يهودياً يقول : قتل محمد فقلت لا أسمع أحداً يقول قتل محمد إلا ضربت عنقه فنظرت فإذا رسول الله ﷺ والناس يتراجعون إليه فنزلت هذه الآية . . . ومامحمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل[٢] . فعندما ظهر هذا الموقف من الصحابى الجليل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو صعوبة قبوله واقتناعه بموت رسول الله ﷺ نزلت هذه الآية تبين الحقيقة وتذكّر بها وهى أن الرسول ﷺ من جنس الرسل الذين قبله وظيفتهم تبليغ رسالة ربهم ، وتنفيذ أوامره ليسوا بمخلدين وليس بقاؤهم شرطاً في امتثال أوامر الله لأن الواجب على الناس عبادة ربهم في كل وقت وعلى كل حال ولا يجوز لأى إنسان كائناً من كان ترك ماجاء به الرسول ﷺ من إيمان وجهاد أو دفع زكاة بمجرد موت الرسول ﷺ كما يعتقد بعض الناس ولقد ظهر هذا الإعتقاد الذي تحذر منه هذه الآية بعد وفاة الرسول ﷺ حيث ارتد كثير من العرب عن الإسلام بالكلية أو امتنع عن القيام ببعض أركانه كالزكاة مثلاً . فتصدى لهم خليفة رسول الله ﷺ أبوبكر الصديق بحزم حتى أعاد الناس في جزيرة العرب إلى الاسلام .

« وعلى هذا فقس فإن كل ماجاء به القرآن الكريم من أخبار وإرشادات وتوجيهات فهى حقائق سواء منها ماكان يتعلق بسياسة الدولة أو الأفراد والجماعات أو مايتعلق منها بإصلاح المجتمع والأخلاق »[٣].

والسبب في ذلك كما يقول رمضان لاوند « إنّه لايقصد من وراء مايدعوا إليه وينادى به وفي طريقة معاملته للناس مصلحة آنية ولا كسباً سياسياً مرحلياً ولايهتم بتحقيق أغراض طارئة »[٤]

إنه الإعلام الذي يصدر عن الحق ولايقول إلا الحق الذي تنشده الفطرة الإنسانية السليمة .

لذا أمر الله نبيه الكريم ﷺ بأن يصدع بهذه الحقيقة « قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني . . .

---

(١) آل عمران/١٤٤
(٢) فتح القدير ـ جـ ١ ص ٣٨٨ .
(٣) من قضايا الإعلام في القرآن ـ ص ١٥٥
(٤) نفس المرجع ـ ص ١٥٧

أى أنهم يدعون إلى الله على علم وبصيرة بما يدعون إليه ولذلك لايقومون إلا بعرض الحقائق وكل ماهم به علم وأنهم لايدعون الناس إلى شيىء يجهلونه أو على شك منه .

مكانة الصدق في الإعلام القرآني :

وبجلالة مكانة الصدق وعلو شأنه ذكر القرآن الكريم اتصاف الله تبارك وتعالى بصفة الصدق في مواضع كثيرة قال تعالى : ﴿ **قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا** . . ﴾[1].

وقوله تعالى : ﴿ **ومن أصدق من الله حديثاً** ﴾[2].

وقوله تعالى : ﴿ **ومن أصدق من الله قيلا** ﴾[3].

فهـذه الآيات تدل على أنه لاأحد أصدق من الله لأن كلامه تعالى صادر عن العلم المحيط بكل شيء . ﴿ لايضل ربي ولاينسى فلا يحتمل أن يكون خبره غير صادق لنقص في العلم كما لايجوز أن يكون كذلك لغرض أو حاجة لأنه تعالى غني عن العالمين .

وأما خبر غيره فيحتمل الصدق والكذب عن عمد وعلم أو عن جهل وسهو ولذا لايجوز إيثار أخبار المخلوقين على أخباره جل وعلا كما يفعل كثير من المقلدين الضالين »[4].

وكـذلـك نجد القرآن الكريم يصف رسل الله تعالى عليهم أفضل الصلاة والسلام بالصدق وذكر الحقيقة قال تعالى : ﴿ **وصدق الله ورسوله** ﴾[6] . فمن الطبيعي إذا أن يكـون الرسول ﷺ قدوة وأسوة ومثلاً في الصدق وأن يظهر خُلق الصدق فيه منذ نشأته تطبيقاً لقوله تعالى : ﴿ **الله يعلم حيث يجعل رسالته** ﴾[7] .

الترغيب في ذكر الحقيقة والتنفير من حجبها :

ولعلم الله سبحانه وتعالى أن الباطل والكذب قرينان لطبائع كثير من الناس ملائمان لشهـواتهم استخدم أسلوب الترغيب والترهيب في الحض على الصدق والإلتزام به فبين محاسنه ورغب فيه كما نهى عن الكذب وبين مساوئه وخوف منه في مواضع كثيرة من القرآن الحكيم حتى يرسخ في أذهان الناس أن الصادق المحق عظيم المنزلة عند الله عز وجل وعند

---

(١) سورة آل عمران : الآية «٩٥».
(٢) سورة النساء : الآية «٨٧».
(٣) سورة النساء : الآية «١٢٢».
(٤) انظر هذا المعنى في تفسير المنار جـ ٥ ص ٣١٧ « بتصرف » .
(٥) سورة يس : الآية «٥٢». (٦) سورة الأحزاب : الآية «٢٢» .
(٧) موسوعة أخلاق القرآن ـ احمد الشرباصي ـ جـ ١ ص ٤٣ ـ مكتبة الرائد العربي « بيروت » .

خلقه والكاذب المبطل ساقط المنزلة عند الله وعند خلقه قال تعالى : ﴿ **يٰأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾[1].

وقال الله تعالى : ﴿ **والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون** ﴾[2] .

ففي هاتين الآيتين ترغيب في الصدق وقول الحقيقة والتصديق بها حيث جعلها عنوان التقـوى ولقد وصف من قام بالكذب بالظلم وتوعده بالعذاب الأليم وذلك للتنفير من الكذب والكذابين قال تعالى : ﴿ **فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه** ﴾[3] .

وقوله تعالى في مجال الإعلام بهذا الدين ﴿ **ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين** ﴾[4].

وكما أن القرآن الكريم دعا إلى التثبت وتحرى الحقيقة فإنه أيضاً بين الآثار الضارة التي تترتب على إهمال ذلك قال تعالى : ﴿ **يٰأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين** ﴾[5].

فالله سبحانه وتعالى يأمرنا في هذه الآية بالتثبت في خبر الفاسق لأن في قبول خبره على الإطلاق خطراً كبيراً على الأمة لما قد يحصل بسببه من إتلاف النفوس والأموال بغير حق .

وباستطاعاتنا تصور مدى خطر قبول خبر الفاسق بدون تحفظ عندما نعلم أن سبب نزول هذه الآية هو « أن الرسول ﷺ بعث الوليد بن عقبة أخا عثمان رضي الله عنه لأمه مصدقاً إلى بني المصطلق وكان بينه وبينهم إحنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب أنهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله ﷺ قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم عليه الصلاة والسلام بقتالهم »[6] وقال تعالى أيضاً في معرض بيان الآثار الضارة التي تترتب على الظن وعدم التثبت من الحقيقة : ﴿ **يٰأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم** ﴾[7] .

نهى الله سبحانه وتعالى عباده في هذه الآية عن كثرة الظن وهو كثرة الإتهام للناس لأن بعض ذلك يكون كذباً وبعيداً عن الحقيقة والواقع مما يترتب عليه الاثم المحض « وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : « ولاتظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن

---

(١) التوبة/١١٩
(٢) الزمر/٣٣
(٣) الزمر/٣٢
(٤) الحاقة/٤٤ ـ ٤٦
(٥) الحجرات/٦
(٦) تفسير أبي السعود : جـ ٥ ، ص ١٧٤ ـ مكتبة الرياض الحديثة .
(٧) سورة الحجرات : الآية «١٢» .

إلا خيراً تجد لها في الخير محملاً . . . وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : « رأيت النبي ﷺ يطوف بالكعبة ويقول : « ماأطيبك وأطيب ريحك ماأعظمك وأعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى حرمة منك ماله ودمه وأن يظن به إلا خيراً » تفرد به ابن ماجه من هذا الوجه »(١).

هذا فيما يتعلق بالصدق في الأقوال وأما مايتعلق بالصدق في الأفعال الذي هو ضرورة من ضرورات الإعلام الإسلامي فقد قال الله تعالى في محكم كتابة : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا** ﴾(٢) أي أنهم صدقوا الله تعالى بالوفاء بعهدهم فأكملوها على خير وجه وبذلوا مهجهم في مرضاته وسبلوا نفوسهم في طاعته .

وقال ابن القيم في معرض كلامه عن الصدق في الأقوال والصدق في الأفعال : (ان الصدق في الأقوال هو استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها . . والصدق في الأحوال هو استواء اعمال القلب والجوارح على الإخلاص واستفراغ الوسع وبذل الطاقة)(٣) .

ومما تقدم يتضح لنا مدى أهمية الصدق في الأقوال وفي الأفعال بالنسبة للإعلام الإسلامي وأنه لابد من مراعاتها إمتثالاً لأمر الله وأمر رسوله ﷺ وذلك في كل عمل إعلامي مهما كانت الظروف والأحوال إلا ما استثنى منها بالحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه والذي سأتكلم عنه في النقطة التالية إن شاء الله تعالى .

الحالات التي يجوز فيها الكذب في الإعلام :

والآن وبعد أن عرفنا الصدق ومعنى ذكر الحقيقة في الإعلام وأهمية ذلك بقى علينا معرفة أن الإعلام الإسلامي يجوز فيه الكذب في حالتين فقط .

الحالة الأولى : يجوز للإعلام الإسلامي أن يكذب ويحجب الحقائق إذا كان في حرب نفسية أو عسكرية مع الأعداء وعليه بذل كل الجهود في تضليلهم والقاء الرعب في قلوبهم وتفريق كلمتهم . وذلك يكون بهندسة الأساليب الإعلامية وإخراجها بطرق فنية وذكية

(١) تفسير القرآن العظيم : جـ ٤ ، ص ٢١٢ ـ دار احياء التراث العربي بيروت .

(٢) سورة الأحزاب : الآية «٢٣».

(٣) موسوعة أخلاق القرآن : جـ ١ ، ص ٤٧ مكتبة الرائد العربي ـ بيروت

توحي بمعلومات من شأنها تضليل العدو وغرس روح الهزيمة في صفوفه تحت ستار من الحقائق الموهومة كأن تنشر وسائل الإعلام أن قائد جيش الأعداء قد مات أو قتل ويكون القصد بذلك قائداً لهم في الأزمان الماضية وكأن تنشر أن الجيش الذي سيحارب الصين مثلاً أوله في أرض المعركة وآخره في منابت الزيتون . وهذا مافعله « هبيرة بن المشمرج الكلابي » عندما بعثه قتيبة بن مسلم على رأس وفد للتفاوض مع ملك الصين فقال له ملك الصين انصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له ينصرف فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه فقال له هبيرة : كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ؟ وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك ؟[1] إلى آخر ماقاله مما كان سبباً في فتح الصين سلماً ونزول ملكها على شروط المسلمين .

ومن الكذب في الإعلام أيضاً أن يقوم القائد الاسلامي بتنظيم بعض العمليات العسكرية داخل أرض العدو وينسبها الإعلام الإسلامي إلى منظمات داخل أرضه ويعلل سبب قيام هذه المنظمات بتلك العمليات بأنها تعاني من الجور والإضطهاد والظلم الشديد الذي جعلها غير راضية عن سياسة الحكم في بلادها فلجأت إلى القوة والعمل المسلح لتغيير نظام الحكم فينقسم العدو على نفسه وتضعف بذلك قوته . أو ينسب هذه العمليات إلى دولة صديقة للعدو ويعلل ذلك بعدة أمور تزرع الخلاف والشقاق بين الدولتين العدوتين فتضعف بذلك قوتها .

والواقع أن الكذب في الحروب ليس كذباً لأن أى أمة عندما تعلن الحرب على أمة أخرى تكون بذلك قد ألغت مابينهما من تفاهم وتبادل منافع وحيث لاتفاهم ولاتبادل منافع فإنها ستفعل كل ماتستطيعه من أجل تحقيق النصر حتى ولو أدى بها ذلك إلى الكذب والتضليل والخداع « فمثلها مثل من قال الآخر : سأقص عليك خبراً كاذباً ثم قص عليه فليس هذا كذب لأنه لم يخبره بغير مايعتقد فإن اعتقد السامع صدق الخبر فاللوم عليه »[2] .

والحالة الثانية : يجوز للإعلام الإسلامي الكذب وحجب الحقائق إذا كانت هناك طائفتان مسلمتان في نزاع أو صراع بينهما . فلابد للإعلام الإسلامي أن يبذل كل جهوده من أجل احتواء هذا النزاع والتخفيف من حدته والقضاء عليه ولو أدى ذلك إلى الكذب بأن يحرص

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ ابن جرير الطبرى ـ المجلد ٤ ـ جـ ٨ ص ١٠١ ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت

(٢) كتاب الأخلاق ـ احمد امين ص ١٩٠ مكتبة النهضة المصرية « القاهرة » .

على أن يكون جميع ماينشره أو ينقله من أقوال وتصريحات لبعض المسئولين في طرف من أطراف النزاع عن الطرف الآخر جميلاً ويؤوِّل ماكان منها قبيحاً لأن نشره يمكن أن يزيد الخلاف ويحدَّ من فرص الإتفاق . كما أنه لابد أن يقوم بتكذيب كل ماتنشره أجهزة الإعلام الأجنبية حول هذا النزاع ولو كانت صادقة إذا كان في ما تنشره من أخبار يزيد الخلاف بين الطرفين أو ينقله إلى غيرهم .

وهاتان الحالتان لايمكن للإعلام الإسلامي تحقيقهما مع ما ينطويان عليهما من أهمية إلا إذا كانت هناك وكالة أنباء إسلامية قوية تعتمد عليها أجهزة الإعلام في جميع المعلومات [1] وأما إذا ظلت هذه الأجهزة على ماهي عليه الآن من الإعتماد على وكالات الأنباء الأجنبية في جميع المعلومات والأخبار فإن الوضع بلا شك سينعكس تماماً وتقع الشعوب الإسلامية في التضليل الإعلامي في الحرب والسلم على السواء كل ماكانت هناك حاجة للأعداء في تضليل الرأى العام الإسلامي كما أن خلافاتها ستنتشر وتزداد عمقاً في كل المجالات الفكرية والعملية .

وهناك حالة ثالثة : أجاز الإسلام الكذب فيها « وهى كذب الرجل لزوجته وكذبها له إذا كان المراد منه إظهار الود والوعد بما لايلزم ونحو ذلك وأما إذا كان المراد منه المخادعة في منع ما عليه أو عليها أو أخذ ما ليس له أولها فهو حرام باجماع العلماء » [2] والإسلام أجاز الكذب في هذه الحالة لأن النزاع بين الزوجين لايقتصر عليهما بل يعرض الأسرة كلها للضياع وهى أساس المجتمع .

وهذه الحالات الثلاث التي أشرنا إليها آنفاً مستفادة من الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه والذي يقول فيه « إن أم كلثوم بنت عقبة رضى الله تعالى عنها أخبرت أنها

---

(١) إنه في بعض الأحيان يصعب على أجهزة الإعلام المتخصصة بجمع المعلومات الحصول على المعلومات الهامة التي تتعلق بأمن الإسلام والمسلمين وخصوصاً في بلاد الأعداء . . ففي هذه الحالة يتحتم على قادة الأمة بذل الجهود في تسهيل هذه الصعاب حتى ولو أدى ذلك إلى تجنيد بعض المسلمين ودفعهم إلى التسلل بطرق غير نظامية إلى داخل أراضي العدو وبين صفوفه للحصول على هذه المعلومات وهذا مانستفيده من العمل الذي قام به « نعيم بن مسعود » في غزوة الخندق وقول الرسول ﷺ « إنما الحرب خدعة » . ومن ارساله ﷺ « لحذيفة بن اليمان « ليأتيه بخبر العدو في نفس الغزوة . وبما فعله « عكاشة بن محصن في سرية عبدالله بن جحش عندما حلق رأسه لإيهام عير قريش التي مرت بهم انهم قاصدون إلى البيت الحرام لأداء العمرة وليشعرهم بالأمن والإطمئنان حتى يتسنى له ولمن معه تنفيذ مااستقر عليه رأيهم في يسر ودقّة تامّين .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ـ المجلد ٨ ـ جـ ١٦ ص ١٥٨ ـ دار الفكر ـ بيروت بتصرف .

سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيراً وينمي خيراً قال ابن شهاب : ولم أسمع يرخص في شيء مما يقوله الناس كذب إلا في ثلاث الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها » [1]

والحقيقة أن التزام الإعلام الصدق في كل مايقول ويفعل يحتاج إلى إيمان قوى وعزيمة صادقة واحتمال كريم لتبعات الصدق . قال ابن القيم « حمل الصدق كحمل الجبال الرواسي لايطيقه إلا أصحاب العزائم « وقال الجنيد » حقيقة الصدق في موطن لاينجيك منه إلا الكذب » [2] وأقوم طريق يوصل إلى الصدق وذكر الحقيقة أن يخالف رجل الإعلام هوى نفسه وأن يوافق الحق والعدل مهما كان مُرّا .

ومن هنا نستطيع أن نقرر بأن هذه السمة « أى سمة ذكر الحقيقة » والصدق في جميع الأحوال والظروف والتي امتاز بها الإعلام القرآني هي التي جعلته يغير الرأى العام في جميع المجالات في العقيدة والأخلاق والمعاملات في مدة وجيزة من الزمن .

ماهو المفروض في الإعلام المعاصر ؟

والمفروض في الإعلام المعاصر أن يتوخى الصدق والحقيقة في جميع أساليبه لأن هذا هو مايدعوا إليه القرآن الكريم وتؤكده الدراسات الحديثة في مجال الإعلام وأثره في المجتمع حتى أن لجنة حرية الصحافة « ذهبت إلى أن أولى وظائف هذه الوسائل في المجتمع المعاصر هي إعطاء تقرير صادق وشامل وذكي عن الأحداث اليومية في سياق يعطي لها معنى ويجب أن تكون وسائل الإعلام دقيقة تميز بين الوقائع والآراء وتفصل بينهما مااستطاعت إلى ذلك سبيلا » [3] لأن الإعلام الذي يعتمد في أساليبه على نقل الحقائق إلى أمته يمنع تداعيها وتضليلها وأما إذا أخفق في ذلك فإنه سيقودها إلى كثير من المآسي والآلام كما حدث ذلك في مصر عام ١٩٦٧ م حينما لم يقدم الإعلام المصرى الحقائق « إذ كان يرفع شعارات الحماس والإنفعال . . . ويقدم الأكاذيب إلى شعبه بدلاً من توجيهها إلى عدوه بالطرق الذكية على أنها حقائق ومن ذلك ما أذاعه مدير صوت العرب في ١٦ مايو ١٩٦٧ م في تعليق له ذكر فيه قوة إسرائيل العسكرية بأنها تشتمل على عدد من دبابات « سبرمان »

(١) نفس المرجع ص ١٥٧
(٢) موسوعة أخلاق القرآن - جـ ١ - ص ٤٩ .
(٣) فن التحرير الإعلامي - عبدالعزيز شرف - ص ١٣٤ - الهيئة المصرية للكتاب « القاهرة » .

القديمة . . . ومدافع فرنسية عيار ١٠٥ ملليمترات وأنها لاتمتلك جيشاً يستطيع الإشتراك في المعارك النظامية » [١] .

وكان الهدف من هذه الأكاذيب والشائعات تحقير قوة اسرائيل العسكرية ورفع معنويات الشعب وطمأنته بالنصر خوفاً من تفككه وتداعيه عند معرفته حقيقة اسرائيل التي كانت تعد العدة لهذه الحرب منذ أمد بعيد وحقيقة العرب الذين كانوا في ذلك الوقت يغطون في نوم عميق أو يضرب بعضهم البعض الآخر بحجة توحيد العرب تحت شعار القويمة أو البعث أو غير ذلك من الشعارات ولم يعدوا للحرب عدته .

لذلك عندما وقعت الهزيمة عام ١٩٦٧ م واجتاحت اسرائيل الجيوش العربية في أيام معدودة وعندما عرفت الجماهير العربية حقيقة الأمر أصيبت بصدمة وحالة من الذهول .

حجب الحقائق من أخطر أساليب الحرب النفسية :

والجدير بالذكر أن الإعلام العالمي اليوم اعتمد في حروبه النفسية على قول غير الحقيقة وترديد الشائعات وتزوير الأخبار وتلفيق الوقائع .

وهذا يعتبر من أخطر الأساليب في تغيير الرأى العام المحلي والعالمي تغييراً خطيراً لصالح تلك الدول التي تقوم بهذا العمل الدنيىء على حساب حجب الحقائق لتفتك بحريات الشعوب النامية والمحبة للسلام .

ومن الأمثلة على ذلك الحملة النفسية المنظمة التي شنتها ومازالت تشنها القوى المعادية ضد الإسلام والمسلمين أثناء الصراع العربي الإسرائيلي معتمدة في ذلك على أسلوب نشر الشائعات والأكاذيب بهدف تحطيم نفسيتهم قبل أن يبدأ جيشهم بالتحرك والدخول في المعركة فشوشت الأذهان وجعلت الشعوب العربية في حيرة وتردد ورعب مميت وساعدها على تحقيق ذلك الغياب الإعلامي للدول العربية ومساعدة وكالات الأنباء العالمية لها . مع العلم بأن جميع هذه الوسائل تدعى أنها تتحرى الصدق وذكر الحقيقة ومهما إدعت هذه الوسائل أو قيل عنها بأنها تتحرى الصدق والحقيقة فإن ذلك لايعدو كونه طريقة ذكية لتحقيق المصالح والأهداف لأن كل ماتقدمه هذه الوسائل من حقائق تكون في أغلب الأحيان غلافاً لما تقصده من تخريب وتدمير للشعوب النامية والمحبة للسلام . فعلى هذا

---

(١) نفس المرجع ـ ص ١٣٥ ـ بتصرف .

يكون كل ماتقدمه هذه الوسائل من حقائق إنما هو بهدف تحقيق المنافع الخاصة لا بسبب الحرص على تقصى الحقائق والمحافظة على الأخلاق .

وهذا أمر طبيعي ولا نتوقع منهم غير هذا لأن القرآن الكريم قد حذرنا منهم وأخبرنا في كثير من آياته أنهم أعداء ولن يرضوا عنا في حال من الأحوال حتى نتبع ملتهم .

وبسبب الحملات الإعلامية الشرسة ضد الإسلام والمسلمين من قبل الأعداء في عصرنا هذا والتي تعتمد على أساليب الدعاية والكذب والاختلاق وحجب الحقيقة فقد أصبح كثير من المفكرين الإعلاميين من أمتنا يشعرون بضرورة إيجاد إعلام إسلامي يعتمد على الأسلوب النقي النظيف الذي يقول الحقيقة ويصدق أُمَّته مهما كانت الصعاب . ولايمكننا تحقيق ذلك إلا إذا عبأنا كل مانملكه من وعى وحماسة وإمكانيات مادية وفنية للتحرر من تضليل الإعلام الوافد الذي يستظل بالتقدم التكنولوجي العصري .

ونعتمد في إعلامنا على مانستفيده من الهدى الإعلامي في القرآن الكريم حتى نستطيع الوقوف بشموخ في وسط هذا الصراع الإعلامي الخطير الذي أصبح يسود عالمنا اليوم والذي أصبح تأثيره شاملاً لجميع ميادين الحياة البشرية ونستطيع أيضاً توجيه شعوبنا وأمتنا التوجيه السليم نحو الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة وذلك عن طريق ذكر الحقائق وتوليدها .

٢ ـ التوليد :

وهذه طريقة أخرى من طرق القرآن الكريم في التأثير وترسيخ المعلومات والأفكار في النفوس فإذا قرأت القرآن الكريم وتأملت فيه تجده في كثير من الأحيان يعمد الى حذف بعض الأفكار والحقائق التي لايمكن أن يصح المعنى الظاهر أو يتم إلا بالعمل بها ولكنه في الوقت نفسه يسبك تلك المعاني الباقية بطريقة تجعل جميع الأفكار والمعانى لازمة للمعنى المتبادر من ألفاظه وإن كانت غير مفهومة من الألفاظ ولا مقصودة من السياق وقد يكون وجه التلازم ظاهراً وقد يكون خفياً يحتاج إلى دقة نظر ومزيد تفكير وقد يفهم بأدنى تأمل وعلى هذا يكون مرادنا بالتوليد كما هو واضح من معناه : ـ استخراج حقائق وأفكار غير مفهومة من الألفاظ ولا مقصودة من السياق ولكنها لازمة للمعنى المتبادر من السياق لتوقف صحة واتمام العمل بالمنطوق عليها . وقد يحتاج فهم هذا التلازم إلى بعض التدبر قل أم كثر حسب ظهور وجه التلازم وخفائه بين المعنى المنطوق به والمعاني المتولدة عنه

وهذه الطريقة ليست من باب القياس لأن من يفهم اللغة العربية يستطيع أن يدرك أن النص يتنـاول المعـاني والأفكار المحذوفة كتناولها المنطوق سواء بسواء من غير حاجة إلى اجتهاد أو قياس لأنهما متلازمان ولايمكن تحقيق تلك المعاني المنطوقة بدون تلك المعاني المحذوفة ومن الأمثلة على ذلك :ـ لو أرادت دولة ما تأسيس فريق كرة قدم عالمي يمثلها في المباريات العالمية فإنه يتولد عن هذه الفكرة وجوب تأسيس نادي للكرة وانشاء ملاعب للتـدريب وتـأمـين جميع مايحتـاجـه النـادي والـلاعبون من تجهيزات واحضار المدربين المتخصصين في هذه اللعبة إلى غير ذلك من الأمور التي لايمكن تحقيق هذه الفكرة بدون إيجادها .

أمثلة قرآنية على التوليد :

والآن وبعد أن بينا معنى التوليد وضربنا له مثالاً توضيحياً نعرض لك بعض الأمثلة على هذه الطريقة من القرآن الكريم لكى تفتح لنا الباب الى احتذائها في اعلامنا المعاصر .

١ ـ قال تعالى : ﴿ **فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولاً كريماً** ﴾(١) .

ففي هذه الآية نهى الله سبحانه وتعالى عن أدنى مراتب العقوق وهو التأفف الذي هو أدنى مراتب القول السيىء كما نهى عن نهرهما وهو نفض اليدين عليهما وهذا أدنى مراتب العمل السيىء ولكن يتولد عن تحريم التأفف والنهر في هذه الآية تحريم كل ماهو مساو لهذا القول وهذا العمل أو يفوقهما في الإساءة والأذى كالضرب والشتم لأن هذا وإن لم يذكر في الآية إلا أنه في حكم المذكور أو أولى بالحكم منه . فمن امتنع عن التأفف والنهر ولكنه قام بالضرب والشتم لايعتبر قد قام بما أمر به وهو عدم عقوق الوالدين لقيامه بما هو أعظم من التأفف والنهر .

٢ ـ ومن الأمثلة على هذا أيضاً قوله تعالى : ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا** ﴾(٢) .

فالآية : دالة بمنطوقها على تحريم أكل الأوصياء مال اليتامى ظلماً ولكنه يفهم من ذلك ويتولد عنه تحريم إضاعة مال اليتيم بأن يأكلوها غيرهم أو يقوموا بإحراقها أو إتـلافها بأى نوع من أنواع الإتلاف لأن الأوصياء إذا لم يأكلوا أموال اليتامى ظلماً

(١) الإسراء/٢٣
(٢) النساء/١٠

ولكنهم قاموا بإتلافها بطريقة أخرى غير الأكل فإن هذا لاينقذهم من الوعيد المذكور في الآية وإن كانوا قد امتنعوا عن أكلها بالباطل المذكور في الآية إلا أنهم لم يمتنعوا عن لازم ذلك وهو إتلافها بأى شكل من أشكال التلف .

٣ ـ ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى : ﴿ **ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لايؤده إليك إلا مادمت عليه قائماً** ﴾(١) .

فالجملة الأولى من الآية ﴿ **ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك** ﴾ .

تفيد أن أهل الكتاب منهم طائفة أمناء بحيث لو أمنت الواحد منهم على قنطار من النقود يرده إليك ويفهم من هذا ويتولد عنه أنك إذا أمنت هذه الطائفة على أقل من ذلك كدينار أو درهم فإنها سترده لك لأن الذي يرد القنطار من باب أولى أن يرد ماهو أقل منه .

والجملة الثانية « ومنهم من إن تأمنه بدينار لايؤده إليك إلا مادمت عليه قائماً » .

تفيد بأن من أهل الكتاب طائفة خائنة : بحيث لو أمنت أحدهم على دينار لا يؤده إليك ويفهم من هذا ويتولد عنه أنك لو أمنت هذه الطائفة على أى شيء آخر أعظم من الدينار لن تردَّه إليك لأن الذي لايرد الدينار فمن المستحيل عليه أن يرد القنطار .

٤ ـ ومن الأمثلة عليه أيضاً . قال تعالى : ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين** ﴾(٢) .

فهذه الآية تأمر بإقامة الصلاة ولكننا لانستطيع القيام بالواجب المأمور به في الآية إلا إذا قمنا بشيء آخر لم يذكر ولم يشر إليه في الآية لأن الواجب المأمور به تتوقف صحته وتمامه عليه وهو الطهارة وحينئذ يفهم من هذا الأمر ويتولد عنه وجوب القيام بالطهارة لأن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب وعلى هذا فإن جميع النصوص الموجهة للصلاة يتولد عنها وجوب الطهارة لأنها لاتتم إلا بها وإن كانت الطهارة واجبة بأدلة أخرى .

٥ ـ وكذلك قوله تعالى : ﴿ **يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير** ﴾(٣) .

---

(١) آل عمران/٧٥

(٢) البقرة/٤٣ .

(٣) التوبة/٧٣ .

وقال تعالى : ﴿ **وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما تعملون بصير** ﴾[1].

فهـذه الآيات فيهـا أمـر بالجهاد وقتال المشركين لأنهم سبب كل فتنة وفساد في الأرض . ويتولد عن هذا الأمر وهذا الوجوب شيء آخر لم يرد ذكره ولا الإشارة إليه في الآيات السابقة وهو الإستعداد للجهاد بكل مانستطيعه من قوة عقلية وبدنية وأنواع الأسلحـة ونحـو ذلـك مما يعين على القتال وتحقيق الواجب فيدخل في ذلك أنواع الصنـاعـات التي تعمـل فيهـا أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات والبنادق والطائرات الجوية والمراكب البرية والبحرية والقلاع والخنادق وآلات الدفاع والـرأى والسياسـة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع به شر أعدائهم والتدريب على استخدام الأسلحة والشجاعة والتدبير[2] وبهذا يكون كل أمر بالجهاد يتولد عنه الأمر بالإستعداد له لأنه يستحيل القيام به . إلا بذلك ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب وإن كان الإستعداد للجهاد قد أمر به في نصوص أخرى .

ومن هنا يتضح لنا صحة ماكتبه على حسب الله حيث يقول :

« وليس من الفقه في الدين أن يقف المرأ عند ظواهر الألفاظ وينصرف عن تدبر كلام الله وقد ذم الله المنافقين على أخذهم بالظواهر بقوله سبحانه مخاطباً المؤمنين « لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لايفقهون »[3].

فالوقوف عند الظواهر يبعد عن مقاصد الشريعة ويبطل حكمتها .

التوليد في الإعلام القرشي :

وقد استخدم اسلوب التوليد بهذا المعنى الذي قدمناه في الصراع الإعلامي قديماً وحديثاً من ذلـك ماقامت به قريش من دعوة الرسول ﷺ إلى التقارب وهذا ماأشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **قل يأيها الكافرون لا أعبد ماتعبدون ولا أنتم عابدون ماأعبد ولا أنا عابد ماعبدتم ولا أنتم عابدون ماأعبد لكم دينكم ولي دين** ﴾[4] فسبب نزول هذه

---

(١) الأنفال/ ٣٩ .

(٢) تفسير كلام المنان ـ جـ ٣ ص ١٨٣ .

(٣) اصول التشريع الإسلامي ـ على حسب الله ص ٢٥ ـ مطبعة العلوم (بمصر) ط ١

(٤) الكافروت/ ١ـ٦

الآية هو ماذكر عن ابن عباس أن قريشاً دعت رسول الله ﷺ أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ماأراد من النساء فقالوا هذا لك يامحمد وكف عن التهكم بآلهتنا ولاتذكرها بسوء فان لم تفعل فإنا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح قال : ماهي ؟ قالوا تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة قال حتى أنظر مايأتني من ربي فجاء الوحي من عند الله بهذه السورة[1].

والجدير بالذكر أن أسلوب التقارب هذا من أخطر أساليب المشركين على الإسلام وبيان ذلك أن معنى التقارب هو أن يسير كلا الطرفين خطوات نحو الآخر حتى يلتقيا في منتصف الطريق فالذي في أعلى الجبل مثلاً لايمكن له أن يلتقي أو يتقارب مع الذي في أسفله حتى ينزل نحوه ويصعد الذي في أسفله تجاه الذي في أعلاه حتى يتقاربا أو يلتقيا في منتصفه - فلا شك أن الخاسر هو الذي كان في أعلى الجبل وأما الذي كان في أسفله فإنه كاسب من ناحيتين :

الأولى : خسارة الطرف الأول بنزوله من أعلى القمة إلى منتصف الجبل .

الثانية : صعود الطرف الثاني من الحضيض /إلى منتصف الجبل .

وهذا اسلوب في أغلب الأحيان لايلجأ إليه إلا من هو على الباطل أو غاصب لحقوق غيره بهدف قلب الحقائق واحراز كسب معنوي أو مادي في القضية المطروحة .

وعندما طرح المشركون فكرة التقارب هذه على الرسول ﷺ كانوا يقصدون من ورائها تحقيق أحد أمرين : إما أن يوافق الرسول ﷺ على هذه الفكرة فيتولد عن موافقته عليها عدة أمور من أهمها :- اقناع الرأى العام بأن الحق إلى جانبهم وأن الرسول ﷺ ليس على شيء وقبوله بالتنازل عن مايدعوا له أو بعضه أكبر دليل على بطلانه لأن الحق لايعدل عنه الى غيره بأى حال من الأحوال .

ومنها وضع الرسول ﷺ على أول طريق الاستسلام ورضوخه لمبادئهم وعقائدهم الباطلة .

وبهذا يكونون قد حققوا أهم أهدافهم وهو القضاء على هذا الدين وأهله .

وإما أن يرفض الرسول ﷺ قبول هذه الفكرة التي عرضها المشركون فيتولد عن رفضه هذا عدة أمور من أهمها : إشعار كثير من الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام بأن قريشاً قد

---

(١) فتح القدير جـ ٥ - ص ٥٠٨

أنصفت الرسول ﷺ ولم تدخر وسعاً في الوصول إلى حل سلمي لتسوية النزاع القائم بينهم والذي كانوا يعتقدون أنه نزاع شخصي فقدموا كل مالديهم من مال ومقترحات وحلول وسط لإرضاء الرسول ﷺ ولكنه رفض وهذا من شأنه أن يحدث انشقاقاً في صفوف المسلمين وخصوصاً أن بينهم حديثي عهد بالإسلام فربما اقتنعوا بوجهة نظر القرشيين وأنتقدوا الرسول ﷺ بعدم قبوله لهذا العرض لما فيه من انصاف لكلا الطرفين وخطوة أولى نحو العودة إلى الوحدة والإتحاد التي ينشدها الجميع ولم يستطيعوا تحقيقها لاختلافهم في وجهات النظر حول الأساس الذي ينبغي أن تكون عليه هذه الوحدة وهذا الإتحاد .

وأما السابقون الأولون من المسلمين والذين فهموا هذا الدين ومراميه وأهدافه حق الفهم واعتبروا بذلك قادة الرأى والفكر فيه فإنهم يرفضون بشدَّة فكرة التقارب والتفاوض مع المشركين . وذلك لعلمهم أن الحق واحد ولايجوز التخلى عنه أو عن بعضه إلى غيره وأنه لابد أن يعلو ولا يُعلىٰ عليه لان فيه العدل والفلاح وسعادة البشرية في الدارين وأنه لابد من القضاء على الباطل وانقاذ البشرية من ويلاته وبلائه .

وبهذا يتحقق للمشركين تصديع الصف الإسلامي الواحد وتقسيمه فرقا وشيعاً يعارض بعضهم بعضاً فتختلف أهواؤهم وأغراضهم حتى يصل بهم الأمر إلى التناحر والتقاتل فيما بينهم فيكونون بذلك قد وضعوا الإسلام في أول طريق الزوال وهو انشغاله بنفسه عن الدعوة إلى مبادئه وحقائقه مع ما يساهمون به هم للقضاء عليه تماماً من أساليب شيطانية حتى لاتقوم له قائمة أبد الدهر وهيهات أن يتحقق لهم ذلك « والله من ورائهم محيط » ولما كان أسلوب التقارب هذا يشكل خطراً عظيماً على الإسلام والمسلمين جاء الرفض على مستوى من الشدة والقوة يتلاءم مع خطورة هذا العرض .

فأخبرهم بأن مايدعونه إليه ليس بكائن في الوقت الحاضر ولن يكون بأى حال من الأحوال فرفض وكرر الرفض مرة بالفعل ومرة أخرى بالاسم ليؤكد بذلك استحالة الموافقة على هذا العرض وذلك في سورة « الكافرون » .

« فالمراد بقوله ـ لاأعبد ماتعبدون ـ نفي الفعل لانها جملة فعلية وبقوله « ولا أنا عابد ماعبدتم » نفى قبوله لذلك بالكلية لأن النفي بالجملة الإسمية آكد فكأنه نفى الفعل وكونه قابلًا لذلك ومعناه نفى الوقوع ونفى الإمكان الشرعي[1] .

---

(١) ظاهرة التكرار في القرآن الكريم ـ عبدالمنعم السيد حسن ص ١٣٤ دار المطبوعات الدولية

وبهذا يكون قد رفض هذا العرض الذي لايتمشى مع ماجاء به من حق وعدل وفي نفس الوقت حافظ على وحدة الصف الإسلامي من التصدع والتشقق بسبب التضليل الإعلامي والأسلوب الشيطاني القرشي .

ومن هنا يتضح لنا أن التمسك بالحق والثبات عليه يتولد عنه وضوح الرؤية ووحدة الصف في القضايا الهامة والمصيرية بحيث يمكنه ذلك من اتخاذ القرارات الهامة وتنفيذها في الوقت المناسب .

وهذا خلاف التساهل والرضا بالأمر الواقع وقبول التنازل في كل مرة وكل حين عن الحقوق والواجبات فإن ذلك كله يتولد عنه الضعف والخور والتذبذب في الآراء مما ينتج عنه عدم وضوح الرؤية فيضيع الحق بعد أن يضيع أهله .

التوليد في الإعلام المعاصر :-

والآن وبعد أن ألقينا بعض الضوء على طريقة توليد الأفكار والحقائق من خلال القرآن الكريم بقى علينا أن نشير إلى أن هذا الأسلوب أى أسلوب التوليد شائع في أيامنا هذه :

فمن ذلك : ماقامت به الولايات المتحدة من دعوة للتقارب والتفاوض حول الحدِّ من الصواريخ النووية في أوربا عندما أدرك رئيسها « ريجان » أن اللهجة البالغة التشدد التي دأب على استخدامها حيال الإتحاد السوفيتي منذ توليه السلطة قد تولد عنها شعور بالخطر لدى الشعوب الأوربية من تعريضها لحرب نووية مدمرة وقد ظهر هذا العشور بصورة واضحة من خلال المظاهرات التي قامت في أوربا الغربية : احتجاجاً على انتشار الصواريخ النووية وأصبح الكثيرون يعتبرون مخططات الولايات المتحدة لتزويد أوربا بأسلحة نووية محرضاً على الحرب النووية .

ولذا أضطر رئيسها « رونالد ريجان » لالقاء خطاب وصفته الصحف العربية والعالمية بأنه هام ركز فيه على سياسة حكومته الخارجية وموقفها من المفاوضات المقبلة مع السوفييت وذكر في خطابه هذا بأنه بعث برسالة إلى الرئيس السوفيتي « بريجنيف » اقترح فيها إجراء تخفيض متبادل في القوات التقليدية والاستراتيجية والأسلحة النووية المتوسطة المدى وكان هدف « ريجان » من هذا الأسلوب أن يتولد عنه امتصاص غضبة الشعوب الأوروبية وإعلامهم أن الخطر الحقيقي يتمثل في الإتحاد السوفيتي الذي يرفض أى فكرة من شأنها

رفع الخطر عن أوربا وتخفيف السلاح النووي أو انتزاعه من هذه المنطقة من العالم وأنه لم يستخدم أسلوب التهديد في السابق مع الإتحاد السوفيتي إلا من أجل الضغط عليه حتى يقبل بذلك ويزول الخطر عن بلادهم .

ولقد فطن السوفيت إلى هذا الأسلوب والهدف منه لأنه من المستحيل عندهم أن يكون « ريجان » جاداً في عروضه هذه لأنها دعوة صريحة للإتحاد السوفيتي بالتخلى عن مركزه القوى والرضوخ لرغبات الولايات المتحدة بدون مقابل سوى عدول الولايات المتحدة عن خططها الخاصة بنصب صواريخ (بيرشنج ـ ٢) وصواريخ « كروز » التي تطلق من الأرض إذا قام السوفيت بإزالة صواريخهم من طراز (إس إس « ٥ » وإس إس « ٤ » وإس إس « ٢٠ »[١] ولذا حاول السوفييت اجهاض الغرض من هذا الأسلوب فرفضت مقترحات « ريجان » بشدة بأسلوب من شأنه أن يزيد من مخاوف الأوربيين بالخطر وذلك بقوله إننا نرفض هذه المقترحات لأننا نشك في صدق نوايا الولايات المتحدة وأن كل ماتقوم به في الحقيقة مجرد دعاية . الهدف منها تضليل الشعوب الأوربية والعالمية وصرف أنظارهم عن المخططات الرهيبة التي تحاول تنفيذها لتعريض العالم للخطر وجرِّه الى نشوب حرب نووية تدمر العالم بأسره .

ومن هذا الأسلوب أيضاً تلك الشعارات الشائعة في أيا منا هذه والتي من أهمها شعار التقارب بين المسيحية ، والإسلام ، والتعاون الثقافي بين البلدين ، والحل السلمي عن طريق المفاوضات . ولقد اتضح لنا مما سبق ذكره في أثناء عرضنا لما في سورة « الكافرين » من توليد أن الإسلام يرفض رفضاً باتاً أى تقارب من هذا النوع .

قد يقول قائل إن الرسول ﷺ قام بالتفاوض مع القرشيين وعقد معهم صلح الحديبية ؟ .

فأقول : إن الذي فعله الرسول ﷺ هو التفاوض مع القرشيين لعقد هدنة معهم مدتها عشر سنوات . ولكن هذا التفاوض وهذه الهدنة التي فعلها الرسول ﷺ كانت تقتضيها مصلحة الإسلام والمسلمين وليست على حسابها لما سيتولد عنها من أمور هامة والتي من أهمها :

---

(١) انظر مضمون خطاب رئيس الولايات المتحدة « رونالد ريجان » بجريدة « عكاظ » السعودية ص ٤ ـ عدد (٥٦٥٢) الجمعة ٢٠ نوفمبر ١٩٨١ م .

أولاً : تولد عن هذه الهدنة أن الناس شعروا بالأمن وامكانية اللقاء بعضهم ببعض دونما خوف أو وجل ليتحاوروا في الحديث ويتبادلوا الأفكار والآراء حول قضايا الساعة التي يعيشونها فمكنهم ذلك من التعرف على الدين الجديد ومايحمله لهم من خير وسعادة في الدارين مما جعلهم يدخلون فيه بطيب خاطر عن ايمان واقتناع وفي ذلك يقول الزهري : « فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر »[1].

ثانياً : تولد عن هذه الهدنة تفرغ الرسول ﷺ لفتح خيبر الذي كان الله قد وعده به فيما نزل عليه من سورة الفتح وهو في طريق عودته من الحديبية بين مكة والمدينة وذلك في قوله تعالى : ﴿ **وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه** . . ﴾ أي خيبر[2].

فلو أنه ذهب لغزو خيبر قبل توقيع هذه الهدنة فسيكون هناك احتمال قيام قريش بغزو المدينة ومداهمتها في غيابه . وبحصوله على هذه الهدنة يكون قد حقق هدفه وهو التفرغ لفتح خيبر . ولذلك فإنه لم يمكث في المدينة حين رجع من الحديبية سوى عشرين ليلة أو قريباً منها ثم خرج غازياً إلى خيبر »[3].

ثالثاً : وتولد عن هذا التفاوض اعتراف قريش الضمني واقرارها من حيث لاتشعر بقوة المسلمين وذلك حين فضلت الدخول في مفاوضات للحصول على مطالبها من الدخول في حرب مع المسلمين قد تكون عاقبتها وخيمة بالنسبة لها .

رابعاً : كما تولد عن هذه الهدنة إعلام العرب بضعف قريش وأنها باتت عاجزة عن فرض آرائها على المسلمين بقوة السلاح حيث لجأت إلى التفاوض معهم .

وفي هذا اضعاف لثقة العرب في قوة قريش وقدرتها على التصدي للإسلام والمسلمين فيتركون الإعتماد عليها وبذلك تتفرق قوة المشركين وتضعف شوكتهم فيتمكن المسلمون بعد ذلك من فتح مكة وغيرها من بلاد العرب بأقل التكاليف .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنا إذا دققنا النظر في عقد الهدنة الذي وقعه الرسول ﷺ مع المشركين نجده يحمل في طيّاته بذور النقض وذلك واضح من قوله « من أحب أن

---

(١) سيرة النبي ﷺ - جـ ٣ ص ٤٢٥ مكتبة الجمهورية

(٢) انظر « زاد الميعاد في هدى خير العباد » - جـ ٢ ص ١٣٣ رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد « الرياض » بتصرف تام .

(٣) نفس المرجع - جـ ٣ - ص ١٣٣ - بتصرف .

يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه [1] فكانت نتيجة هذه الفقرة من العقد أن دخلت خزاعة في عقد محمد وعهده ودخلت بنوبكر في عقد قريش وعهدهم . وكان بين هاتين القبيلتين عداوات وثارات كثيرة استمرت حتى ظهر الإسلام وتشاغل الناس به ولكن هذه العداوات وهذه الثارات ظلت قابلة للإثارة في أى وقت ولأتفه الأسباب[2] وهذا من شأنه أن يجعل هذه الهدنة معرضة دائماً للنقض والإنهيار مما يفتح المجال واسعاً أمام المسلمين للتدخل في الوقت المناسب للفتح العظيم وهو فتح مكة .

وبهذا يتضح لنا أن التفاوض مع قريش وعقد هدنة معهم كان في الحقيقة لصالح المسلمين وليس على حسابهم .

وماأريد أن أقوله هنا وقبل الشروع في الكلام عن طريق التدرج في تبليغ الحقائق هو أن طريقة « التوليد » هذه تعتبر من الطرق غير المباشرة التي إذا استخدمت بدقة وبعد دراسة واعية تعتبر من أخطر الطرق والأساليب في الوصول إلى الأهداف سواء كانت هذه الأهداف في صالح المرسل أو المستقبل أو في صالحهما معاً .

٣ ـ التـدرج :

إن دراسة طبائع الشعوب تدلنا على أن محاولة تغيير الرأى العام لأمة من الأمم مرة واحدة عن المبادىء الأساسية التي صارت بمرور الزمن جزءاً من حياة تلك الأمة أمر لايمكن تحقيقه وأن تكوين رأى عام جديد في نفوس أبناء تلك الأمة لايكون الابعد مضى زمن كاف لاجتثاث المبادىء القديمة وغرس بذور المبادىء الجديدة بدلاً منها . وعلى هذا فإن تغييراً كهذا لايتم إلا عن طريق التدرج في إيصال المادة الإعلامية بحسب الظروف والمناسبات ومراعاة استعداد الأمة للقدر الذي يمكنها استعابه وقبوله وبهذا يمكن اقتلاع جذور المفاسد من قرارة النفوس وغرس بذور الهداية شيئاً فشيئاً .

وعندما جاء الرسول ﷺ كانت العرب ـ وهى المعروفة بغطرستها وشدّة تمسكها بدين آبائها قد استحكمت فيهم العادات والأعراف التى منها ماهو صالح للبقاء ولا ضرر منه على تكوين الأمة ومنها ماهو ضار لابد من ابعادهم عنه[3].

(١) سيرة النبي ﷺ ـ جـ ٣ ص ٤١٧ ـ مكتبة الجمهورية (٢) نفس المرجع ـ جـ ٤ ـ ص ٣ .

(٣) تاريخ التشريع الإسلامي ـ محمد الخضري بك ـ ص ٢١ ـ مطبعة السعادة بمصر.

فاقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يتبع معهم أسلوب التدرج في إيصال الرسالة الإعلامية قال تعالى : **﴿ قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزَّله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ﴾**[1].

(فالتعبير بلفظ التنزيل دون الإنزال على أن المقصود النزول على سبيل التدرج والتنجيم فعلماء اللغة يفرقون بين الإنزال والتنزيل فالتنزيل لما نزل مفرقاً والإنزال أعم)[2].
والحقيقة أنه لم يكن من السهل انقياد هذه الأمة للدين الجديد لولا أن القرآن الحكيم

اتبع معهم هذا الأسلوب الذي كان من أقوى العوامل المؤثرة في نفوسهم والذي جدد حياتهم تجديداً قطع كل صلة بينهم وبين مفاسد الجاهلية الممقوتة في مدة وجيزة من الزمن . فالرسالة الإعلامية في القرآن الحكيم كانت تتنزل بالتدرج مراعية استعداد الأمة وقدرتها على الإستجابة والقبول . فالله سبحانه وتعالى كلف الناس أولاً بالإيمان حتى إذا اطمئنت قلوبهم به فرض عليهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج وأنزل عليهم الشرائع العملية على هذا النحو أيضاً وحرم عليهم المحظورات كذلك تدريجياً .

ولكن المتتبع لهذا الأسلوب في القرآن يدرك أن الأمور عندما تكون متعلقة بالعقيدة فإنه يقضى فيها قضاء حاسماً منذ اللحظة الأولى وأما إذا كانت المسألة متعلقة بعادة أو تقليد أو بوضع اجتماعي معقد فإن القرآن الكريم يتريث فيها حتى يهيأ الظروف الواقعية التي تيسر التنفيذ والطاعة (فعندما كانت المسألة مسألة التوحيد أو الشرك أمضى أمره منذ اللحظة الأولى في ضربة حازمة لاتردد فيها ولاتلفت ولامساومة ولا لقاء في منتصف الطريق لأن المسألة مسألة قاعدة أساسية للتصور لايصلح بدونها إيمان ولا يقام إسلام[3].

وعندما استقرت هذه القاعدة في النفوس أخذ يتدرج معهم في إيصال المادة الإعلامية شيئاً فشيئاً حتى استقرت في صورتها الأخيرة وماذلك إلا لتلقي هذه الرسالة قبولاً في النفس وإذعاناً من القلوب .

---

(١) البقرة : ٩٧.
(٢) مباحث في علوم القرآن ـ ص ١٠٥ ـ الشركة المتحدة للتوزيع ببيروت .
(٣) في ظلال القرآن ـ المجلد ١ ـ ص ٢٢٩ .

بعض الأمثلة على التدرج :

١ ـ التدرج في تشريع الصلاة :ـ

فمن المعروف أن الرسول ﷺ وأصحابه كانوا يصلُّون قبل أن تفرض عليهم الصلاة المعروفة الآن . فقد ورد ذكر الصلاة في السور التي نزلت في مبدإ الرسالة كقوله تعالى : ﴿ **أرأيت الذي ينهي عبداً إذا صلى** . . ﴾[١] وقوله ﴿ **فلا صدق ولا صلى** ﴾[٢] وكانت هذه الصلاة المذكورة في الآيتين السابقتين تؤدي ركعتين ركعتين بدليل حديث عائشة رضى الله تعالى عنها الذي تقول فيه (فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر . . .[٣] وأما الصلاة المفروضة والتي تؤدى على صورتها الحالية في الأوقات الخمسة فقد فرضت ليلة الإسراء وقد كان في أول الأمر لاحرج على المصلي إذا تكلم في صلاته أو قام ببعض الأعمال أثناء صلاته وبعد أن عرفوا الصلاة وجديتها ومكانتها عند الله نهوا عن الكلام والقيام بالأعمال أثناء الصلاة وأصبح من قام بشىء من ذلك تبطل صلاته . فعن زيد بن أرقم قال : كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فأمرنا بالسكوت . . زاد مسلم (ونهينا عن الكلام) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي[٤]

٢ ـ وأما الصوم الذي شرع في السنة الثانية من الهجرة قبيل فرض الجهاد فقد كان المفروض على المسلمين قبله هو صيام عاشوراء وعندما فرض صيام شهر رمضان أصبح صيامه بالخيار فمن شاء صامه ومن شاء تركه . فعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت (كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية وكان رسول الله ﷺ يصومه فلما هاجر إلى المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض شهر رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه[٥] ولما فرض صيام شهر رمضان لم يفرض من أول مرة على الشكل الذي هو عليه الآن بل كان هناك تساهل وتدرج في تشريعه مراعياً في ذلك ظروف الناس وأحوالهم وهذا ظاهر في قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب**

---

(١) العلق ٩ ، ١٠ (٢) القيامة/٣١

(٣) المنذري ـ مختصر صحيح مسلم ـ تحقيق الألباني ـ ص ٦٢ ـ ط ٤

(٤) جامع الأصول في أحاديث الرسول ـ جـ ٥ ـ ص ٤٨٥ .

(٥) صحيح مسلم ـ جـ ٣ ـ ص ١٤٦ ـ مطبعة محمد على صبيح وأولاده « ميدان الأزهر » .

على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾[1] .

في هذه الآية فرض للصوم ولكن المسلم مخير بين الصوم والإطعام على السواء ثم جاءت الآية الأخرى لتحبب في الصوم وترغب فيه مع مافيه من مشقة في غير سفر ولا مرض . فقال تعالى : **﴿ أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾**[2] وفي هذه الآية إيحاء بأن هذه الرخصة سترفع عن الصحيح المقيم وأن الصوم سيكون واجباً على الاطلاق .

ومن ثم نزل قوله تعالى : **﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدَّة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر . . ﴾**[3].

فكان نزول هذه الآيةرافعاً لرخصة الإفطار والإستعاضة عنه بالفدية للصحيح المقيم القادر على الصيام وخرج من هذا العموم المريض أو من كان على سفر وهذا الإستثناء واضح من قوله تعالى : **﴿ ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾** .

وكذلك بقيت الرخصة للشيخ العاجز عن الصيام وذلك « لما ورد عن أبي ليلى قال : دخلت على عطاء في رمضان وهو يأكل فقال : قال ابن عباس نزلت هذه الآية فنسخت الأولى إلا الكبير الفاني إن شاء أطعم عن كل يوم مسكيناً وأفطر[4] .

٣ ـ ومن الأمور التي تدرج القرآن الكريم في حكمها مسألة الرِّبا (فقد كان الرِّبا إبَّان بعثته ﷺ نظاماً اقتصادياً متغلغلاً في المجتمع العربي إن لم يكن في المجتمع العالمي وكان القضاء على هذا النظام يتطلب استعداداً نفسياً واجتماعياً واقتصادياً غير ماكان عليه القوم[5] ولقد استخدم القرآن الكريم أسلوب التدرج لاقتلاع هذا النظام من جذوره والقضاء عليه أبد الدهر فكان أول مانزل بشأنه قوله تعالى : **﴿ ومآآتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله ومآآتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم**

---

(١) البقرة/١٨٣ . (٢) البقرة/١٨٤ . (٣) البقرة/١٨٥ .

(٤) في ظلال القرآن ـ المجلد ١ ـ ص ١٧١ .

(٥) مع القرآن الكريم ـ شعبان محمد اسماعيل ـ جـ ٧ ص ٤٠١ ـ دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) .

المضعفون[1].

فذكر في هذه الآية الكريمة الرِّبا والزكاة على سبيل المقارنة وأظهرت الكراهية للأول والتنويه بالثانية . ولذا تعتبر هذه الآية هي نواة كراهية الرِّبا والتنفير منه تمهيداً لتحريمه .

ثم نزل قوله تعالى : **﴿ يٰأيها الذين آمنوا لاتأكلوا الربّا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾**[2].

وهذه الآية نص في تحريم أكل الرِّبا أضعافاً مضاعفة كخطوة أولى لتحريم الرِّبا وليس فيها دليل على تحريمه إذا ترك التضعيف كما أنه ليس فيها دليل على الحِلِّ ثم جاءت آيات البقرة لتحرِّمه تحريماً حاسماً وذلك في قوله تعالى : **﴿ يٰأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الرِّبا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولاتُظلمون ﴾**[3].

فهاتان الآيتان قاضيتان على الرِّبا قضاء تاماً بجميع أشكاله وصوره وبالقضاء على هذا النظام وتحريمه تحريماً تاماً يكون القرآن الكريم قد وضع حداً للجشع والطمع الذي كان سائداً في المجتمع آنذاك والذي كان سبباً في إضعاف هذا المجتمع وانهاكه اقتصادياً واجتماعياً بسبب مايؤدى إليه هذا النظام من اضعاف الرغبة في العمل والنشاط الإقتصادي والتجاري لأنه ربح يأتي بيسر وسهولة كالميسر وبسبب مايؤدى إليه من امتصاص الأغنياء لدماء الشعب وأكل أمواله بالباطل مما يؤدي إلى انهيار المجتمع وتداعيه .

٤ ـ وقد سار القرآن الكريم على هذا المنوال في تحرمه للخمر والميسر . فالخمر والميسر كانا شائعين في الجاهلية وأول الإسلام وقلما تنزَّه عنهما أحد منهم . إلا قلة قليلة من المتحنِّفين ومن عصمهم الله سبحانه وتعالى .

ولما كان الخمر والميسر فيهما من بعثرة الوعى وبعثرة الجهد فوق مافيهما من إيغار الصدور ونشر التباغض والأحقاد بين الناس إلى غير ذلك مما لايتلاءم مع المهمة التي قدر لهذه الأمة أن تقوم بها كان لابد من القضاء عليه وتخليص المجتمع الإسلامي من شرِّه ولصعوبة علاج هذه الظاهرة واقناع الناس بالإبتعاد عن شرب الخمر ولعب

(١) الروم/٣٩.
(٢) آل عمران ١٣٠
(٣) البقرة/٢٧٨ ، ٢٧٩

الميسر لجأ القرآن الكريم في القضاء عليه إلى أسلوب التدرج فكان يسير في تحريمها على هينة وفي يسر وبطأ . فكان أول مانزل فيها قوله تعالى : ﴿ **ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إنَّ في ذلك لآية لقوم يعقلون** ﴾[1] .

فإذا كان المراد بالسكر مايُسكر من الخمر وبالرزق مايؤكل من هاتين الشجرتين كالتمر والزبيب . . فإن وصف الرزق بأنه حسن دون وصف السكر يشعر بمدح الرزق والثناء عليه وحده دون السكر)[2] .

ثم نزل تحريم الخمر بالمدينة على مراحل كما هو معروف فأول مانزل فيه قوله تعالى : ﴿ **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما** . . ﴾[3] .

فهذه الآية لم تصرح بطلب الكف عنهما ولكنها اكتفت بأن ضررهما أكبر من نفعهما وهذا فيه إيحاء بأن تركهما هو الأولى وبهذا يكون قد هيأ النفس لقبول ماسيتنزل من الآيات بحقهما ثم نزل قوله تعالى : ﴿ **يٰأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ولاجنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا** . . ﴾[4] .

وهذه الآية نص في تحريمها ولكن في أوقات الصلاة فقط دون غيرها ولكن تولد عن ذلك وجوب تركها طيلة النهار لأن الصلاة مفروضة في خمس أوقات من النهار وكلها متقاربة لايكفي مابينها للسكر والإفاقة وفي هذا كسر لعادة الإدمان حتى يمكن التغلب عليها فإذا تمت هذه الخطوة بنجاح وجاء الوقت المناسب للحكم النهائي في الخمر نزل قوله تعالى : ﴿ **يٰأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام** رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾[5] .

فانتهى المسلمون وتركوا الخمر وأهرقوا مافي دورهم منها . وعلى هذا استقر حكم الله في الخمر والميسر فهما محرمان من ذلك الوقت إلى اليوم وغد وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

---

(١) النحل : ٦٧

(٢) مباحث في علوم القرآن ـ ص ١١٣ ـ الشركة المتحدة للتوزيع ـ بيروت .

(٣) البقرة/٢١٩

(٤) النساء/٤٣

(٥) المائدة/٩٠

وعلى هذا الأسلوب سار القرآن الكريم في معالجته لكثير من العادات والتقاليد السائدة في ذلك الوقت . كما أنه استطاع عن طريق هذا الأسلوب تكوين رأى عام ناضج مستنير حول قضايا وأمور هامة لها علاقة مباشرة بمصير هذه الأمة وقوتها ومنعتها في حاضرها ومستقبلها . والتي من أهمها على سبيل المثال لا الحصر الجهاد ، والزكاة ، والحج . . . الخ .

والحقيقة أن أسلوب التدرج يعتبر من أفضل الطرق الإعلامية في تغيير الرأى العام لأنه يوصل المادة الإعلامية للمستقبل بهدوء وبطأ بحيث لايشعر أن هناك خطراً يهدد معتقداته السابقة . لأن شعوره بذلك يثير عواطفه وانفعالاته لمعتقداته القديمة فيحاول التعصب لها وحمايتها من كل فكر طارىء .

لذا نرى عائشة رضى الله عنها تقول : (إنما نزل أول مانزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شىء لاتشربوا الخمر قالوا : لاندع الخمر أبداً ولو نزل لاتزنوا لقالوا لاندع الزنا أبدا)[1] .

فعلى الإعلام الإسلامي اليوم أن يستفيد من هدى القرآن في هذا الأسلوب في التوجيه والإرشاد فعندما يريد أن يكسر عادة سيئة موجودة في المجتمع ومتأصلة فيه أو أراد أن يبني عادة حميدة أو يكوِّن رأياً جديداً حول قضية من القضايا الهامة فعليه أن يحاول أولاً استبعاد التلقائية في سلوكه القديم بشكل متدرج وفي الوقت نفسه يحاول غرس بذور المبادىء والأهداف الجديدة التي يراد تحقيقها .

التدرج طريقة إعلامية معاصرة :-

الجدير بالذكر أن هذا الأسلوب أى أسلوب التدرج مستخدم حالياً لدى بعض الدول المتقدمة إعلامياً بل إن بعض هذه الدول أجادت استخدامه في كثير من قضاياها وأخص بالذكر هنا « الدولة اليهودية » التي استطاعت عن طريق هذا الأسلوب تكوين دولتها الحالية وتحقيق كثير من أهدافها في مدة قصيرة من الزمن[2] وهى الآن بعد أن كونت دولتها الدينية على أساس قوي متين من العدَّة والعتاد بدأت في مرحلة أخرى لتحقيق بعض أهدافها وهذه المرحلة بدأت

(١) لمحات في علوم القرآن ـ ص ٣٧

(٢) انظر مراحل استعمار فلسطين في كتاب ـ منير بكر التكريتي « الإعلام العربي بين الدعاية الإمبريالية والصهيونية ص ١٧ ـ مطبعة الإرشاد ـ بغداد ـ ط ١ .

عنـدمـا أعلنت اسرائيل هيمنتهـا على الشرق الأوسط وفـرض وصايتها عليه ومنعه من التقدم التكنـولـوجي في المجال العسكري بحجة أن أى تقدم من هذا النوع يهدد أمن اسرائيل وذلك بمسـاعـدة الـولايات المتحـدة الإمـريكية وتأييدها لأنها تعتقد أن هذا الأسلوب الذي تمارسه إسرائيل ضد دول منـطقـة الشرق الأوسط هو السبيل الـوحيد لاستمـرارية اعتماد هذه الدول بالكلية عليها .

وإذا استمـرت اسرائيل على هذا الأسلوب فإنـه من المتـوقع أن تكون الوصاية على الشرق الأوسط ماهي إلا تمهيد لمرحلة أخـرى وهى الهيمنـة على الشرق والغـرب وقـد يشمـل ذلـك الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي أيضاً في مدة لاتتجاوز نهاية هذا القرن . والذي يساعدها على تنفيذ هذه المخـططات هو تفكـك العـالم الإسـلامي والركود الذي يخيم عليه وسلبيته من الناحية العملية في كل المواقف الهامة والمصيرية في هذه المنطقة واعتمادهم على من يريدتدميرهم وفـرض الـوصـاية عليهم في كل ميادين حياتهم . وذلك اعقاداً منهم أن الحيلة ليست بأيديهم وأنهم مغلوبون على أمرهـم .

وهذه الروح الإنهزامية ناتجة عن ضعف إيمانهم بالله وعدم ثقتهم به والرجوع إلى كتابه الحكيم .

فإذا رجعـوا إليه واعتصمـوا به واعتمـدوا على هديه في أسلوب التدرج وغيره من الأساليب فستتبدد المخاوف من نفوسهم ويتضح أمامهم الطريق الصحيح فيكونون على بصيرة من أمرهم وفي صراعهم مع أعدائهم .

ومـاعليهم إلا أن يتحملوا بشجـاعـة مسئولياتهم تجاه قضاياهم المصيرية ويصبروا على كل الشدائد التي قد تواجههم في أثناء تنفيذهم لأوامر الله ونواهيه فيها .

لأن سنة الله في الحياة أن النصر والغلبة دائماً تكون للصابرين لذا نرى القرآن الكريم يحض هذه الأمـة في كثير من آياته على الصبر في مواجهة الأعداء . قال تعالى : ﴿ **ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين النـاس وليعلم الله الـذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لايحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم**

---

(١) آل عمران : ١٣٩ ـ ١٤١ .

تفلحون ﴾(1).

عنـدها فقط سيضعون حداً للمخططات الصهيونية وغيرها من المخططات التي تستهدف النيل من هذه الأمـة وكـرامتهـا وعـزّتهـا . وسيكون الصراع بينهم وبين اليهود صادقاً حاسماً لاينتهي إلا بتدمير اليهود والقائهم في الجحيم ليكونوا بذلك عبرة لكل من تسول له نفسه النيل من هذه الأمة أو من عزّتها وكرامتها . فيتذكر قبل الإقدام على تنفيذ أى خطة من هذا النوع أنه يغامر بمصير أمته ووجودها .

٤ ـ التذكير

من أخـطر الأمـور على الـرسـالـة الإعلامية وابطال مفعولها هو عدم استصحاب الحقائق والعمل بها لأن ذلك يؤدي إلى النسيان الذي من شأنه أن يؤدي إلى تفكير إعلامي غير سليم قال تعالى : ﴿ **ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما** ﴾(2).

فالله سبحانه وتعالى يبين في هذه الآية أنه عهد إلى آدم عهداً ليقوم به فالتزم بذلك وأذعن له وعزم على القيام به ولكنه نسي هذا العهد ونقضه ولم يقم به فكان ذلك سبباً في خروجه من نعيم الجنـة ليواجـه ماكتب عليه من متاعب في هذه الحياة الدنيا والتي اقتضتها سنة الله على كل من نقض عهده وقام بنسيانه .

ومن هنـا نفهم ضرر النسيان وضرورة استصحـاب الحقـائق في كل وقت لأن ذلـك يجعل الإنسـان حي القلب واعي الضمـير مرهف الإحسـاس يتـأثـر بكل مايمر به أو يصل إليه من أحـداث . فإذا به يتـذكر ماله وعليه فيصده ذلك عن الخطأ ويصونه عن الإنحراق ويثبته على الطريق المستقيم .

وأقصـد بالتـذكـير :ـ العمـل بشتى الأساليب الإعلامية لاستحضار الحقائق في النفوس والحض على العمل بها في الوقت المناسب لأن الحقائق لاترتبط بموسم أوزمن معين بل إن حياتها ترتبط باستدامة التذكير بها على نحو مانقرأ في قوله تعالى : ﴿ **وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين** ﴾(3).

لذا جاء في القرآن الكريم مايدل على أن الغرض من إنزاله هو التذكير بالحقائق حتى يعقلها

(1) آل عمران : ٢٠٠

(2) طه/١١٥

(3) الذاريات/٥٥

الناس ويؤمنوا بها ويعملوا بها في كل حين فيربطوا الماضي بالحاضر . . والحاضر بالمستقبل . لأن في ذلك فلاحهم في الدنيا والآخرة .

قال تعالى : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدَّبَّروا آياته وليتذكر أولوا الألباب** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **ولقد صرَّفنا في هذا القرآن ليذَّكروا ومايزيدهم إلا نفورا** ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ **وإنه لتذكرة للمتقين** ﴾[3] .

(أي يتذكرون به مصالح دينهم ودنياهم فيعرفونها ويعملون عليها)[4] . ولهذا نستطيع أن نقرر بأن من طرق التأثير في القرآن الكريم تذكير الناس بالحقائق لأن ذلك من شأنه أن يدعوهم للايمان بالله وطاعته في الأوامر والنواهي لأنه المتفضل عليهم بتلك النعم التي ذكروا بها كما أن في تذكيرهم تحذيراً لهم من فقدهم لتلك النعم اذا امتنعوا عن الإستجابة وكفروا بالله ومع زوال النعم نزول العذاب .

أمثلة على التذكير :

ولتوضيح ماسبق نرجع إلى كتاب ربنا فنجده في كثير من مواضعه قد دأب على تذكير يهود المدينة بأسلافهم من بني إسرائيل ونعم الله المتعددة التي أنعم بها عليهم ومواقفهم من تلك النعم وعاقبتهم التي انتهوا إليها ومن ذلك ماذكر في سورة البقرة من قوله تعالى : ﴿ **وإذ نجيناكم من آل فرعون** . . . إلى قوله تعالى : ﴿ **ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** ﴾[5] .

فعدَّد الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات كثيراً من النعم التي أنعم بها على بني اسرائيل بالتفصيل وبين مواقفهم منها وجحودهم لها مما كان سبباً في حرمانهم من الخلافة وكتب الذلة عليهم أبد الدهر .

كما بين في آيات أخرى مالحق بهم في الدنيا من جزاء عندما نسوا حظاً مما ذكروا به وذلك في قوله تعالى : ﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وماالله بغافل عما تعملون** ﴾[6] .

وقد وقع هذا الجزاء الذي وعد الله به اليهود موفراً فصاروا في خزي عظيم بما الصق بهم من الذل والمهانة بالقتل والأسر وضرب الجزية والجلاء وإنما ردهم الله يوم القيامة إلى أشد العذاب

---

(١) ص/٢٩
(٢) الإسراء/٤١
(٣) الحاقة/٤٨
(٤) تفسير كلام المنان ـ جـ ٧ ـ ص ٤٦٧
(٥) البقرة/٤٩ ـ ٦٠
(٦) البقرة/٨٥

لأنهم جاءوا بذنب عظيم ومعصية فظيعة[1].

وهـذا الجـزاء الذي نال اليهود هو نفس ما عوقب به النصارى من بعدهم عندما نسوا حظاً ونصيبـاً مما ذكـروا به (فوقعوا في الأهواء والتفرق في الدين الموجب بمقتضى سنة الله في البشر للعداوة والبغضاء في الدنيا[2]. والعذاب الأليم في الآخرة قال تعالى : ﴿ **ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون** ﴾[3] .

وكـل ماورد في كتـاب الله عن بني اسرائيل مما أنعم الله عليهم به ومواقفهم من تلك النعم وعقابهم الذي صاروا إليه كل ذلك من أجل تذكير يهود المدينة بما كان عليه أسلافهم وما آل إليه أمـرهم لعلهم يستفيدون من تلك الحقائق فيتجنبون الوقوع فيما وقعوا فيه من أخطاء أدت بهم إلى خزي الـدنيا وعذاب الآخرة فيتخلَّون عن الدّس والكيد للاسلام والمسلمين ويستجيبون لداعي الله ويدخلون في الإسلام ويتقون الله حق تقاته ولا يموتن إلا وهم مسلمون .

(كما أن ذكر هذه الحقائق كان ضرورياً لتحذير المسلمين من مزالق الطريق التي عثرت فيها أقـدام الأمم المستخلفـة قبلهم فحـرمت مقـام الخـلافة وسلبت شرف القيام على أمانة الله في الأرض ومنهجه لقيادة البشر)[4] .

وهـذا شأن القـرآن يورد قصص بني اسرائيل خوفـاً من الوقوع في مزالقهم ويذكر قصة آدم للتذكير بأن الشيطان عدوهم المبين الذي يحاول جاهداً حرمانهم من رجوعهم إلى وطنهم الأصلي وهـو الجنَّة بكل مالديه من أساليب ويذكر بكثير من قصص الأوليين للتذكير بمواقفهم فيرغب فيها ويحض عليها ان كانت حميدة وأما إذا كانت ذميمة فإنه ينفر منها ويحذر من الإقتراب منها .

حاجة المسلمين اليوم إلى التذكير والتذكر :-

وماأحوج المسلمين اليوم للتذكر والتذكير للحقائق التي جاء بها القرآن الكريم وعمل الصدر الأول من هذه الأمة بها فوصلت إلى ماوصلت إليه من تقدم وازدهار في جميع ميادين الحياة .

« حتى أصبحت إلى فترة طويلة من الـزمن هى الأمـة الأولى في العـالم كله يعمـل لها ألف حساب ويطلب ودها ويسعى أمثال امبراطور ألمانيا للتقرب من خليفتها فيرسل له الهدايا وحملت

---

(١) فتح القدير - جـ ١ - ص ١٠٩ بتصرف
(٢) تفسير المنار - جـ ٦ - ص ٢٨٧
(٣) المائدة/١٤
(٤) في ظلال القرآن - المجلد ١ - ص ٦٥

خلال هذه الفترة حضارة الإسلام للدنيا كلها »[١] .

ثم نسيت هذه الحقائق فوصل المسلمون إلى ماوصلوا إليه من انهزام داخلي أصاب شعور الأمة أو بعضها فعدلت ماعند الناس بما عند الله إن لم يداخلها الوسواس بأنه أفضل[٢] . وتفككت الأمة الواحدة وأصبحت فرقاً وشيعاً تمزقها الخلافات والأهواء والتصارع حول السلطان والحكم فأحلُّوا قومهم دار البوار فسهل على الأعداء اختراق الصف الإسلامي وتمزيقه شرَّ ممزق وأعقب ذلك تخلف عن مواكبة العصر فيما وصل إليه من أبحاث علمية تجريبية مازال قائماً إلى يومنا هذا .

فيكونون بذلك قد نالوا جزاء الدنيا الذي سنّه الله لكل من قام بنسيان نصيب وحظ مما ذكر به كما نال ذلك أهل الكتاب من قبلهم .

ومن أهم هذه الحقائق التي ذكرت في الماضي ثم نسيت في الحاضر من قبل المسلمين أن الله سبحانه وتعالى أمرهم بالتمسك بكتابه الذي أوصله إليهم وجعله سبباً بينهم وبينه وأمرهم بالاجتماع عليه والعمل به وعدم التفرق عنه لأن به قوتهم ومنعتهم وانقاذهم من الضلال والإضلال . وذلك في قوله تعالى : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون** ﴾[٣].

ولكن المسلمين اليوم نسوا هذه الحقيقة ولم يعملوا بها فوقعوا فيما وقع فيه أهل الكتاب من قبلهم فبعضهم قال نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض لأن هذا في نظرهم هو مايتمشى مع الحضارة والتقدم ولذا حاولوا تطبيقه في الأمور الشخصية دون غيرها من الأمور التي تتعلق بالسياسة والاقتصاد وهذا الفريق ينطبق عليه قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذاباً أليماً** ﴾[٤].

والبعض الآخر نبذه وراء ظهره بالكلية واشترى به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون وذلك اعتقاداً منهم أن سبب ماهم فيه من تأخر وتخلف وضعف هو تمسكهم بكتاب الله

---

(١) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ـ علي جريشة ومحمد شرف الزيبق ـ ص ٥ ـ دار الإعتصام .

(٢) نفس المرجع ـ ص ٦

(٣) آل عمران/١٠٣

(٤) النساء/ ١٥٠ ، ١٥١

واعتصامهم به والحقيقة أن كل ما وصولوا إليه كان بسبب ابتعادهم عن كتاب ربهم وعدم التمسك به مما نتج عنه نسيان جميع ماتضمنه من حقائق وأفكار أمروا بالعمل بها والقيام عليها فلم يعملوا بها ولم يقوموا عليها فعوقبوا بمثل ماعوقب به أهل الكتاب من قبلهم .

وهذا الفريق هو الذي أشار إليه القرآن الكريم بقوله ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون** ﴾[1] ونتج عن نسيان هذه الحقيقة الكبرى نسيان كل ماورد في القرآن الكريم من الحقائق الهامة والتي لايمكن لأي أمة أن تحافظ على قوتها ووحدتها وسعادتها بدونها .

ومن هذه الحقائق على سبيل المثال :-

١ - أن الله سبحانه وتعالى حذر هذه الأمة في كتابه الحكيم وفي كثير من مواضعه من اتباع غيرهم وبالخصوص أهل الكتاب منهم وذلك في قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون** ﴾[2].

لأن اتباعهم لغيرهم يقودهم إلى « الاقتباس من مناهجهم وأوضاعهم مما ينتج عنه حتماً نشر روح الهزيمة في داخل الصفوف الإسلامية والتخلي عن مركز القيادة الذي من أجله أُنشئت الأمة الإسلامية كما أن ذلك يؤدي إلى الشك في كفاية منهج الله لقيادة الحياة وتنظيمها والسير بها صعداً في طريق النماء والارتقاء[3] فنسوا هذه الحقيقة واعتمدوا في جميع أمورهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على أعدائهم بحجة أنهم أصحاب الحضارة والتقدم والقوة ولايمكن لأى دولة في عالم اليوم البقاء والعيش في أمن ورخاء مالم تكن تعتمد في حياتها كلها أو بعضها على الشرق أو الغرب ويستدلون على ذلك بما وقع لأوغندا وغيرها من الدول التي رفعت شعار الاسلام والتمسك بكتاب الله فكان مصيرها الزوال والدمار . وتفرقوا على هذا الأساس عن كتاب الله وذهبوا زرافات ووحداناً كل منهم يريد أى شيء يتعلق به حتى ولو كان ذلك المتعلق به هو الهلاك بعينه فبعضهم والى الشرق الكافر والبعض الآخر اتجه إلى الغرب المسيحي يطلب منه العون والحماية . فخالفوا أمر ربهم فوصلوا إلى ماوصلوا

(١) آل عمران/١٨٧

(٢) آل عمران ١١٨

(٣) في ظلال القرآن - المجلد ٤ - ص ٤٣٨ - بتصرف

إليه من الضعف والانقسام واختلاف الأهواء والذل والعار .

٢ - ونتيج عن نسيان هذه الحقيقة نسيان حقيقة أخرى أمر بها رب العالمين في محكم كتابه وهي أن تكون هذه الأمة شديدة على الكفار رحيمة فيما بينها قال تعالى : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** . . ﴾[1] فبين في هذه الآية أن المؤمنين حقاً هم الذين يتصفون بصفة الشدة والغلظة على الكفار وفي نفس الوقت هم في أشد مايكون من التحاب والتراحم والتعاطف فيما بينهم وبذلك استطاعوا أن يذلّوا أعداءهم ويكسروهم وينتصروا عليهم في كل موطن .

فنسي المسلمون اليوم هذه الحقيقة ولم يستصحبوها واعتقدوا ان الخطر الحقيقي الـذي يهدد كيانهم ووحـدتهم هو من الذين يعتنقون الإسلام ويدعونهم للتمسك بالقرآن الكريم والرجوع إليه . وهذا الأمر غير ممكن لأن جميع ماورد في القرآن الكريم من الأوامر والنواهي لاتتمشى في اعتقادهم مع حضارة الأمم التي يتعاملون معها ويعتمدون عليها في جميع شئونهم فمن الضروري عندهم إذا محاربة هذا النوع من البشر ومحـاصرته في كل مكان حتى تخمد انفاسه ويسكت صوته وفي نفس الوقت تعاطفوا مع الكفار وتراحموا معهم وطلبوا ودهم بعكس ماأمروا به فذلوا وأذلوا شعوبهم .

٣ - ومن الحقائق أيضاً التي ذكرت ثم نسيت قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين** ﴾[2] فالله سبحانه وتعالى أمر هذه الأمة في هذه الآية الكريمة بعدم قبول خبر الفاسق مجرداً بدون تحفظ وتثبت حتى لايقعـوا في الفتن المؤدية إلى الهـلاك والدمار والتي يحيكها أعداؤهم لهم فنسوا هذه الحقيقة وقبلوا خبر الكاذب والكافر وإعتمدوا في إعلامهم وتوجيه شعوبهم على ماتمليه عليهم وكالات الأنباء في الشرق والغرب فضلوا بسبب ذلك وأضلوا وابتعدوا عن الدين الإسلامي وتفرقوا عنه ليلهثوا وراء شعارات زئافة لاحقيقة لها ولاقيمة .

والآن وبعد إلقاء بعض الضوء على ما لحق المسلمين من ضرر بسبب نسيانهم نصيباً وحظاً مما ذكروا به ألم يحن الوقت بعد ليتذكروا عهد الله وميثاقه عليهم المتمثل

---

(١) الفتح/ ٢٩

(٢) الحجرات/ ٦

في القـرآن الكريم فينقادوا لأوامره ونواهيه حتى يعودوا إلى وحدتهم وقوتهم وينقذوا أنفسهم من الذل والهوان الذي لحق بهم من جراء نسيانهم ماذكِّروا به قال تعالى : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ولايكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثيرٌ منهم فاسقون** ﴾[1] .

ولأهمية التـذكـير عنى القـرآن الكريم في كثير من آياته بحضٍّ هذه الأمة عليه بالترغيب فيه قال تعالى : ﴿ **أفلا يتذكرون** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره** ﴾[3] .

والجدير بالذكر أن الإنسان لاينتفع بالتذكر إلا إذا كان صاحب وعى وفهم وتدبر لأن التـذكر وحده لايكفي مالم يستجب لهذا التذكر فهم واعٍ وتصرف حكيم قال تعـالى : ﴿ **والذين إذا ذكِّروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً**)[4] أي أن المؤمنين حقاً هم الذين يتلقون ماذكِّروا به بفهم واعٍ لأنهم يدركون مافي عقيدتهم من حق ومـا في آيات الله من صدق فيؤمنـون إيمانـاً واعياً بصـيراً دونها تعصب أعمى ولايمشون منكبين على الوجوه كما هو الحال عند غيرهم فيتحمسوا لتوجيهات عقيدتهم تحمس العارف المدرك البصير ﴾[5] ومن هنا نعلم أن أهل التذكر لهم صفات خاصة يستطيع من تحلى بها أن ينتفع بالذكرى ومن أهم هذه الصفات :

أن يكون من أهل الإيمان قال تعالى : ﴿ **وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين** ﴾[6].

وأن يكون صاحب عقل خالص من الشوائب لذا كرَّر القرآن الكريم في كثير من مواضعه قوله تعالى : ﴿ **إنما يتذكَّر أولوا الألباب** ﴾[7].

وأن يكون من أهل الإستجابة بعقولهم وأسماعهم ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** ﴾[8] .

وأن يكـون من أهـل الإنـابـة والـرجوع إلى الله واخلاص العمل قال تعالى : ﴿ **ومايتذكَّر إلا من ينيب** ﴾[9] .

وبعد أن عرفنا أهمية التذكير والتذكر بقى علينا معرفة أن تذكُّر الحقائق لايكون مفيداً

---

(١) الحديد/١٦
(٢) السجدة/٤
(٣) عبس/١١ ، ١٢
(٤) الفرقان/٧٣
(٥) في ظلال القرآن ـ المجلد ٥ ـ ص ٢٥٨٠
(٦) الذاريات/٥٥
(٧) الزمر/٩
(٨) ق/٣٧
(٩) غافر/١٣

ونافعاً إلا إذا جاء في وقته ومكانه وأما إذا فات الوقت والمكان المناسب له فإن التذكر في هذه الحالة يكون حسرة وندامة وهذا مما نتعلمه من القرآن الكريم قال تعالى : **﴿ كلا إذا دكت الأرض دكاً دكاً وجاء ربك والملك صفاً صفا وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنّي له الذكرى يقول ياليتني قدمت لحياتي فيومئذ لايعذب عذابه أحد ولايوقف وثاقه أحد ﴾**[1] .

وخلاصة القول إن التذكير والتذكر لابد منها لكل أمة واعية لكى لاتنسى ماعليها من واجبات فتؤديها ومالها من حقوق فتبحث عنها ومافيها من عيوب فتصلحها وحتى لاتقع في أخطاء الماضي والإنحراف في الحاضر وعدم وضوح الرؤية في المستقبل مما يؤدي بها إلى السقوط والإنهيار والتخلف والإعتماد على الآخرين في جميع أمورها لعجزها عن القيام بها فتعيش في شقاء الدهر .

التذكير في الإعلام المعاصر :-

ولأهمية عنصر التذكير في الإعلام فإننا نلاحظ كثيراً من الدول التي تعتبر في عصرنا هذا متقدمة في ميدان الإعلام انها قد أدخلت هذا العنصر في إعلامها وتحاول استخدامه بدقة وتوقيت جيد لتذكير شعوبها والعالم بما تعتبره حقائق هامة يجب استصحابها محاولة بذلك ربط الحاضر بالماضي والمستقبل ومن ذلك على سبيل المثال :-

مثال ١ : ماقاله (كاسبر واينبرجر) وزير الدفاع الأمريكي في معرض كلامه عن خطط حكومته لمعاقبة الإتحاد السوفيتي في حالة تدخله في شئون بولندا الداخلية (إننا لانريد أن تكون هناك مجر أخرى أمامنا مشيراً بذلك إلى غزو السوفيت للمجر عام ١٩٥٦ م)[2] وفي هذا تذكير للعالم بأعمال السوفيت الإجرامية وتدخله في شئون الدول وكبت حريات الشعوب وذلك لتشويه صورته والتنفير منه كما أن في هذا التذكير اشعاراً للسوفيت بأن صبر الولايات المتحدة قد نفذ إزاء تصرفاتهم الإستفزازية في الماضي والتي مازالت مستمرة إلى وقتنا هذا متجاهلة شعور الولايات المتحدة وكل الأعراف والقوانين الدولية التي تمنع هذا النوع من التدخل في شئون الدول ومنعها من تقرير المصير .

---

(١) الفجر/٢١ ـ ٢٦

(٢) جريدة عكاظ السعودية ـ العدد (٥٦٨٢) الاحد ٢٠ ديسمبر عام ١٩٨١ م ص ٥.بتصرف

مثال ٢ : ومن التذكير ماقام به « مناحم بيجن » عندما قامت الولايات المتحدة بفرض بعض العقوبات على الكيان الصهيوني في اثر ضمها لمرتفعات الجولان السورية والتي كان من بينها توقفها عن اتمام التوقيع على اتفاقية التعاون الإستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل فقام مناحم بيجن بتسليم بيان إلى « صمويل لويس » سفير الولايات المتحدة لدى اسرائيل في ٢٠ ديسمبر من ١٩٨١ م يبلغ فيه حكومة الولايات المتحدة بأنه يعتبر اتفاقية التعاون الإستراتيجي بين بلديها لاغية وقام بتذكير الولايات المتحدة في هذا البيان بتلك الإدانات والعقوبات الأمريكية المتكررة التي اعقبت العدوان الاسرائيلي على المفاعل النووي العراقي في ٧ يونيو والتي اعتبرها الاسرائيليون بمثابة عملية انقاذ لكيانهم ووجودهم فقامت الولايات المتحدة بمعاقبة إسرائيل بانتهاكها اتفاقاً موقعاً بينهما ينص على تسليم أسلحة لاسرائيل في مواعيد محددة . ثم ذكرها بتنديدها ومعاقبتها لحكومته عندما قام جيشها بقصف المدنيين في بيروت في ١٧ يوليو واشار في بيانه هذا إلى حرب فيتنام مذكراً الولايات المتحدة بما قامت به من أعمال غير إنسانية بحق هذا الشعب وانها ليست في الموقع المناسب لإبداء المواعظ بعد تلك المواقف . والآن وبعد أن قامت اسرائيل بضم المرتفعات السورية في « ١٤ ديسمبر » والتي كانت تبعث منها القوات السورية رسل الموت إلى الشعب اليهودي سابقاً قمتم بإلغاء اتفاق التعاون الإستراتيجية بعقوباتكم)[1] . وكان غرض اليهودي « مناحم بيجن » من هذا التذكير افهام العالم والولايات المتحدة ان اسرائيل لم ولن تسمح لأى قوة في العالم أن تثنيها عن مخططات وقرارات كنيستها العدوانية .

مثال ٣ : ومادمنا بصدد التذكير فاننا نُذَكر نحن المسلمين أيضاً « مناحم بيجن وكنيسته » بحقيقة قد يكون غافلاً او متغافلاً عنها وهى « أن بيت المقدس سقطت في أيدى الصليبيين سنة ١٠٩٩ م[2] واستقروا فيها أكثر من قرن ونصف من الزمن وكان ذلك بسبب تفكك القوى الإسلامية وافتقارها في ذلك الوقت إلى زعيم قوي يوحد صفوف المسلمين ليجعل منهم جبهة واحدة قوية تواجه الصليبيين . وبمرور الأيام والشهور ظن الغاصبون أنهم تمكنوا من هذه البلاد وقادرون على الإستمرار فيها وامتلاكها بالقوة رغم المعارضة المستمرة « حتى ظهر من بين أصحاب الحق القائد الاسلامي صلاح الدين الأيوبي الذي تمكن من توحيد القوى الإسلامية ومحاربتهم . . حتى أنزل بهم هزيمة منكررة في موقعة

(١) انظر ماكتبته « جريدة المدينة السعودية » عن هذا البيان في عددها ٥٣٩٤ ـ ٢١ ديسمبر عام ١٩٨١ م ـ ص ١ .
(٢) أوربا العصور الوسطى ـ سعيد عبدالفتاح عاشور ـ جـ ١ ـ ص ٤٤٩ ـ مكتبة الأنجلو المصرية .

حطين سنة ١١٨٧ م واستولى على مدينة بيت المقدس وجميع ملحقاتها من البلاد والموانى الساحلية ومزق الجيش الصليبي الذي كان يضم جميع قوى الصليبيين وزعماءهم في الشام وأصبح صليب الصلبوت أو الصليب الأعظم غنيمة في أيدي المسلمين »[١].

وعلى هذا فإن مصير اليهود وحالهم لن يكون أحسن حظاً من المعتدين الصليبيين عندما يمن الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة بمن يوحد صفوفها وكلمتها تحت راية الاسلام فنرجوا من الله العلي القدير أن يحقق قريباً وعده الذي كتبه على نفسه في تدمير اليهود ومعاقبتهم كلما دخلوا هذه الأرض المقدسة وأعادوا إليها الفساد . وهذا الوعد ذكره القرآن الكريم في الآيات من قوله تعالى : ﴿ **وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين** . . . إلى قوله ﴿ **وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا** ﴾[٢].

٥ ـ التكرار :ـ

القرآن الكريم كتاب أنزله الله على رسولنا محمد ﷺ ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى الطريق المستقيم . قال تعالى : ﴿ **الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد** ﴾[٣] .

فلا عجب إذا من وجود التكرار والتأكيد على بعض المعاني والقضايا الهامة الواردة في كتاب الله والإعلان عنها مرة بعد الأخرى بأساليب فنية متعددة وفي سياقات مختلفة لأن ذلك يعتبر ضرورة تربوية وتعليمية لاقناع الناس بها وترويضهم عليها حتى تصبح عادة من عادتهم . قال تعالى : ﴿ **ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون** ﴾[٤] وقال تعالى : ﴿ **وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا** ﴾[٥].

وأعني بالتكرار : ذلك الالحاح المستمر في عرض الرسالة الاعلامية بمعنى ان تعاد المادة الاعلامية مع اختيار الوقت الملائم الذي يزيدها قوة على قوة وذلك لايكون إلا باستغلال المناسبات وربط الرسالة الإعلامية بالأحداث الجارية وتجديدها بأساليب عديدة في غاية الجدة والإبداع تجنباً للإملال وتعميقاً للرسالة في نفوس الناس وأذهانهم .

ومن غير المشكوك فيه أن هناك حقائق اعلامية تمثل عنصراً أساسياً في حياة الناس

---

(١) نفس المرجع ـ ص ٤٥٣ بتصرف
(٢) الإسراء /٤ ـ ٨.
(٣) إبراهيم /١
(٤) القصص/٥١
(٥) طه/١١٣

ومصيرهم لذا فهي جديرة بالالحاح الدائم والاعلان عنها مراراً حتى تصبح جزءاً من عقائد الناس وسلوكهم .

والقرآن الكريم كما عرفنا له أهداف وأغراض إذ هو كتاب الوجود من رب الوجود فهو إذا ليحقق هذه الأغراض ويثبتها في نفوس الناس وأفئدتهم حتى تصبح عقيدة من عقائدهم يتحتم عليه تكرار هذه الأهداف والأغراض عدة مرات مرة بالشدة وأخرى باللين وتارة بالتصريح وأخرى بالتلميح والذي لابد من معرفته هو أن كل تكرار في القرآن لايمكن الاستغناء عنه بأى حال من الأحوال « لأنه لايأتي إلا ليضيف جديداً أو يؤكد أموراً مهمة أو يرسخ حقائق قد تعظم العناية بها ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها »[1] .

بعض الأمور التي كرَّرها القرآن لأهميتها :ـ

١ ـ ومن أهم الأمور التي كررها القرآن الكريم وحض عليها في كثير من آياته بأساليب متعددة حتى تتأكد أهميتها وضرورة الالتزام بها ـ أن جميع ماجاء به الرسول ﷺ هو الحق لاشتمالـه على الاخبارات الصادقـة والأوامـر الحسنة والنهي عن كل قبيح والمعجزات الباهرة . قال تعالى : ﴿ **إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً** ﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ **نزَّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل** ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ **يأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم . .** ﴾[4]. وقال تعالى : ﴿ **وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل** ﴾[5].

٢ ـ كما نال الايمان والعمل الصالح اهتماماً كبيراً من القرآن الكريم فكرر الدعوة إليهما ، وكان سر هذا الاهتمام العظيم هو أن الإيمان والعمل الصالح يشتملان على كل أمور الدين لأن الإيمان يشمل « الإيمان بالله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والايمان بأن القدر خيره وشره من الله تعالى : **• وأما العمل الصالح فإنه جامع لكل أعمال هذا الدين القولي منها والعملي وهى « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم**

---

(١) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ـ محمد خلف الله ومحمد زغلول ـ ص ٤٧ ـ دار المعارف « بمصر » .
(٢) البقرة/١١٩
(٣) آل عمران/٣
(٤) النساء/١٧٠
(٥) الأنعام/٦٦

الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا وأن تجاهد في الله حق جهاده حتى تصبح كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى .

لذا نرى القرآن الكريم قد كرر الدعوة إليهما في كثير من المواطن بل إن القرآن الكريم كلّه جاء لاعلام النّاس بهما وحضّهم على القيام بهما ومن ذلك . قوله تعالى : ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولايلقاها إلا الصابرون ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ وإني لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾[4] .

٣ ـ كما كرر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز تحذير عباده المؤمنين عن ولاية الكفار واتخاذهم بطانة أو خصيصة وأصدقاء يسرون إليهم ويفضون لهم بأسرار المؤمنين وذلك لعلمه بحرص الكافرين الشديد على ايقاع الضرر بالمسلمين .

قال تعالى : ﴿ يٰأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿ يٰأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وماأعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾[6] وقال تعالى : ﴿ يٰأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً ﴾[7] .

---

(١) العصر/١ ـ ٣
(٢) القصص/٨٠
(٣) طه/٨٢
(٤) البقرة/٢٨٥
(٥) آل عمران/١١٨
(٦) الممتحنة/١
(٧) النساء/١٤٤

فكان لهذا التحذير المتكرر أثر عظيم في وضع الحواجز النفسية بين الإسلام والكفر وعلى هذا فقس فإن جميع الأمور والقضايا الهامة قد نالت اهتماماً كبيراً من القرآن الكريم فكررت بأساليب متعددة فريدة من نوعها في الجدة والرقي وماذلك إلا أنها من الله العزيز الحكيم .

٤ ـ ولكننا أثناء دراستنا لأسلوب التكرار في القرآن الكريم يلفت انتباهنا ذلك النوع من التكرار الذي تكون فيه الجملة الواحدة مكررة عدة مرات بلفظها ومعناها وفي سورة واحدة من القرآن .

وبمجرد أن نمعن النظر في هذا النوع من التكرار يتبين لنا بوضوح أن لهذا الأسلوب في هذا الموضع بالذات من القوة والتأثير مالا يمكن الاستغناء عنه أو احلال غيره محله لأداء الغرض المنشود منه وهو التأكيد على المادة الإعلامية المرسلة مثال ذلك في سورة الرحمن : قوله تعالى : ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذِّبان** ﴾ فهذه السورة تضمنت أنواع النِّعم التي خلقها الله سبحانه وتعالى للناس فكان كلما ذكَّرهم بنعمة أو خوفهم من نقمة « أكد التذكير والتخويف بذكر الويل والهلاك المهيأ للمكذِّبين الذين استخفوا بهذه النعمة أو تهاونوا بتلك النقمة فيكون ذلك رادعاً للمخاطبين وزاجراً لهم عن التمادي في التكذيب وركوب الرأس في العناد »[1] وكذلك في سورة الشعراء قد كرر جملتين أربع مرات دون أي تغيير في ألفاظهما أو معانيهما قال تعالى : ﴿ **إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعوني** ﴾[2] . وهي وإن كانت مقولة على ألسنة عدة رسل إلا أنه يوحي تكرارها بصدق هؤلاء الرسل وتثبيت التصديق بهم .

٥ ـ وتتمثل ظاهرة التكرار في القرآن الكريم بوضوح وجلاء في تكرار ماشتمل عليه القرآن الكريم من القصص الذي تكرر في غير موضع فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن الكريم وتعرض في سور مختلفة وعلى طرق شتى في التقديم والتأخير والايجاز والإطناب وماأشبه ذلك . « وأوضح مثل يساق على أهمية تكرار القصص في القرآن مايلمسه المتتبع لذلك من تفصيلات في بعض الأحداث والوقائع ولفت النظر إلى العبرة التي يخلق بمن ذكرت له أن يستخلصها . وقد يقع التكرار لمقارنة موقف بآخر أو تشبيه حالة بحالة وفي بعض الأحيان يأتي التكرار متضمناً بعض العجائب

(١) ظاهرة التكرار في القرآن الكريم ـ ص ١٣٠

(٢) الشعراء/١٠٨ ، ١٤٤ ، ١٦٣ ، ١٧٩

ليسترعي انتباه المتتبعين للقرآن إلى غير ذلك »[1] مما يلمسه المتتبع لتكرار القصة في القرآن وفائدته الإعلامية .

ولعل أكثر القصص تكراراً في القرآن الكريم هى قصة موسى عليه السلام وذلك « لأن كتاب التوراة وشريعته التي أرسل بها ومافيها من أحكام وشرائع وموقف بني اسرائيل منه ومواقفه من فرعون وملئه وماجرى له من أحداث في تبليغ دعوته جعلت رسالته شبيهة برسالة الرسول ﷺ وهى لهذا كررت في القرآن الكريم »[2] . وخلاصة القول أن القرآن الكريم قد ذهب في التكرار مذهباً فريداً عالج به طبائع الأفراد والجماعات على اختلاف أحوالهم وأزمنتهم وأمكنتهم بأساليب متباينة وسياقات مختلفة وبتفصيلات تختلف ايجازاً واطنا با حتى لايمل الناس فيدعوهم ذلك إلى النفور .

ولا أنسى أن أنبه إلى أن تكرار الفعل أكثر تأثيراً في إثارة الإنتباه وتكوين العواطف من تكرار القول بل إن تكرار القول المقصود منه في أغلب الأحيان الدفع إلى العمل والتأكيد على تكراره حتى يصبح عادة .

التكرار في الإعلام المعاصر :-

وقد أدرك الإعلاميون في كل عصر من العصور أهمية عملية الإيحاء المتكرر بفكرة معينة في الاعلام من خلال تعاملهم اليومي مع الناس وتعرفهم إلى أسرار النفس البشرية . ولكن رجال الإعلام في العصر الحديث قد توصلوا إلى اكتشاف مالم يكتشفه السابقون من الفعاليات الخاصة بعملية التكرار في الإعلان عن الأفكار والقضايا ذات الأهمية وتشكيل رأى عام حولها . فقد اكتشف الباحث « روز » عام ١٩٤٨ م وهو يستعرض الدراسات التي أجريت حول هذا الموضوع أن التكرار خاصة التكرار على فترات يزيد فاعلية الدعاية التي تحض على التسامح . ويتفق هذا الرأى بشكل عام مع رأى بعض علماء النفس أمثال « ثورنديك » وبعض العاملين في مجال الدعاية ومنهم جزيف جوبلز »[3] .

وقد نقل عن مسئولين وقادة كبار أقوال تتصل بعملية التكرار والحض عليها بهدف

---

(١) المرجع السابق - ص ٣٥ - بتصرف

(٢) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم - محمد محمود حجازي - ص ٣٢٥ - دار الكتب الحديثة بتصرف .

(٣) الإعلام ونظرياته في العصر الحديث - جيهان رشتى ص ٤٦١ - دار الفكر العربي - ط ١

غرس أفكار معينة وعقائد محددة تكون في خدمة النظام القائم الذي يمثلونه ويدافعون عنه . ومن أشهر من نقل عنه ذلك هم قادة الفكر الألماني وزعماؤه الذين كانوا يعتنقون هذا الأسلوب ويؤمنون بمثاليته في مخاطبة الجماهير « فيقول هتلر » إن الدعاية تستطيع فقط أن تؤتي ثمارها في النفوس عن طريق التتابع والاستمرار والتنظيم . . . ويجب علينا دائماً . . . أن نعيد ونكرر نفس الشيء فكلمة النظام مثلاً يمكن توضيحها جيداً من زوايا مختلفة ولكن الهدف الذي نسعى إليه فيما نعرضه على الناس ينبغي أن يظل دائماً في نفس الشكل »[1] « ويقول جبلز » في وصفه لهذا الأسلوب إن سر الدعاية الفعالة يكمن لا في إذاعة بيانات تتناول آلاف الأشياء ولكن في التركيز على بضعة حقائق فقط وتوجيه آذان الناس وأبصارهم إليها مراراً وتكراراً »[2].

ولقد حرص الإعلام الاسرائيلي كل الحرص بأن لايدع أى فرصة تفوته للتأكيد على أهدافه التي من أهمها انتزاع الثقة من العرب في قدرتها على دخول حرب مع اسرائيل وترسيخ فكرة أنه لا حل إلا بالتفاوض معها والإستسلام لشروطها ، وزرع الخلافات بين العرب وتوسيعها .

« يضاف إلى ماسبق أن التجار والصناعيين ورجال الأعمال على اختلاف الميادين التي ينشطون فيها أدركوا أهمية التكرار في الترويج لبضائعهم والتمكين لمشاريعهم واكتساب الرأى العام الى جانبهم »[3] فلجأوا إلى الإعلان بكل الوسائل المتقدمة حتى تطمئن قلوبهم إلى أن هذا الإعلان قد استقر في أذهان الناس بصورة عميقة وطويلة الأمد .

ومن هنا نعلم أن جميع الدعايات سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو تجارية لاغنى لها مطلقاً عن التكرار .

كما يتبين لنا بوضوح خطورة هذا الأسلوب وأنه سلاح ذو حدين فإما أن يكون في خدمة الحق والافكار النظيفة والقضايا العادلة كما هو في القرآن الكريم .

وإما أن يكون في خدمة الشر وأهله كما هو الحال في كثير من الإعلام العالمي الذي

---

(١) الرأى العام والمخطط الصهيوني ـ فتحى الأبياري ـ ص ١٤٧ مطابع شركة الإعلانات الشرقية ١٩٦٩ م .

(٢) نفس المرجع ـ ص ١٣٧

(٣) من قضايا الإعلام في القرآن ـ ص ٢٣٢

يقوم على الدعاية لخدمة بعض الأفكار والأنظمة الوضعية والأهواء الشخصية . ويكون التكرار أشد خطورة إذا امتزج بعنصر التشويق والإثارة .

٦ ـ التشويق :

أهمية عنصر التشويق وظهوره في الإعلام القرآني :-

إن التشويق عنصر هام بالنسبة للرسالة الإعلامية « لأن جذب الانتباه وإثارته وتحريك الإحساس الجمالي مداخل إلى نفوس الناس ومفاتيح لعقولهم وأفكارهم »[١] فالرسالة الإعلامية قد تكون صحيحة حديثة خالية من الاتجاهات غير المرغوبة ولكن إذا كانت طريقة عرضها غير سليمة كأن ينقصها عنصر التشويق فإنها ستبعث على الملل وعدم المتابعة . ومعنى هذا « أن في النفس الإنسانية قوتين : قوة تفكير وقوة وجدان . . . فأما الأولى فإنها تبحث عن الحق لمعرفته وعن الخير للعمل به . وأما الثانية فإنها تسجل احساسها بما في الأشياء من لذة وألم .

والبيان التام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين فيؤتيهما حقهما من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معا »[٢] .

وهذا مانجده في القرآن الكريم حيثما توجهنا بل يمكننا القول بأن من أقوى طرق التأثير في القرآن الكريم هو تقديم المادة الإعلامية الجادة والموضوعية المفيدة والمعلومات الدقيقة بأسلوب شيق رائع يؤثر في قلوب أولي الألباب المهتدين قال تعالى : ﴿ **الله نزَّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله . . .** ﴾[٣] .

كما أثر في قلوب الكافرين فمنهم من آمن به ومنهم من صدَّ عنه . فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذهب إلى أخته فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد ليصدهما عن الدخول في دين الله فدخل عليهما وضربهما حتى شج أخته فاطمة ثم أخذ منها صحيفة كانت بحوزتها فيها « طه » بعد أن حلف لها بآلهته ليردنَّها إليها إذا قرأها فلما قرأ أولها قال « ماأحسن هذا الكلام وأكرمه ثم ذهب إلى النبي ﷺ وأعلن إسلامه »[٤] .

(١) مجلة المسلم المعاصر ـ العدد العاشر ـ عام ١٣٩٧ هـ ـ ص ٥٧
(٢) النبأ العظيم ـ ص ١١٣
(٣) الزمر/٢٣
(٤) انظر قصة إسلام عمر بن الخطاب في سيرة النبي ﷺ جـ ١ ص ٣٥٥ ـ مكتبة الجمهورية .

وأما الذي تولى فهو الوليد بن المغيرة الذي شعر بقوة تأثير القرآن الكريم على المشاعر والقلوب فأراد من قومه أن يوحدوا رأيهم فيه حتى لاتتعارض أقوالهم ويظهر كذبهم فيه أمام الناس وطلب من سادتهم ذلـك عنـدما كانوا مجتمعين إليه فقالوا : مانقول ياأبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناة . . . وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر . . . لأنه يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته »[1].

وكـان كبـار قريش وقـادة الـرأى فيهـا من أمثـال أبي سفيان وأبي جهل والأخنس بن شريق يخرجون ليلاً ليستمعوا من الرسول ﷺ القرآن الكريم وهو يصلي من الليل في بيته حتى إذا طلع الفجـر وتفـرقـوا جمعهم الـطريق ثم يوصى بعضهم البعض بعـدم العـودة لمثـل هذا ولكنهم لا يستطيعون إلى ذلك سبيلاً وتكرر هذا منهم حتى تعاهدوا فيما بينهم على أن لا يعودوا لمثل هذا أبدا »[2].

ولاحسـاسهم بما في القـرآن الكـريم من سلطان وعجزهم عن مغالبة أثره في نفوسهم أخذ يوصى بعضهم بعضـاً بعـدم الإستـماع للقرآن والقيام بالتشويش عليه ليلاً يسمعه غيرهم كما أخذوا يغرون الجماهير القرشية بأن تفعل ذلك قال تعالى : **﴿ وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾**[3].

هذه الأمثلة وغيرها من الأمثلة كثير كلها توضح لنا مدى مايتمتع به القرآن الكريم من جاذبية وجمال قاهر أقرَّ به المؤمنون والكافرون على السواء .

أمثلة قرآنية على التشويق :-

ولا نكتفي بما قدمناه اجمالاً بل لا بد من الاتيان ببعض الأمثلة على الكيفية التي كانت تنقل بها المادة الاعلامية في القرآن الكريم وماتتضمنه من عنصر جمالي مشوق لضمان تأثيرها في القلوب .

١ - لانافع ولاضار إلا الله عز وجل :

فعنـدما أراد الله سبحانه وتعالى أن يرشد الناس إلى الجهة التي يلجؤون إليها في طلب حوائجهم ودفـع الضر عنهم نقـل لهم هذا المعنى بهذه الصـورة العجيبـة « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وماهو

(١) سيرة الرسول ﷺ جـ ١ - ص ٢٦٨ - بتصرف
(٢) نفس المرجع - ص ٢٦٨ بتصرف
(٣) فصلت/٢٦

ببالغه . . . »[1].

فهـذه صورة رائعـة تحرك الحس والـوجدان وتجذب القلوب والأبصار فلا تستطيع أن تتخلص منهـا إلا بشق الأنفس « وهى من أعجب الصـور التي تستـطيع أن ترسمهـا الألفـاظ : شخص حى شاخص باسط كفيه إلى المـاء والمـاء منه قريب يريد أن يبلغه فاه لا يستطيع ولو مد مدة فربما استطاع »[2].

والصورة مع ماتحتويه من جمال وروعة فهي تجعل النفس تتأكد تماماً بأن لا نافع ولا ضار إلا الله تبارك وتعالى وهذا هو الغرض المقصود من هذه الآية الكريمة .

٢ ـ الكفر يبطل الأعمال :

وعندما أراد القرآن الكريم اخبار الناي بأن الكافر مهما عمل من أعمال الخير فإنها باطلة ولا أثر لها ولا فائدة بالنسبة لصاحبها يوم القيامة قدَّم لهم هذا المعنى بقوله ﴿ **وقدمنا إلى ماعملوا من عمـل فجعلنـاه هبـاءً منثـوراً** ﴾[3] . فهذه الصورة نقلت المعنى المقصود بشكل يجعل الإنسان يتخيل بشكل واضح ذلك الضياع الحاسم لأعمال الكافر الذي يجعله خبراً بعد عين وهذا من شأنه اقناع النفس بخطورة الكفر والحذر من الوقوع فيه وهذا هو المعنى الذي تريد الآية الكريمة غرسه في النفس واقناعها به .

٣ ـ حرمان المكذبين من دخول الجنة ونعيمها :

وعندما أراد الله سبحانه وتعالى اعلام الناس بأن المكذبين بما جاء به الرسول ﷺ حرم الله عليهم دخول الجنة ونعيمها نقل لهم هذا النبأ بقوله ﴿ **إن الذين كذَّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنَّة حتى يلج الجمل في سَمِّ الخياط** ﴾[4].

فهـذه الصـورة تجعـل الإحسـاس يتأثر بذلك المشهد العجيب مشهد المكذبين وهم يحاولـون إدخال الجمل في ثقب الإبرة لأن افتتاح أبواب السماء لهم ودخولهم الجنة متوقف على ذلك العمل المستحيل أما قبل أن يحققوا هذا العمل وهو ادخال الجمل في ثقب الإبرة فهم في نار جهنم لا مـوت لهم فيهـا ولا حياة وعنـدما يتصور الإنسان هذا المشهد الرهيب المفـزع فإنَّـه ولاشـك سيرسـخ في ذهنه وفي قرارة نفسه الخوف من مصير هؤلاء المكذبين ويحاول جاهداً اتقاء هذا الموقف الرهيب بالتصديق بما جاء به الرسول ﷺ والعمل به وهذا

(١) الرعد/١٤
(٢) التصوير الفني في القرآن ـ ص ٣٣
(٣) الفرقان/٢٣
(٤) الأعراف/٤٠

هو الهدف من هذا الخبر الذي ورد في هذه الآية الكريمة .

٤ ـ **الأبرار مكرمون عند الله يوم القيامة :**

وعندما أراد القرآن الكريم اعلام الناس بما أعده الله سبحانه وتعالى للأبرار من تكريم في الآخرة أبرز لهم هذا المعنى بقوله ﴿ **إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون** ﴾[1] .

فهـذه صورة رائعـة للأبـرار ورفعـة مقامهم والنعيم المقرر لهم في الآخرة ونضرته التي تفيض على وجوههم والرحيق الذي يشربون منه وهم على الأرائك ينظرون ﴾[2] .

كل هذا يجعـل الإنسـان يتشوق إلى ذلك النعيم وذلك التكريم والسعى في الحصول عليه والتنـافس فيه وهـذا هو المقصود تحقيقه من هذا الخبر الكريم والذي أشار إليه بقوله « وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » .

٥ ـ **عدم الاغترار بالمظاهر الزائقة :**

وعنـدمـا أراد أن يحذر المسلمـين من الاغترار بالمظاهر الخداعة رسم لهم هذه الصورة بقـولـه ﴿ **وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسنّدة يحسبـون كلَّ صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أني يؤفكون** ﴾[3] ففي هذه الآية صورة مثيرة للسخط والكراهية لهذا الصنف الزائف من الناس فهى تسمهم بالخواء والجبن والحقـد والكنود الذي يخفيه مظهر زائف لاحقيقة له ولاقيمة بطريقة تبهر العقول والأبصـار وتجـذب انتباه المسلمين بشدة للتندر من هؤلاء والسخرية من حالهم وهذا فيه تحذير لهم من صفاتهم أو الإغترار بمظاهرهم الزائفة وأكاذيبهم وألاعيبهم .

ومن المؤسف حقـاً أن هذا الصنف هم الـذين يتـولـون قيادة الـرأى العـام في العـالم الإسـلامي اليوم . فإذا تتبعت الآراء والتصريحـات المبثـوثـة في كثير من وسائل الإعلام الإسلامي فإنَّك قد تجد اللذة والجمال والتسلسل المنطقي في كل مايقال ويكتب وفي بعض الأحيان مدعـومـاً بالأدلة والبراهين من القرآن والسنة لإقناع المسلمين بآرائهم وأفكارهم الـزائفة التي لاتنطلي إلا على الفاسقين الذين جهلوا الحقائق أو نسوها . وأما العقلاء من

---

(١) المطففون/ ٢٢ ـ ٢٦

(٢) في ظلال القرآن ـ المجلد ٦ ـ ص ٣٨٥٤

(٣) المنافقون/ ٤

المؤمنين المتبصرين الذين لاتشغلهم المظاهر الزائفة عن الإمعان في كل الأمور وعرض كل مايشكُّون فيه أو يلتبس عليهم أمره على كتاب ربهم ليروا حكمه ورأيه فيه فإنهم يجدون في كثير من تلك الآراء والتصاريح السُّم القاتل الذي هو في الحقيقة أشد على هذه الأمة من وقع سهام أعدائها عليها في غلس الظلام .

٦ ـ عناية الله جلَّ وعلا بعباده وحضوره معهم في الشدائد :

عندما أراد القرآن الكريم أن ينقل لنا حادثة واقعة وهى حالة المسلمين عندما اجتمع عليهم جميع أعدائهم من مشركين ومنافقين وأهل كتاب لاستصالهم والقضاء عليهم قضاء تاماً والنتيجة التي آلت إليها هذه الحادثة وبيان وجود الله سبحانه وتعالى ونصرته للحق الذي يعتبر سنة من سننه التي لامناص منها قال تعالى موضحاً ذلك الموقف وتلك الحادثة ﴿ **يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً . وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا . وإذ قالت طائفة منهم يأهل يثرب لامقام لكم فارجعوا ويستئذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وماهي بعورة إن يريدون إلاَّ فراراً** ﴾[١] .

فهذه الآيات البينات أعطتنا صورة واضحة رائعة تشعر الإنسان وكأنه حاضر لذلك الموقف الرهيب الحرج الذي مرَّ به المسلمون في ذلك الوقت بسبب الخطر الذي أحدق بهم من كل جانب وتجعلنا نقف متعجبين في فرح وسرور من الطريقة التي تم بها انقاذ المسلمين ودحر أعدائهم وقلب هزيمتهم إلى نصر وخوفهم إلى اطمئنان وتشعرنا بعناية الله سبحانه وتعالى بعباده وأنه حاضر مع أوليائه في الشدة والرخاء وأن من كان الله وليه لايخشى شيئاً ولايخافه لأنه لن يتخلى عنه في حال من الأحوال وهذا المعنى هو الذي أرادت الآيات ترسيخه في نفوس المسلمين »[٢] .

---

(١) الأحزاب/ ٩ ـ ١٣

(٢) ومن أراد الوقوف على عناصر الجمال والتشويق في أساليب الإعلام القرآني فليرجع إلى هذين الكتابين « في ظلال القرآن » والتصوير الفني في القرآن » سيد قطب .

طريق آخر للتشويق :

ومن الأمور التي استخدمها القرآن الكريم لجذب انتباه الناس وتحريك مشاعرهم وأحاسيسهم نحو مايقدمه لهم من حقائق تلك البدايات التي تلفت الأنظار لغرابتها وجدتها وطريقة نظمها مما كان له أثر عظيم في الإقبال عليها ووعي القلوب لما يليها من أفكار وحقائق يراد اقرارها وترسيخها في النفوس .

وقد أتت جميع فواتح السور في القرآن الكريم على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها كالتحميدات والتسبيحات وحروف الهجا والنداء .

وهكذا يتضح لنا أن التشويق إلى الحقائق هو الطريق المفضلة التي يتناول بها القرآن الكريم جميع الأغراض سواء كان الغرض تبشيراً أو انذاراً قصة وقعت أو حادثاً سيقع وصفاً للحياة الدنيا أو للحياة الآخرة إلى آخر ذلك من الموضوعات والأغراض .

والجدير بالذكر أن عنصر التشويق والإثارة الذي يستخدم لشد الناس وجذب انتباههم إلى الحق يستخدم أيضاً لقلب الحقائق وتزيين الباطل وهذا مانستفيده من القرآن الحكيم فانظر معي إلى قوله تعالى : **﴿ ونادى فرعون في قومه قال ياقوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون . أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين . فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين ﴾**[1] .

فالطاغية فرعون لما شعر بخطر الحق الذي جاء به موسى على ملكه وسلطانه الذي يقوم على الباطل خرج على الشعب وهو بكامل قوته وسلطانه وفي زخرفه وزينته ليخلب عقول الجماهير الساذجة ويشعرهم بما لديه من مال وجاه وسلطان لأنه يعلم بما لهذه الأمور من تأثير على ضعفاء العقول . ولم يكتف بذلك بل أخذ يخطب في الشعب بطريقة تدل على قدرة فرعون الفائقة على تحريك المشاعر والقلوب واعتمد في ذلك على البريق الخادع القريب من عيون الناس ليجعله مدخلاً لتحسين صورته لدى الناس .

فأعلمهم بكل مالديه من ملك وعظمة وقوة ومنعة ليصل بهم إلى أن الذي يمتلك هذا لاشك أنه خير وأحق بالاتباع من ذلك الذي وصفه بقوله « مهين ولا يكاد يبين » فرعون يقصد بذلك موسى عليه السلام لأنه في نظره إنسان فقير ضعيف لاحول له ولا قوة فهو بأشد الحاجة إلى من

---

(١) الزخرف ٥١ ـ ٥٣ .

يشفق عليه ويساعده لا ليطيعه ويؤمن به ويتبعه والقرآن الكريم يتابع هذا المشهد المثير ليطلعنا على وقع هذا العمل الإعلامي العظيم الذي قام به هذا الطاغية قال تعالى : ﴿ **فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين** ﴾[1] .

ومعنى هذا أن فرعــون استـطاع أن يضـل الـرأى العـام المصري ويحجب عنهم الحقـائق ويقنعهم بزيفه وباطله ويجرهم الى مايريد .

ومن الملفت للنظر هنا أن الله سبحانه وتعالى علل نجاح فرعون في أسلوبه هذا بأن قومه كانوا فاسقـين . والفـاسق هو الـذي لايعمل بالحق لنسيانه إياه أو لجهله وعدم إدراكه له وأما المؤمن الذي يعلم الحق ويعمل به فإنه من الصعب خداعه وتضليله في جميع الظروف والأحوال وعلى هذا فإن قادة الـرأى العـام لايستـطيعـون اقنـاع الجماهير بالباطل إلا إذا احتكروا توجيهها ولم يسمحوا بوصول الحقائق إليها حتى تنسى تلك الحقائق ولايفكر أحد بالبحث عنها .
وأمـا إذا لم يفعلوا ذلـك فإن أسـاليبهم التي تعتمد على الكذب والتزييف لاتستطيع تحقيق أغراضها المنشودة .

واسلوب فرعون هذا شائع في عصرنا هذا فنرى كثيراً من الزعماء يظهرون العظمة والقوة والجبروت لشعوبهم كما يقومون بإلقاء الخطب المثيرة للعواطف وإن كانت في الحقيقة جوفاء لاترتكز على شيء من الحق والصدق كل ذلك من أجل التأثير على ضعفاء العقول وإثارة عواطفهم وجرهم بعد ذلك بسهولة إلى مايريدون .

هذا والقرآن الكريم أخبرنا أن الشيطان أيضاً يقوم بتزيين الباطل والمعاصي إلى الناس ويدعـوهم إليه ويرغبهم فيه حتى يكـونوا منقادين لكل باطل وكل معصية قال تعالى : ﴿ **قال رب بما أغـويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغـوينهم أجمعـين . إلا عبـادك منهم المخلصين** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس وإنِّي جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم . .** ﴾[3] .

---

(١) الزخرف/٥٤

(٢) الحجر/٣٩ ، ٤٠

(٣) الأنفال/٤٨

التشويق ضرورة إعلامية في العصر الحديث :

لقد أدرك رجال الإعلام في العصر الحديث ضرورة إيجاد عنصر الإثارة والتشويق في الدعاية لكثير من أغراضهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لدفع الجماهير إلى متابعتها والاقتناع بها من أجل ذلك حاولوا أن تكون الإثارة أصلاً في المادة الإعلامية للتأثير على وجدان الجماهير وتحريك مشاعرهم بشتى الأساليب والطرق الذكية . حتى أن بعضهم غالي في ذلك بدافع من التعصب لمبادىء وأفكار معينة أو بدافع من الربح المادي . ووصل بهم الأمر إلى الإعتقاد بأن الجماهير فيها كثير من خصائص النساء وأن استجابتهم في أغلب الأحيان تكون عاطفية أكثر مما هى عقلية وكان أشهر من آمن بهذا المبدأ الزعيم الألماني « هتلر » ولذلك كان يبيح الكذب والتضليل الذي يستلزمه اسلوب الإثارة العاطفية لضمان وصوله إلى الهدف المنشود .

ومن هنا يكون هؤلاء الاعلاميون قد التقوا مع الشعراء في مخاطبتهم لعواطف الناس ومشاعرهم لتحقيق رغباتهم « غير مبالين بما صوروه للناس أن يكون غياً أو رشداً وأن يكون حقيقة أو خيالاً فتراهم جادين وهم هازلون يستبكون وان كانوا لايبكون ويُطربون وإن كانوا لايَطربون »(١).

وهذا بالطبع ليس عاماً في رجال الإعلام بل هناك منهم من تمكن من الإبداع في هذا الميدان واستطاع أن يقدم الحقائق رائعة جميلة كما أدركها وتصورها في نفسه قبل أن يصورها إلى غيره فجمع بذلك بين الإفادة والتشويق .

وإذا ألقينـا نظرة عامة على عنصر الإثارة والتشويق في الإعلام الحديث فإننا سنجده يعتمد في إثارته على الأمور الآتية . الجنس ، والغراميات ، وقضايا الزواج ، والطلاق ، وهناك أيضاً الجمال ومسابقاته وكل مايتعلق بالفنانين والفنانات والصراع بأنواعه سواء كان صراعاً في الحرب أو في المسابقات الثقافية أو في الألعاب الرياضية . كل ذلك يعد من عناصر التشويق سواء كان عن طريق الأفلام السينمائية والتلفزيونية والفيديو أو الإذاعة أو الصحافة .

وذلـك بأن تتخلل برامـج أجهـزة الإعـلام بعض هذه العنـاصر لجذب السـامعين والمشاهَدين بعنف إلى هذه الأجهزة وإلا اعتبرت هذه الأجهزة وبرامجها ميتة ولا قيمة لها من

(١) النبأ العظيم ـ ص ١١٤

ناحية التأثير والإثارة والفاعلية ـ وهو مايسمى بالإعلام الفاشل .

ومن هنا نستطيع أن نؤكد أن الإعلام المعاصر يبث من الباطل أكثر مما يبث من الحق بشتى الأساليب الفنية الشيقة ليقلب الحقائق ويضلل الشعوب ويحقق الأهداف وأكثر الناس نصيباً من هذا التضليل هى الشعوب الإسلامية التي تحتل أرضها وتمتلك مصالح الشرق والغرب وتجري المخططات ليل نهار في الهيمنة والسيطرة عليها .

وأنا هنا لا أطالب الإعلام الإسلامي بإلغاء عنصر التشويق بل أحض على ضرورة ايجاده واستخدام كل مامن شأنه أن يجذب انتباه الناس إلى الحقائق ويسهل على النفس قبولها والاقتناع بها ولكن الذي أنتقده وينتقده كل مسلم غيور على أمته وعقيدته هو أن تجعل الشعوب الإسلامية قطعاناً من الماشية توجهها وسائل الاعلام حيثما تريد وذلك عن طريق إثارة مشاعرهم والإلحاح المستمر على عواطفهم وحجب الحقائق عنهم . حتى تضعف بذلك قوة تفكيرهم فتستجيب لكل مايملى عليها من قبل هذه الأجهزة سواء كان حقاً أم باطلاً .

وهذا مما لايتمشى مع طبيعة هذه الأمة التي رباها القرآن الكريم وحضها على استخدام العقل في كل الأمور .

فلابد إذاً من مخاطبة عقولهم بالحق وإرشادهم إليه ولكن لامانع من استخدام عنصر التشويق لجذب انتباههم الى الحق وانتفاعهم به .

وهذا مانستفيده من طريق القرآن الكريم في بث الحق والتشويق إليه بأساليبه المعجزة التي جمعت بين مخاطبة العقل وتشويق العاطفة بطريقة متوازنة جعلت من السهل الانقياد إلى هذا الحق والإنصياع إليه .

فهذه هى بعض الطرق الهامة التي اتبعها القرآن الكريم بدقة وإتقان معجز في تغيير الرأى العام في جميع الميادين ، في العقيدة ، والأخلاق ، والمعاملات فكان ماأحدثه فيها من تأثير وتغيير لايستطيع تحقيقه إعلام بشرى مهما بلغت قوة أساليبه وتقدم أجهزته ودقة برامجه .

الباب الثالث : (التطبيقي)

أهم آثار الأسلوب الاعلامي في القرآن الكريم

الفصل الأول : أثر هذا الأسلوب في العقيدة

الفصل الثاني : أثره في الأخلاق

الفصل الثالث : أثره في المعاملات

الباب الثالث التطبيقي

أهم آثار الأسلوب الاعلامي في القرآن الكريم

مما لاشك فيه أن القرآن الكريم بفضل أسلوبه الإعلامي العظيم قد أحدث ـ تغييرات جذرية في مجتمع الجزيرة العربية لايقوي أي إعلام آخر على مثلها . والمدهش حقاً أن هذه التغييرات التي أحدثها القرآن الكريم لم تقف عند حدود ميدان واحد بل شملت كل الميادين فكانت هناك تغييرات في ميدان العقيدة والأخلاق وكانت هناك تغييرات في المعاملات إلى غير ذلك من التغييرات التي أحدثها في المجتمع العربي بأسره بسرعة اذهلت كل المفكرين وقادة الرأى من السياسيين وغيرهم . حتى انهم لم يجدوا لذلك تفسيراً سوى أنها من قبيل المعجزات . والباحث في هذا الباب سيتكلم في فصول ثلاثة عن بعض هذه التغييرات في كل من العقيدة ، والأخلاق والمعاملات .

الفصل الاول : ـ أثره في العقيدة

عناية القرآن بالعقيدة :

إن أساس نظام الحياة البشرية الذي فطر الله عليه الناس هو عقيدة التوحيد لأنه بدون هذه العقيدة لايمكن لاى إنسان أن يعرف مركزه في الحياة ولا علاقته بالكون ولا الغرض الذي من أجله خلق . وهذه العقيدة التي فطر الناس عليها هى الموجه الحقيقي لأفكار الإنسانية وسلوكها وسائر تصرفاتها ولذا لايمكن التخلي عنها في شأن من الشئون قال تعالى : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون** ﴾[1] والرسول ﷺ أيضاً أخبرنا بأن هذه الفطرة موجودة في نفس كل إنسان

---

(١) الروم/ ٣٠

ولكن الغرائز والميول التي جعلها الله سبحانه وتعالى في طبيعة هذا الإنسان ساعدت على انزلاقه وراء الأهـواء والشهـوات والإنحـراف عن الطريق المستقيم « مامن مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه وينصّرانه ويشرّكانه »[1].

وإذا ألقينـا نظرة على واقـع المشركـين العـرب قبل الإسلام نجدهم كانوا بفطرهم يعترفون بوجـود إله أعظم خالق للكون ومدبر لشئونه قال تعالى : ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأني يؤفكون** ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ **ولئن سألتهم من نزّل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعـد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون** ﴾[3] ولكن فطرتهم هذه سرت إليها الوثنية بعد أن فشى فيهم الجهل وانقطعت من بلادهم آثـار النبـوَّة . وقـد جلّى لنا القرآن الكريم ماوصل إليه العرب قبل الإسلام من زيغ في المعتقـدات وفسـاد في الأخـلاق « وصـورهم على أنهم قوم مشركـون استحكم الشرك في قلوبهم . . . فأخضعهم لتصـورات لايكـاد يصدقها العقل »[4] تعصبوا لها تعصباً ذمياً بلبل أفكـارهم وشتت قواهم وخـالف بين اتجـاهـاتهم وحجب حركـة فكرهم عن ادراك الحق قال تعـالى : ﴿ **وإذا قيـل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئـاً ولا يهتـدون** ﴾[5] وقال تعالى : ﴿ **وانطلق الملاء منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد . ماسمعنا بهذا في الملّة الآخرة إن هذا إلا اختلاق** ﴾[6].

وأصبحت فكرة التوحيد عندهم عبارة عن نظرية محجوبة ومغمورة تحت معتقدات وعبادات كانت تؤدى إلى عدد لايحصى من الآلهـة ولايكـاد يظهر لها بصيص إلا في حالات طارئة وذلك عنـدما تحيط بهم الأخطار من كل جانب ويروا الموت عياناً ويشعرون أنهم في موقف لاينقذهم منه إلا رب الأرباب الله سبحانه وتعالى : ﴿ **هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجـرين بهم بريـح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهـم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين** ﴾[7].

---

(١) جامع الأصول في أحاديث الرسول ـ جـ ١ ص ٢٦٩

(٢) العنكبوت/٦١ (٣) العنكبوت/٦٣

(٤) الإعلام الإسلامي والعلاقات الانسانية النظرية والتطبيقية ـ ص ٢٥٢

(٥) البقرة/١٧٠ (٦) ص ٦ ، ٧

(٧) يونس/٢٢

وممـا تقـدم نعلم أن القـرآن الكـريم جاء إلى عالم مثقـل بآلهـة كاذبة وهو موشك على التبدد والإنهيار بسبب المحنة العاتية المظلمة التي كانت تمر بها الفطرة الإنسانية في ذلك الوقت جاء وهو يعي تمامـاً مسئـوليتـه عن هذه الفطرة وعن تحريرها من كل خضوع ورضوخ لغير الله سبحانه وتعالى لأن ذلك هو حقيقتها التي انشأها الله عليها قال تعالى : ﴿ **وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ماأريد منهم من رزق وماأريد أن يطعمون** ﴾[١] .

من أجل ذلك ذهب القرآن الكريم يدعو الناس إلى العودة إلى الوحدة الدينية الأصيلة وبث هذه العقيدة ويغرسها في قلوب الناس ونفوسهم بأرقى الأساليب الإعلامية . يقول خالد محمد خالـد . « من شاء أن يرى القـرآن وهـو في أروع ـ حالات توقده وتألقه وتحفزه وسناه فاليره وهو يتحـدث عن وحـدانية الله وقـدرته ورحمته »[٢] وإذا أنعمنا النظر في القرآن الكريم نلاحظ أن نقطة الإنطلاق والنواة التي تدور حولها محاولات اقناع الناس بالعودة إلى فطرتهم وهدايتهم الى سبيل الـرّشـاد تنحصر في فكـرة رئيسية هى « أن صانعاً يتصف بالكمال المطلق والقوة المطلقة والخـير المطلق خلق كل شيء في الوجود واخضعه لإرادته خضوعاً مطلقاً هو وحده المعبود دون ماسواه ولايجوز الخضوع لغيره »[٣] .

« بعض أساليب القرآن الإعلامية لإقناع الناس بالعقيدة » :

وسر نجـاح القرآن الكريم في قيادة العقل البشري إلى هذه الغاية ووضعه حداً للخلافات التي ثارت حول هذه القضية يكمن في نظري في تلك القـوة الجـارفـة التي تتمتـع بها أسـاليبـه الإعلامية الميسرة والتي من أهمها :

١ ـ أسلوب تحريك العقـول البصـيرة والرؤوس الرشيدة لتنظر في الآفاق وفي أنفسها لترى في آياتـه الكبرى مايدلها على هذه الحقيقة قال تعالى : ﴿ **الله الذي رفع السموٰات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصِّـل الآيـات لعلكم بلقـاء ربكم توقنون** . إلى قوله ﴿ **ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون** ﴾[٤] وقال تعالى : ﴿ **وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾[٥].

---

(١) الذاريات/٥٦ ، ٥٧

(٢) إسلاميات ـ خالد محمد خالد ـ ص ١٨٩ دار الفكر ـ بيروت

(٣) مدخل إلى القرآن الكريم ـ ص ٧٤ ـ بتصرف.

(٤) الرعد/٢ ـ ٤ (٥) الذاريات/٢٠ ـ ٢١

٢ - وبالتبشير : فالله سبحانه وتعالى بشر المؤمنين به وبرسوله ﷺ وبرهنوا على ذلك بأعمالهم بأن لهم جنات في غاية الحسن والجمال وهذه الجنات تجري من تحتها أنهار من الماء والعسل واللبن والخمر يتصرفون فيها كيف شاءوا وأن لهم في هذه الجنات أزواج مطهرة من كل عيب وهم فيها خالدون قال تعالى : ﴿ **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون** ﴾[١] .

٣ - وبأسلوب التقابل بين مآل المؤمنين يوم القيامة وما أعد الله لهم من جنات الفردوس خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً بسبب إيمانهم بالله ورسله واليوم الآخر . في مقابل مآل الكافرين وما أعد الله لهم من خسران وعذاب مهين يوم القيامة بسبب كفرهم بما جاءهم به الرسول ﷺ من الحق الذي لا ريب فيه . والغرض من ذلك التقابل الترغيب في اتباع الحق وبما جاء به الرسول ﷺ من دعوة إلى توحيد الله في الربوبية والألوهية والتنفير من التكذيب بالله سبحانه وتعالى قال تعالى : ﴿ **قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا . ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً** ﴾[٢] .

٤ - والترغيب في الإيمان بالله وتوحيده في العبادة والتنفير من الكفر والإبتعاد عن الشرك فإن القرآن الكريم ذكر بعض الأمور المحسوسة التي لا يشك عاقل في عدم تساويها ليصل بأصحاب العقول المستنيرة عن طريق ذلك بأن المتضادات المعنوية كذلك لا تتساوى فلا يتساوى المؤمن والكافر ولا المهتدى والضال ولا أصحاب الجنة وأصحاب النار ولا أحياء القلوب وأمواتها فإن بين هذه الأشياء من التفاوت ما لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى ومن ذلك قوله : ﴿ **وما يستوي الأعمى والبصير . ولا الظلمات ولا النور . ولا الظل ولا الحرور . وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور** ﴾[٣]

---

(١) البقرة/٢٥

(٢) الكهف/١٠٣ ـ ١٠٨

(٣) فاطر/١٩ ـ ٢٢

٥ ـ وعن طريق التذكير والتخويف : فالقرآن الكريم يلجأ في كثير من الأحيان إلى أن يقص على الناس نبأ الأخيار والفجار في الأمم السابقة وما آل إليه أمرهم ليذكرهم بالحقائق التي نسوها أو تناسوها فيعتبروا بغيرهم قبل أن يكونوا عبرة لغيرهم قال تعالى : ﴿ **كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه أني مغلوب فانتصر . ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر** إلى قوله تعالى ﴿ **ولقد جاء آل فرعون النذر . كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر** ﴾[1].

٦ ـ ودعاهم إلى عقيدة التوحيد بإجابتهم عن أسئلتهم المتعلقة بالله سبحانه وتعالى فعندما طلب المشركون من الرسول ﷺ أن ينسب إليهم ربه أنزل الله سبحانه وتعالى رداً على طلبهم هذا ﴿ **قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد** ﴾[2].

وعندما جاء العاص بن وائل إلى الرسول ﷺ بعظم حائل ففته بيده وقال : يامحمد أيحى الله هذا بعد ماأرى ؟ »[3] فأجابه القرآن الكريم عن هذا الاستبعاد بمنطق الفطرة ومنطق الواقع القريب المنطور فقال « وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم قل يحيها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم »[4].

٧ ـ ومن أساليب القرآن في الدعوة إلى عقيدة التوحيد : تقديم الأدلة والبراهين على وحدانية الله سبحانه وتعالى بالإلهية والعبودية قال تعالى : ﴿ **ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم** ﴾[5].

٨ ـ ومن أساليبه لتقرير عقيدة التوحيد : ضرب الأمثال : فضرب لهم مثلاً من الطبيعة ليدلهم على كمال قدرته وانفراده بالملك والتدبير والوحدانية قال تعالى : ﴿ **ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير** ﴾[6].

---

(١) القمر ـ ٩ ـ ٤٢
(٢) انظر سبب النزول « فتح القدير » ـ جـ ٥ ص ٥١٣
(٣) انظر سبب النزول « فتح القدير » ـ جـ ٤ ص ٣٨٤
(٤) يس/ ٧٨ ، ٧٩
(٥) الروم/ ٢٠ ـ ٢٧
(٦) فصلت / ٣٩

ـ وضرب لهم مثلاً أيضاً من داخل أنفسهم ليدعوهم به إلى إفراد الله بالعبادة فقال **﴿ ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء في مارزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ﴾**(1) ومن الأمثلة ماهو ساخر من المشركين ومعتقداتهم قال تعالى : **﴿ يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾**(2).

9 ـ ودعا إلى العقيدة أيضاً بالإنكار على الكفار والتعجب من حالهم وجهلهم بالحقائق وإهمالهم للتفكير في أنفسهم وفي آلهتهم فهم يعبدون ماينحتونه ويصنعونه بأيديهم مع أن المعبود الحق ينبغي أن يكون هو الصانع لا المصنوع قال تعالى : **﴿ قل أتعبدون ماتنحتون . والله خلقكم وماتعملون ﴾**(3).

وهكذا استمر القرآن الكريم بأساليبه الإعلامية المباشر منها وغير المباشر على هذا المنوال يصول ويجول في ميدان اكتظت أرضه بالأصنام والأوثان والشركاء والشبهات حتى أذاب كل ذلك وربط أمته بأعظم رباط وهو عقيدة التوحيد التي بها تحررت عقولهم وبها التقت آمالهم وبها توحدت قوى حالهم وعليها وحدها انضم شتاتهم ثم حضّهم على الإعتصام بها وعدم التفرق أو الإبتعاد عنها بالترغيب تارة وبالتحذير تارة أخرى قال تعالى : **﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهدون ﴾**(4).

صور من آثار العقيدة في نفوس الصدر الأول :-

وبزرع عقيدة التوحيد وترسيخها في النفوس يكون القرآن الكريم قد أقام في النفس قوة محركة هائلة تدفعهم إلى الحق بعنف بحيث لايستطيعون التنصل منه مهما كانت الظروف والأحوال . وهذه القوة تتضح لنا عندما نعود لننظر بعض الصور من آثارها في نفوس الصدر الأول من هذه الأمة .

أ ـ فهذه القوة هي التي دفعت يوماً ماعزاً بن مالك الأسلمي رضى الله عنه عندما خالف

(1) الروم/28
(2) الحج/73
(3) الصافات/95 ، 96
(4) آل عمران/103

الشرع بإرتكابه معصية الزنا أن يذهب غاضباً لله ورسوله وانتقاماً من نفسه ويقف أمام الرسول ﷺ ويعترف بذنبه ويصر على تطهيره منه والتطهر من هذه المخالفة في عرف الشرع الإسلامي معناه الإعدام بالرجم حتى الموت »[1].

وكان ماعز قد ارتكب هذا الجرم ولم يعلم به أحد إلا الله تبارك وتعالى وكان بإمكانه الإفلات من القانون وعقابه ولكن قوة العقيدة هي التي دفعته إلى الإعتراف بذنبه والترحيب بالعقوبة التي يستحقها بصدر رحب .

ب ـ وقوة هذه العقيدة هي التي دفعت عُمير ابن الحمام أخو بني سلمة عندما سمع الرسول ﷺ في غزوة بدر الكبرى يقول والذي نفس محمد بيده لايقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة فلما سمع ذلك وكان بيده تمرات يأكلهن قذفهن من يده وقال متعجباً أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله تعالى »[2].

جـ ـ وقوة هذه العقيدة هي التي جعلت المسلمين الأوائل الذين كانوا مستضعفين بمكة عندما لجأ كفار قريش إلى استخدام جميع أساليب الإرهاب والتعذيب لصدهم عن دينهم وعقيدتهم أن يصبروا على دينهم حتى جعل الله لهم سبيلا »[3] هذه هي العقيدة التي غيرت المفاهيم والقيم الجاهلية تغييراً جذرياً ودفعت المؤمنين بها إلى الجد والعمل في تفان وإخلاص ثم في صبر على الشدائد ونضال عظيم في السلم والحرب على السواء . حتى شهد الله تبارك وتعالى لهم بالتفوق والامتياز على جميع الأمم بقوله ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون** ﴾[4].

ومما سبق يتضح لنا أن القرآن الكريم كان أول مابدأ به وأولاه عناية خاصة هو ترسيخ العقيدة في النفوس لأنها الأساس القوي الذي يمكن أن يقوم عليه بناء الإسلام ليكون أثبت من الرواس وأقوى من الصخور وذلك بسبب ماتتمتع به هذه العقيدة من طاقة

(١) انظر « تيسير العلام شرح عمدة الأحكام » عبدالله بن عبدالرحمن آل بسام جـ ٢ ص ٢٨٦ مطبعة دار الفنون « عين الرمانة ».

(٢) سيرة النبي ﷺ ـ جـ ٢ ص ٢٦٧ ـ دار الفكر ـ بتصرف

(٣) سيرة النبي ﷺ ـ جـ ١ ص ٣١٧ شركة مصطفى البابي الحلبي واولاده بتصرف .

(٤) آل عمران/١١٠

عجيبة في إذابة الفوارق العنصرية والطائفية والطبقية وإقامة مجتمع منسجم على أساس الأخوة الإنسانية .

وأما مانشاهده اليوم من ضعف العقيدة في النفوس واهتزازها في القلوب مما جعل سيطرتها على سلوك الأفراد والجماعات محدودة كان من أهم أسبابه : هو قيام أصحاب الأفكار والعقائد المستوردة ممن ابتليت بهم هذه الأمة بالتحايل عليها بتزيين تلك الأفكار والعقائد بشتى الأساليب الإعلامية الشيطانية فنسجوا حول هذه الأفكار والعقائد أساطير ونسبوا إليها كثيراً من الفضائل لجذب المسلمين إليها وابعادهم عن عقيدتهم الصحيحة وتفريقهم عنها .

« ونتج عن ضعف العقيدة هذا ضعف عام في الفرد وفي الأسرة وفي المجتمع وفي الدولة وفي كل جانب من جوانب الحياة »[1] وأصبح واقع المسلمين اليوم ومايعانونه من آثار الضعف والأنهيار شبيهاً بالواقع الذي دعا للنداء بالعقيدة ونزول القرآن من أجل إرجاع الفطرة الإنسانية إلى صفائها .

خيبة أمل في الإعلام الإسلامي المعاصر :-

وانطلاقاً من اقتناعنا الأكيد بأهمية الإعلام وقوة تأثيره يجعلنا نتطلع إلى الجهد الذي يبذله من أجل انقاذ هذه الأمة من معاناتها وآلامها . ولكننا نصاب بخيبة أمل عندما نرى اعلامنا فاقد الشخصية شغوفاً بحب التقليد يغلب عليه طابع التبعية يعتمد في أغلب مادته على مصادر غير معنية بمصالح هذه الأمة وتقدمها بل على العكس من ذلك فإن همها الوحيد هو ضياع هذه الأمة وتضليلها والقضاء على شخصيتها النابعة من عقيدتها الحقة . ونتج عن اعتماده على هذه المصادر أن غلب عليه طابع السلبية في جميع القضايا الهامة والمصيرية وأصبحت نظرته للأمور جزئية وركائزه ومبادؤه التي يعتمد عليها ضعيفة مما جعلني أقرر بكل أسف بأنه إعلام فاشل عديم الجدوى بل استطيع تأكيد أن هذا الإعلام من أكبر العوامل التي ساهمت في ابعاد هذه الأمة عن عقيدتها مما نتج عنه تمزيق شملها وانتشار الخلافات بين شعوبها وتعميق جذور تلك الخلافات في جميع ميادين الحياة . حتى صار من الصعب على هذه الأمة تخطيها والرجوع إلى وحدتها وقوتها وعزتها وكرامتها إلا بمعجزة من الله عز وجل أو الرجوع بإخلاص إلى كتاب ربها

---

(١) العقائد الإسلامية - السيد سابق - ص ١٥ - دار الكتاب العربي - بيروت

والإعتماد على هديه في الإعلام لجذب الناس إلى عقيدة التوحيد وغرسها في نفوسهم وابعادهم عن الشكليات الجوفاء والشعارات الزائفة حتى تتمكن من النهوض بتبعاتها وتضطلع بمسئولياتها داخلياً وخارجياً فتقود الأمم وتهدي الشعوب إلى العقيدة الصحيحة والأخلاق الفاضلة فيصدق عليها قول ربها كما صدق عليها من قبل **﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . . ﴾**[1] وتحظى بوعد ربها في قوله **﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾**[2].

---

(١) آل عمران/١١٠

(٢) النور/٥٥

الفصل الثاني

« أثره في الأخلاق »

يقول مصطفى السباعي : « إن الأمة مجموعة متماسكة من الأفراد وكلما كان الفرد سليماً كان بناء الأمة سليماً وكلما كانت أخلاق الأمة قوية كانت اتجاهاتها سليمة وهدفها مستقيماً »(١) من أجل ذلك عنى القرآن الكريم بنشر الأخلاق الفاضلة كاعتنائه تماماً بنشر عقيدة التوحيد التي استمر في الدعوة إليها مدة ثلاثة عشر عاماً بمكة وذلك للتلازم الشديد بينهما وليقينه بأن المجتمع الذي يفقد الروح الأخلاقية أو تضعف عنده عراها فإنه سيكون معرضاً للتفكك والإنهيار على الدوام .

عناية القرآن بالأخلاق :

وقبل القاء الضوء على بعض الجوانب الاخلاقية والأساليب الإعلامية التي استخدمت في تكوين رأى عام حولها يحسن بنا أن نبين أن الله سبحانه وتعالى قد غرس في داخل كل نفس إنسانية بصيرة أخلاقية غريزية منذ نشأتها قال تعالى : ﴿ **ونفس وماسوَّاها فألهمها فجورها وتقواها** ﴾(٢) .

غير أن هذه البصيرة الأخلاقية المغروسة في نفوسنا ناقصة وغير كافية وذلك بسبب أن الضمير الإنساني إذا اقتصر على مصادره الفطرية وجد نفسه عاجزاً في غالب الأحيان عن أن يقدم في جميع الظروف « قاعدة » ذات طابع عام تستأثر باعتراف الجميع(٣) .

لذا فاننا نرى كل أمة إذا انقطعت من بلادها آثار النبوة وتطاول عليها الأمد فإنها لا تخلو من بعض الأخلاق الفاضلة والتي اعتمدت في معرفتها لها على مصادرها الفطرية ولكننا في

---

(١) أخلاقنا الإجتماعية ـ مصطفى السباعي ـ ص ٥ ـ مكتبة الشباب المسلم ـ « دمشق » .
(٢) الشمس / ٧ ، ٨
(٣) دستور الأخلاق في القرآن ـ محمد عبدالله دراز ـ ص ى.ج مؤسسة الرسالة بيروت .

نفس الوقت نجد هذه الأخلاق ناقصة وغير ثابتة لانها لاترتكز على أساس متين من العقيدة الصحيحة .

والقرآن الكريم حين جاء كان يعلم أن النفس البشرية لاتتغذى بالحقائق النظرية وحدها فبجانب حاجة الإنسان إلى المعرفة والإعتقاد يحتاج في الحاح إلى القاعدة العملية القادرة على توجيه نشاطه في كل لحظة من حياته سواء في تصرفاته مع نفسه أو في علاقته مع غيره أو مع خالقه .

لذا فإننا نراه قد « اهتم بتوازن القوى المختلفة في المجتمع وبناء الأمة بناء متراصاً لاوهن فيه ولاثغرة ولا اختلال »[1] حتى يظل هذا البنيان متماسكاً ينهض للواجب ويثبت للكوارث ويعيش في الحياة كريم الخلق والسمعة يأوى الى ظل ظليل من أمن شامل وسعادة تغمر الناس جميعاً .

ومن ثم فان أول ماعنى به القرآن الكريم هو وضع قاعدة عملية فعَّالة تعمل على دفع الناس إلى العمل بتلك الحقائق النظرية التي يمكن التوصل إليها عن طريق البصيرة الأخلاقية الموجودة في النفس البشرية وجعل اعتماده على هذه البصيرة مقتصراً على إيقاف الناس على الحقائق النظرية لرسالة القرآن الاخلاقية واشعارهم عن طريقها بأن جميع ماجاء به من أخلاق يوافق فطرهم السليمة التي فطرهم الله عليها وذلك واضح من الآيات الجامعة للاخلاق الفاضلة قال تعالى : **﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾**[2] .

وقال تعالى : **﴿ قل إنما حرَّم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ﴾**[3] .

وقوله تعالى : **﴿ الذين يتَّبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلُّ لهم الطيبات ويحرِّم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾**[4] .

وقوله تعالى : **﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن**

---

(١) أخلاقنا الإجتماعية ـ ص ٦
(٢) النحل/٩٠
(٣) الأعراف/٢٣
(٤) الأعراف/١٥٧

الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً ﴾[1]

فهذه الآيات لخصت وبلورت للأمة رسالة القرآن الكريم الأخلاقية مما ساعدهم على استيعابها وتلقيهم لها بالقبول والرضا المطلق . ولكن المبدأ الذي وضعه القرآن الكريم ليكون القاعدة الأساسية التي ينطلق منها العمل الأخلاقي ويحكم عليه من خلالها هو أن المرء لايقوم بأي عمل أخلاقي إلا إذا كان مراده منه رضى الله عز وجل وأن كل عمل أخلاقي لا يرتكز على هذا المبدأ وهذه العقيدة لاقيمة له عند الله ولا ثبوت له ولا استقرار .

وهدف القرآن الكريم من ربط أى عمل أخلاقي بالعقيدة واشتراطه النية في ذلك هو من أجل تكوين ضمير أخلاقي حيّ في هذه الأمة يتّسم بالثبوت والإستقرار بحيث يقوم به الفرد برضى من نفسه وبتلقائية وسرور تامّين .

ولذا فإن القرآن الكريم يذم كل من يقوم بالواجبات الأخلاقية بدافع غير دافع العقيدة وابتغاء رضى الله عز وجل ويخبر أن عمله هذا غير مقبول عند الله تبارك وتعالى قال تعالى : **﴿ ومامنعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولايأتون الصلاة إلا وهو كسالى ولاينفقون إلا وهم كارهون ﴾**[2].

كما أخبر أن أعمال الكفّار الأخلاقية غير مقبولة ولاتعود عليهم بأدنى فائدة قال تعالى : **﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لايقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ﴾**[3].

وخلاصة القول ان القرآن الكريم كان هدفه الأسمي إيقاف الناس على الحقائق النظرية للأخلاق الحميدة معتمداً في ذلك على البصيرة الأخلاقية وفي نفس الوقت وضع هذه الأخلاق على قاعدة عملية صلبة من الإيمان بالله واليوم الآخر وربطها بها ربطاً وثيقاً ليضمن بذلك بقاءها وثباتها في المجتمع الإسلامي لأن بقاءه مرتبط ببقائها ووجودها فيه . فإذا زالت أو ضعفت فيه تفككت أوصاله وضعف بنيانه مما قد يؤدى به إلى الزوال .

« بعض الجوانب الأخلاقية التي حث القرآن عليها بأساليب متعددة » :-

والحقيقة انه ماكان بمقدور أى قوة إعلامية في الأرض أن تحقق ماحققه القرآن الكريم في أمته مهما بلغت أساليبها الإعلامية من القوة والتأثير . ولكن القرآن الكريم بفضل أساليبه المعجزة

(١) الإسراء/٥٣
(٢) التوبة/٥٤
(٣) ابراهيم/١٨

ودقتـه في اختيار البداية الصحيحة وقوة معرفته للنفس البشرية وطبائعها وبفضل صدق محتواه وشرف قصـده استـطاع في سنـين معـدودة أن يفتح أعين الناس على الخيروالشر ويبين آثارهما الحسنـة والسيئة فرغب في الأخلاق الحسنة ونفّر من الأخلاق السيئة بعد أن قوى إرادة الخير في الإنسان على إرادة الشر بزرع العقيدة في قلبه فعمَّ الصلاح والخير في المجتمع الإسلامي . ولا أكتفي بما قلتـه اجمـالاً بل لابـد لي من القـاء الضـوء على بعض الجوانب الأخلاقية الهامة التي أوجدها القرآن الكريم في أمته بفضل قوة أساليبه الإعلامية وركائزه التي اعتمد عليها في العرض والإقناع .

١ ـ الصبـــــر :

إن من أعـظم فضائل النفس وأخلاقياتها فضيلة الصبر لأن الصبر هو الجهد النفسي للتأبي على المعاصى والإبتعاد عن السيئات وهو أيضاً الجهد العملي الإيجابي الملىء بالحركة والسعي للإنتاج وتحمل التبعات والتعرض لجلائل الأعمال ومواقف الأبطال « وإذا لفتنا النـظر إلى ماينعم به البشر من النعم المـادية والـروحية ظهـر لنـا أنه ثمرة الصبر والكفاح ونتيجة الدأب والمثابرة[١] .

ولأهمية هذا الخلق بالنسبـة لأمـة القرآن لم يحضّ على خلق من أخلاقه كما فعل بشأن الصبر واستخدم في ذلك عدة أساليب من أهمها :

أسلوب الـترغيب : وذلـك بإعـلام هذه الأمـة أن الصـبر من أهم صفـات الأنبياء والمرسلين ـ قال تعالى : ـ **﴿ واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين ﴾**[٢].

وقـال مخاطبـاً الـرسول ﷺ **﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولاتستعجل لهم كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ﴾**[٣].

ـ ولقد حضهم عليه ورغبهم فيه لأنه طريق الفلاح والفوز الأبدي قال تعالى : **﴿ يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾**[٤].

ـ ومن الـترغيب فيه أيضاً أن الله سبحانه وتعالى مع الصابرين بتأييده ونصره ومعونته

---

(١) دعوة الإسلام ـ السيد سابق ـ ص ١٣٣ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت
(٢) الأنبياء/ ٨٥
(٣) الأحقاف/ ٣٥
(٤) آل عمران/ ٢٠٠

ومثوبته قال تعالى : ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾[1].

- ولقد بشر الله سبحانه وتعالى الصابرين بأنه يضاعف لهم الأجر والثواب قال تعالى : ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ﴾[2].

- كما بشرهم بأن جزاءهم الجنة قال تعالى : ﴿ وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ﴾[3].

- وبشر الصابرين أيضاً بأن عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأنهم مهتدون قال تعالى : ﴿ ولنبلونَّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشِّر الصابرين - الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾[4].

وأخيراً بشرهم بأن أجرهم وثوابهم لا نهاية له ولاحدود بل هو موكول لفضل الله العظيم الذي لاحدود له ولاقيود قال تعالى : ﴿ قل ياعبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾[5].

- وحضَّهم على الصبر أيضاً بأسلوب التذكير بما ناله الصابرون من مكانة في الدنيا والآخرة بسبب صبرهم على الحق والعمل به قال تعالى : ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾[6].

وكما حض القرآن على التحلي بالصبر في مواطن الابتلاء الذي هو من سنن الله في الحياة فإنه حذَّر من تركه في آيات كثيرة قال تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنَّة ولَمَّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾[7].

وقال تعالى : ﴿ ماكان الله ليذر المؤمنين على ماأنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وماكان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن

---

(١) الأنفال/٤٦
(٢) القصص/٥٤
(٣) الإنسان/١٢
(٤) البقرة/١٥٥-١٥٧
(٥) الزمر/١٠
(٦) السجدة/٢٤
(٧) آل عمران/١٤٢

تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم ﴾[1].

وقال تعالى : **﴿ الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾**[2].

« صورتان من صبر الصحابة »

ولقد ضرب أصحاب رسول الله ﷺ مثلاً رائعاً في الصبر فهذا بلال بن رباح . . كان أمية بن خلف . . يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له (لا والله) لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك البلاء : أحد أحد »[3] .

« وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه . . وأمه وكانوا أهل بيت إسلام إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول صبراً آل ياسر موعدكم الجنة . . . »[4].

٢ ـ الرحمـــة :

فالرحمة هي الرابطة التي تربط بين الناس وفي ظلها يحيا الناس حياة سعيدة في حب وود يرحم القوى الضعيف والغني الفقير والثري المحتاج وينال كل ذي حاجة حاجته بباعث الرحمة والمساواة .

ولقد حث القرآن الكريم هذه الأمة على التحلي بصفة الرحمة في مناسبات متعددة وبأساليب متنوعة .

ففي منـاسبة ذكر حق الوالدين والأمر بالإحسان إليهما أمر بالرحمة وهما أحق الناس بالرحمة قال تعالى : **﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾**[5].

وفي منـاسبـة تعـداد آياته الدالة على انفراده بالإلهية وكمال العظمة ونفوذ المشيئة ذكر أن من دلائـل ذلك انه جعل علاقة الزوج بزوجته مبنية على المودة والرحمة قال تعالى : **﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾**[6].

---

(١) ال عمران/ ١٧٩ (٢) العنكبوت/ ١ ـ ٣

(٣) السيرة النبوية ـ القسم الاول ـ ص ٣١٧ مصطفى البابي الحلبى وأولاده بمصر

(٤) نفس المرجع ـ ص ٣٢٠ (٥) الإسراء/ ٢٤ (٦) الروم/ ٢١

وفي معرض امتنان الله سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين بأنه بعث فيهم النبي الأمي محمدا ﷺ الذي يتسم بغاية النصح لهم والسعي في مصالحهم ذكر أيضاً ماكان يتسم به ﷺ من الرحمة والشفقة عليهم . قال تعالى : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم** ﴾[1] وعندما أراد الله سبحانه وتعالى الإشادة ببعض صفات أصحاب رسول الله ﷺ كان من أهمها أنهم أشدَّاء على من خالف دينهم وأما من وافق دينهم فهم رحماء به يودونه ويعطفون عليه قال تعالى : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجدا يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود** . . ﴾[2].

فهذه الأمثلة وغيرها من الأمثلة في القرآن الكريم وهو كثير من شأنها إشعار هذه الأمة بأهمية هذا الخلق وترغبهم فيه لأنه صفة الله عز وجل وصفة رسله وانبيائه عليهم صلوات الله وسلامه كما أنه صفة الصفوة المختارة من عباده الصالحين ـ والرسول ﷺ هو المثل الأعلى والقدوة الحسنة لأهل القرآن وقد وصفه التنزيل في أكثر من آية بفضيلة الرحمة فقال ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر** . . ﴾[3].

وقال تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾[4].

صورتان من شفقة الرسول ﷺ ورحمته :ـ

وماأكثر الشواهد التي تجلت فيها رحمة الرسول ﷺ لقد رحم الصغير والكبير ورحم القريب والبعيد ورحم الصديق والعدو ورحم الإنسان والحيوان ولقد بلغ من رحمته أنَّه كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ ولأبي العاص بن الربيع . . فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها »[5] وهو الذي قال لمعاذ عندما بلغه أنه يطيل القراءة حين يؤم قومه في الصلاة « فلولا صلَّيت بـ « سبح اسم ربك الأعلى « والشمس وضحاها » و « الليل إذا يغشى » فإنه يصلى وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة »[6].

---

(١) التوبة/١٢٨ (٢) الفتح/٢٩
(٣) ال عمران/١٥٩ (٤) الأنبياء/١٠٧
(٥) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام ص ٢٢١ ـ جـ ١
(٦) نفس المرجع ص ٢٠٧

وبهذا الخلق الطيب يكون القرآن الكريم قد أوجد الفرد المسلم الذي لا يحتكر الخير لنفسه ولا يهمل التفكير في غيره فيتألم لآلامهم ويقدر مشاعرهم ويسهم في معاونتهم ويبذل جهده في التخفيف عنهم كل ما احتاجوا ذلك وبهذا الشعور الذي غرسه القرآن الكريم في نفوس أفراده قوّى روابط المجتمع الإسلامي وجعله كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمّى .

٣ ـ الكرم :

ومن علائم الخير في الأمم أن ترى أبناءها « ينفقون المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلة القدر الكثيرة النفع وأن ترى فيها من يكف عن بعض حاجاته التي تخصه ليؤثر بها من يستحقه »[١] .

لذا فإن القرآن الكريم أولى عناية خاصة بإيجاد هذا الخلق في مجتمعه وبذل جهداً عظيماً في بيان مصارف الأموال وكيفية الإنفاق بأساليب إعلامية في غاية الدقة والجمال . فحذر الأفراد في حياتهم الخاصة من الإسراف والتقتير قال تعالى : ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً** ﴾[٢] .

ورغب في التوسط في الإنفاق في الحياة الخاصة بالمدح والثناء على من كانت هذه صفته من المؤمنين قال تعالى : ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** ﴾[٣] ونفر الله سبحانه وتعالى من الإسراف والتقتير باخباره لهم بأنه يبغض المسرفين قال تعالى : ﴿ **يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾[٤] .

وأما في الحياة الاجتماعية فإنّه طبع في نفس الفرد حب الجود وانفاق الأموال بلا حدود لأنه ميدان التنافس والتسابق للفوز برضى الله عز وجل وما عنده من نعيم مقيم .

فبشر المنفقين في هذا الميدان بأن الله سبحانه وتعالى سيظلهم بظله يوم القيامة وسينيلهم الخيرات ويدفع عنهم الأحزان والمخاوف في الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾[٥] .

---

(١) تهذيب الأخلاق ـ احمد بن مسكوية ـ ص ٢٦ دار مكتبة « الحياة » ـ بيروت

(٢) الإسراء/٢٩ (٣) الفرقان ٦٧

(٤) الأعراف/٣١ (٥) البقرة/٢٧٤

ورغب فيه بمضاعفة الأجر على هذه النفقة أضعافا مضاعفة قد تصل إلى مئات المرات قال تعالى : ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** ﴾[1] .

وعلى هذا الخلق الكريم ربي القرآن الكريم أمته حتى بلغ بهم أعلى درجات الكرم وهو الإيثار قال تعالى : ﴿ **والذين تبوَّءُو الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾[2] .

وفي الوقت الذي كان القرآن الكريم يغرس فضيلة الكرم في نفوس أبناء هذه الأمة فإنه كان أيضاً يعالجها من مرض البخل الذي يعتبر من أعظم الأسباب في ضياع الحقوق والواجبات وتعطيل المشروعات النافعة كالاستعداد للجهاد في سبيل الله والإنفاق على الضعفاء إلى غير ذلك من المصالح الخاصة والعامة مما قد يؤدي إلى فساد كبير في المجتمع الإسلامي فحذر من البخل وخوف من عاقبته التي تتمثل في خزي الدنيا والعذاب المهين في الآخرة . قال تعالى : ﴿ **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير** ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون** ﴾[4] :

وكما حارب القرآن البخل في أمته فإنه حارب الإسراف أيضاً وحرمه على أمته إلا في الأمور الهامة والخطيرة التي يتعلق بها مصير الأمة لدفع ضرر عنها متوقع في حاضرها أو مستقبلها . وذلك لما قد يؤول إليه المسرف من الإفلاس والإحتياج للآخرين . قال تعالى : ﴿ **إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا** ﴾[5] فجعل التبذير خلقاً من أخلاق الشيطان وصفة من صفاته وذلك للتنفير منه وعدم القيام به إلا في محلِّه .

أمثلة من كرم الصحابة :

« لقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم روائع الأمثلة في الكرم والجود والايثار » فهذا

---

(١) البقرة/٢٦١
(٢) الحشر/٩
(٣) آل عمران/١٨٠
(٤) التوبة/٣٤ ، ٣٥
(٥) الإسراء/٢٧

ابوهريرة رضى الله تعالى عنه يخبرنا أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يارسول الله أصابني الجَهْدُ فأرسل الى نسائه فلم يجد عندهم شيئاً فقال : ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله ؟ فقال رجل من الأنصار . . أنا يارسول الله فذهب به إلى أهله فقال لامرأته أكرمي ضيف رسول الله ﷺ لاتدخريه شيئاً قالت : والله ماعندي إلا قوت الصبية قال : فإذا أراد الصبية العشاء فنوّميهم وتعليْ فاطفئى السراج ونطوي بطوننا الليلة لضيف رسول الله ﷺ ففعلت . . . فأنزل الله في هذا الأنصاري وزوجته ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾ .

وروى عن ابن عمر أنه قال : أهدى إلى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال : إن أخي فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا فبعث به إليه فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى الأول »[(1)].

٤ ـ التواضـــع :

إن التواضع من خير الخلال وأحب الخصال إلى الله وإلى الناس وهو موجب للرفعة وبـاعث على التـألف ومحقق للحب والـود « وقـد عرَّفـه مظفر القرميسيني الصوفي بقوله « التـواضـع قبول الحق ممن كان وذلك بالخضوع له والإنقياد إليه ولو كان من صغير أو جاهل »[(2)] وقد أمر القرآن الكريم الرسول ﷺ بالتواضع والصبر على مصاحبة الأخيار من المؤمنين وأن يجاهد نفسه على صحبتهم ومخالطتهم وإن كانوا فقراء وهذا فيه أمر لأمته أيضاً بذلك أسوة به فقال ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فُرُطاً** ﴾[(3)].

والله سبحانه وتعالى يقول لنبيه الكريم في آية أخرى مرغباً له ولأمته تبعاً له في خلق التواضع ـ إن التواضع يجذب الناس إلى دين الله ويرغبهم فيه وانه يرفع صاحبه في الدنيا عند الناس وفي الآخرة عند الله وان تركه ينفر الناس عن الدين ويبغضهم فيه مع ماأعد لصاحبه من الذلة والمهانة في الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في**

---

(١) أنظر « فتح القدير » جـ ٥ ص ٢٠٢

(٢) موسوعة أخلاق القرآن جـ ١ ص ٦٨

(٣) الكهف/٢٨

الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾[1] .

وقد أشاد القرآن بخلق التواضع في عباد الله المخلصين وذلك ترغيباً فيه ودعوة صريحة إليه . قال تعالى : **﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾**[2].

وإذا كان القرآن الكريم قد حمد التواضع ودعا أمته إليه فإنه قد حارب التكبر وأهله . فبين أنه من أخلاق الشيطان سيد المتكبرين وذلك تنفيراً منه وطلباً لهذه الأمة بالابتعاد عنه قال تعالى : **﴿ قال مامنعك ألاَّ تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾**[3] وكانت نتيجة وعاقبة تكبره هذا أن هبط من مرتبته العالية في الجنة إلى أسفل السافلين مهانا ذليلا وذلك جزاء له على كبره وعجبه بنفسه قال تعالى : **﴿ قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين ﴾**[4].

كما بين أنه من أبرز خصال الجبابرة التي أدت بهم إلى نقمة الله سبحانه وتعالى في الدنيا من أمثال قارون الذي تطاول على قومه بدافع من الغرور والتكبر بما يمتلكه من قوة وسلطان معتقداً بأنه بذلك يستحق من التعظيم والإتباع مالا يستحقه أحد غيره فاقرأ قصة قارون من قوله تعالى : **﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ماإنَّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لاتفرح إنَّ الله لايحب الفرحين** . . إلى قوله تعالى : **﴿ فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وماكان من المنتصرين ﴾**[5].

هذه هي النتيجة التي جعلها الله تبارك وتعالى للمتكبرين إن جزاءهم يكون بغته وهو دائماً يكون من جنس العمل فكما يرفعون أنفسهم على عباد الله ويتطاولون عليهم ينزلهم الله أسفل سافلين .

وكانت عاقبة فرعون عند ماطغى وتكبر وتطاول على موسى وقومه أن أغرقه الله سبحانه وتعالى مع جنده في البحر

وعاقبة هؤلاء وأمثالهم ذكرها القرآن الكريم لتحذير أمته من التكبر وحثهم على التواضع والتخلق به

---

(١) آل عمران/١٥٩
(٢) الفرقان/٦٣
(٣) الأعراف/١٢
(٤) الأعراف/١٣
(٥) القصص/٧٦-٨١

وقـد هدد الله سبحـانه وتعالى المتكبرين على عباده وعلى الحق وعلى من جاء به بأنه سيصرفهم عن كل مامن شأنه أن ينفعهم أو يهديهم إلى الطريق الصحيح في كل الظروف والأحوال قال تعالى : ﴿ **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين** ﴾[1].

وفي هذا تخويف وتحذير من هذا الخلق الرذيل ومن عواقبه السيئة والمدمرة في الدنيا والآخرة .

أمثلة من تواضع الصحابة :

ولقد ظهرت صور رائعة من التواضع في سلف هذه الأمة .

فهذا أبوبكر الصديق رضى الله عنه تقول عنه أنيسه أنه لبث فيهم ثلاث سنين قبل أن يستخلف وسنـة بعـد مااستخلف فكان جواري الحى يأتينه بغنمهنَّ فيحلبن لهن . . . وروى عن ميمون بن مهران أن رجلاً جاء إلى أبي بكر الصديق رضى الله عنه وقال : السلام عليك ياخليفة رسول الله فقال له أبوبكر « من بين هؤلاء أجمعين »[2].

وأما عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيقول عنه قتادة إنَّه كان يلبس وهو خليفة جبة من صوف مرقـوعة بعضها بأدم ويطوف في الأسواق على عاتقه الدرة يؤدب بها الناس ويمر بالنكث والنوى فيلتقطه ويلقيه في منازل الناس ينتفعون به »[3].

وهكذا استمر القرآن الكريم بأساليبه الإعلامية المعجزة يحث على الأخلاق الفاضلة ليقوِّي بها الروابط بين أفراد أمته ويوثق العلاقات بينهم حتى يكون المجتمع المسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

فدعا إلى الشجاعة بقوله « فلاتهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم »[4] .

وإلى المحبة والمودة بقوله « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون »[5].

---

(١) الأعراف/١٤٦

(٢) تاريخ الخلفاء ـ السيوطي ـ ص ٨٩ ـ دار التعاون ـ « مكة المكرمة »

(٣) نفس المرجع ـ ص ١٤٣ (٤) محمد/٣٥ (٥) الحجرات/١٠

وإلى الأمانة والعدل بقوله ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً** ﴾[1].

ومن وصاياه العامة لهذه الأمة في باب الأخلاق قوله ﴿ **يأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولانساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهن ولاتلمزوا أنفسكم ولاتنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** ﴾[2].

سبب ضعف الأمة وانقسامها ومسئولية الإعلام عن ذلك :

ومانراه اليوم في العالم الإسلامي من ضعف وانقسام وتمزق بسبب الخلافات الطائفية والإنقسامات الفكرية والتي شغلتهم عن العمل الموحد من أجل قضاياهم الكبرى ومصالحهم المشتركة كل ذلك يرجع في الحقيقة إلى سببين رئيسيين باتفاق جميع المفكرين الإسلاميين وهما ضعف العقيدة ثم ضعف الأخلاق الإسلامية . وهذا مما يؤكد ضرورة العناية بتقوية هذين الأساسين والعناية بهما أكثر من غيرهما .

والإعلام الإسلامي المعاصر يتحمل كل المسئولية أو جلها فيما وصل إليه العالم الاسلامي من ضعف في العقيدة وانهيار في الأخلاق وذلك بسبب ابتعاده عن متابعة هموم الناس ومشاكلهم وإرشادهم إلى مافيه مصالحهم الخاصة والعامة وبسبب غيابه عن ساحة الصراع العالمي في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الأمة مما نتج عنه تعرض هذه الأمة إلى غزو إعلامي خارجي قوي يستهدف تحطيم عقائد هذه الأمة وأخلاقياتها بالأساليب المباشرة وغير المباشرة مما كان له أعظم الأثر في تفتيت هذه الأمة وانقسامها على نفسها فضاعت حقوقها واغتصبت أرضها وشوهت صورتها لدى الأمم حتى اصبحت مضرب الأمثال في التخلف والغباء بعد أن كانت مضرب الأمثال في الشرف والعزة والقوة والتقدم في جميع ميادين الحياة .

ومن هنا يتضح لنا أهمية التركيز على الإعلام الإسلامي للنهوض به وترقية أساليبة القولية منها والعملية حتى يصل إلى مستوى المسئولية فيقوم بواجبه كاملاً تجاه أمته فينهض بها من كبوتها ويجمع كلمتها ويقضي على كل أسباب الضعف ـ والإنقسام فيها فيحمل الناس على

---

(١) النساء/٥٨

(٢) الحجرات/١١

العقيدة الصحيحـة وعلى الأخلاق الكريمة فيبعث روح المحبة ويوثق عراها في المجتمع الإسلامي من جديد . ويحاول إدخال جميع أفراده وطوائفه في وحدة إنسانية شاملة تعمل على إنهاض الإنسانية وترقيتها وإعلاء شأنها لتبلغ كمالها المقدر لها وتتصدر مكانها الحقيقي الذي كتبه الله لها لقيادة البشرية إلى مايسعدها في الدارين .

وذلك كله لايمكن تحقيقه إلا إذا استعنا بهدى ربنا وجعلناه المصدر الوحيد في سياستنا الإعـلامية فنطبق أوامره ونجتنب نواهيه في جميع المجالات في العقيدة والأخلاق ، وفي المعاملات ، مهما كانت الصعاب والعقبات .

الفصل الثالث

أثره في المعاملات

نظام المعاملات ضرورة إنسانية :

« خلق الله الإنسان اجتماعياً بطبعه ترتبط مصالح كل فرد بمصالح غيره ويصعب على الناس ان يعيشوا في هذه الحياة الدنيا إلا مجتمعين يعاون بعضهم بعضاً ولا يمكن استغناء بعضهم عن بعض فكل واحد منهم يعيش ويحيا بشيء من عمله »[1] كما انه فطره على جملة من الغرائز والميول والرغبات لا يمكن قلعها واستئصالها أبداً وإن كان يمكن تقويمها وتهذيبها إذا ما انحرفت أو تكدرت . ومن أبرز هذه الغرائز وهذه الميول حب جمع المال وتملكه وكره مشاركته في ثمرة جهوده قال تعالى : ﴿ وتحبون المال حباً جما ﴾[2] .

وعلى هذا فإنه لا بد من وضع نظام للمعاملات يحقق حاجات الإنسان ولا يتناقض مع فطرته ويحفظ الحقوق ويوفر المنافع لجميع الأطراف المتعاملة حتى يعيش الناس جميعاً في سعادة ورغد من العيش . ولا شك أن الإنسان مهما بلغت عبقريته وسعة إدراكه عاجز عن تحقيق هذا الغرض بسبب جهله بأسرار الكون وعجزه عن الاحاطة بما تحتاج إليه النفس البشرية في حاضرها ومستقبلها .

ويمكننا تصور مدى حاجة البشرية إلى مثل هذا النظام وعجز البشرية عن إيجاده إذا القينا نظرة إلى تلك الفوضى المتطرفة التي كانت تسود المجتمع العربي قبل الإسلام حيث لا قانون يحكمهم ولا دين يردعهم فانتشر الفقر والحاجة وضعفت روابط التعامل بينهم وساءت أحوالهم وفي ذلك يقول الجاحظ « لم يكن العرب تجاراً ولا صناعاً ولا أطباءً ولا حساباً ولا أصحاب فلاحة

(١) الشريعة الإسلامية ـ بدران أبو العينين بدران ـ ص ٥ مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية . بتصرف

(٢) الفجر/ ٢٠

فيكـونـوا مهنة ولا أصحاب زرع لخوفهم من صغار الجزية ولم يكونوا أصحاب جمع وكسب ولا أصحاب احتكار لما في أيديهم وطلب ماعند غيرهم ولا طلبوا المعاش من السنة الموازين ورؤوس المكاييل ولاعرفوا الدوانيق والقراريط كانوا سكان فيافي وتربية عراء[1] فلجؤوا لذلك إلى الغارة والسلب والنهب وتنمية الأموال بطرق غير أخلاقية كالتعامل بالربا وغيره . وأما العمل والسعي من أجل الكسب الشريف فقد كانت هناك فكرة سائدة عندهم تقول « بأن العمل إهانة وانه من اختصاص الأرقاء والمستعبدين والطبقة الدنيا من البشر وانه لايليق بعلية القوم »[2].

عناية القرآن بالمعاملات

جاء القـرآن الكـريم والعـرب في أشـد الحـاجـة إلى من يأخـذ بأيديهم نحو طريق الخير في المعـامـلات فكان أول عمل قام به هو وضع القاعدة الصلبة من العقيدة الصحيحة والأخلاق الحميدة لأن أى نظام أو تنظيم عملي لايقوم على هذه القاعدة محكوم عليه بالزوال وعدم البقاء . قال تعالى : ﴿ **أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهـدي القـوم الـظالمين** ﴾[3] ثم تنـاول العمل وأنواع التعامل وأدواته تناول الموجه الحذر يبيح ويمنع وفق ماتقضى به مصلحة الفرد والمجتمع . وفيما يلي نحاول إبراز صورة واضحة لنظام العمل والمعاملات الذي دعا إليه القرآن الكريم أمته .

اولاً : الحث على العمل

حث القرآن الكريم على العمل وبارك للعامل وندَّد بالعجز والكسل وبين أن أشرف الأعمال وأعظمها ماكان مباحاً مقترناً بالنية الصالحة . وجعل المقياس الحقيقي لقيمة الإنسان هو مايقوم به من الأعمال الصالحة . التي يبتغي بها وجه الله عز وجل قال تعالى : ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ماسعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى** ﴾[4].

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أمة القرآن بأنه سخر لهم الأرض وذللها لهم ليحصلوا منها على حاجاتهم وحثهم على السعي والكد فيها من أجل الحصول على العيش والكسب وذلك في قوله تعالى : ﴿ **هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه**

---

(١) الإسلام دين ودنيا ـ عبدالرزاق نوفل ص ١٤ ـ دار الجيل للطباعة « الفجالة »

(٢) العمل والضمان الإجتماعي في الاسلام ـ صادق مهدي السعيد ص ٥٥ مطبعة المعارف ـ بغداد

(٣) التوبة/١٠٩ (٤) النجم/٣٩ ـ ٤١

النشور ﴾[1]

ولأن الله سبحانه وتعالى كتب على هذه الأمة العمل وتحمل المشاق من أجل الكسب والمعاش ولو أدى بهم ذلك إلى الأسفار وركوب الأخطار فإن رحمته اقتضت أن يرفع ويخفف عنها كل مامن شأنه أن يضعفهم أو يضاعف من أتعابهم حتى شمل هذا التخفيف الصلاة قال تعالى : **﴿ علم أن سيكون منكم مرضي وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله . . ﴾**[2] .

وقد أخبر القرآن الكريم أمته أنه لامانع عليها من العمل في جميع الأوقات حتى في أثناء أداء فريضة الحج قال تعالى : **﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم**[3] يقول سيد قطب رحمه الله عند شرحه لهذه الآية الكريمة « إن الله سبحانه وتعالى أباح البيع والشراء والكراء في الحج وسما ذلك ابتغاء من فضل الله . . . ليشعر من يزاولها أنه يبتغي من فضل الله . . ومتى استقر هذا الإحساس في قلبه . وهو يبتغي الرزق فهو إذا في حالة عبادة لله لاتتنافى مع عبادة الحج في الاتجاه إلى الله »[4] .

ولما كان الإشتغال بالعمل التجاري وغيره مظنة الغفلة عن ذكر الله أمر القرآن الكريم أمته بالإكثار من الذكر وجعل ذلك من أعظم أسباب الفلاح في العمل التجاري ليرغب فيه قال تعالى : **﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾**[5] .

يظهر لنا مما تقدم أن القرآن الكريم أقرَّ أن العمل هو أفضل وسيلة لضمان عيش الانسان ورفاهيته كما انه من أقوى الأسباب في بناء كيان الأمة والتمكين لها في أرض الله .

ثانياً : تحريم أكل أموال الناس بالباطل والغش والرّبا :

وفي مقابل الحث على العمل والدعوة إلى تنمية الأموال والسعي للحصول على الرزق نهى القرآن الكريم أمته عن العمل وتنمية الأموال على وجه يمس بحقوق غيره من الناس لأن ذلك من شأنه الإضرار بمصالحه ومصالح غيره واضعاف روابط المودة والمحبة ويثير الأحقاد في الأمة الواحدة .

(١) الملك/١٥
(٢) المزمل/٢٠
(٣) البقرة/١٩٨
(٤) في ظلال القرآن ـ المجلد ١ ـ جـ ٢ ـ ص ١٩٨ .
(٥) الجمعة/١٠

من أجـل ذلـك دخـل القـرآن الكريم حركة السوق والمعاملات التجارية ليحارب الظلم والغش والربا وجميع أنواع أكل حقوق الناس بالباطل .

أ ـ محاربة الغش وأكل أموال الناس بالباطل :

نهى القـرآن الكريم أمته عن أكل أموال الناس بالباطل وهذا يشمل الغصب وفتح المواخير وحانات الخمور ، واخذها بالقمار ، والسرقات وأباح لهم أكلها ـ بالتجارات والمكاسب المباحة الخـالية من المـوانـع الشرعية . وبين لهم أن أمره لهم بهذا من رحمته لهم لما فيه من صون الأموال والمحـافـظة عليهـا من الضياع . وذلـك واضـح من قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولاتقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما** ﴾[1] .

ولما كان الغش من أخطر الأمور التي تضعف الثقة بين أفراد المجتمع وتحدث خللاً في تنظيم صلاتـه وأخـلاقياته . ولما كان أخطر مايكون الغش والخداع والطمع في الكيل والميزان وسائر أنـواع التقـادير . كان لابـد من أن يتنـاولهـا القرآن الكريم بشيء من العناية في مكييه ومدنيه وبأساليب متعدِّدة .

أسلوب الـترغيب : قام القـرآن الكـريم بترغيب أمتـه في العدل وإيفاء المكاييل والموازين بالقسط من غير بخس ولا نقص وذلــك في قولــه تعـالى : ﴿ **وأوفـوا الكيـل إذا كلتم وزنـوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا** ﴾[2] .

وهذه الآية يفهم منها النهي عن كل غش والأمر بالنصح والصدق في كل المعاملات لما في ذلك من حسن العاقبة للمتعاملين في الدنيا والآخرة ويقول الشوكاني في معنى قوله تعالىٰ « **ذلك خير** وأحسن تأويلا » بأنـه خير لهم عنـد الله وعنـد الناس ينتج عنه حسن الذكر وترغيب الناس في معاملة من كان كذلك[3] .

أسلوب الوصية : قام القرآن الكريم بإعلام أمته بأن من بين المسائل الهامة التي أوصى الله جل جلاله بها جميع الأمم ومنهم أمة محمد ﷺ أن تقوم بها وحثها على بذل مافي وسعها للقيام بها مسـألـة الإيفـاء التام في الكيل والوزن سواء في ذلك أكان الحق لكم أو عليكم للمحافظة على الحقــوق والـواجبـات بين النـاس اقـرأ من قولـه تعـالى : ﴿ **قل تعـالـوا أتـل ماحـرم ربكم**

---

(١) النساء/ ٢٩
(٢) الإسراء/ ٣٥
(٣) فتح القدير ـ جـ ٣ ـ ص ٢٢٧

عليكم . . ﴾ إلى قوله : ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لانكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾[1].

أسلوب التهديد والوعيد : ومن الأساليب التي عالج بها القرآن الكريم هذا المرض الخطير « التهديد والوعيد » بإنزال العذاب الشديد بكل من يقوم بالتقليل من حق المتعامل معه في الكيل وأما إذا تعامل مع غيره فإنه يأخذ حقه كاملاً في الكيل ويستوفيه قال تعالى : **﴿ ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالواهم أو وزنوهم يخسرون . ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾**[2] وكان سبب نزول هذه الآية ماروى عن ابن عباس أنه قال : « لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً فأنزل الله « ويل للمطففين . . . » فأحسنوا الكيل بعد ذلك »[3].

ب ـ محاربة الرِّبا :

وكما حارب القرآن الكريم تنمية الأموال والعمل على الكسب عن طريق الظلم والغش فإنه حارب طريقاً آخر يعتبر من أسوإ الطرق والأساليب وأخبثها في تنمية الأموال وأعني بذلك « طريق الرِّبا » وذلك بسبب مايدره من كسب مضمون من غير بذل أى جهد أو عمل شريف كما أنه يؤدي إلى تضخم رؤوس الأموال في يد عاطلة عن العمل تحتكره فيسبب ذلك اختلال التوازن في المجتمع الإسلامي فتتدهور أخلاقه وتضعف معاملاته وتنتقض روابطه الإنسانية . فكان لابد للقرآن من القضاء على هذا النوع من المعاملات ليطهر مجتمعه من خبثه وخطره واتبع في ذلك أساليب اعلامية من أهمها .

ـ أنه قام بالتنفير من الرِّبا وأهله قال تعالى : **﴿ الذين يأكلون الرِّبا لايقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنَّما البيع مثل الرِّبا وأحل الله البيع وحرّم الرِّبا ﴾**[4] يقول سيد قطب رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية « وماكان أى تهديد معنوي ليبلغ إلى الحس ماتبلغه هذه الصورة المجسمة الحية المتحركة صورة الممسوس المصروع وهى صورة معروفة معهودة للناس فالنص يستحضرها لتؤدى دورها الإيحائي في إفزاع الحس لاستجاشة مشاعر المرابين وهزها هزة عنيفة تخرجهم من مألوف عادتهم . . . في حرصهم على الرِّبا . وعلى مايحققه لهم من الفائدة »[5].

---

(١) الأنعام/١٥١ ـ ١٥٢ (٣) المرجع السابق ـ جـ ٥ ص ٣٩٧ (٥) في ظلال القرآن ـ المجلد ١ ـ جـ ٣ ـ ص ٣٢٣
(٢) المطففون/١ ـ ٦ (٤) البقرة/٢٧٥

ثم أصدر الله سبحانه وتعالى بياناً عرض فيه عقوبة المرابين وذلك بقوله ﴿ **فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾[1] أي من انتهى من المعاملات الربوية بعد ماظهر له من بشاعتها وحرمتها وتاب إلى الله ورجع عن أثمه فأمره متروك إلى خالقه وأما من عاد إلى تعاطيها بعد بيان الله وتذكيره ووعده ووعيده فإنه يستحق العذاب .

ثم أصدر بياناً آخر بأسلوب التقابل مفاده أن الله كتب على نفسه محق مكاسب الرِّبا ونزع البركة منها كما كتب على نفسه إرباء صدقات المنفقين وتزكيتها قال تعالى : ﴿ **يمحق الله الرِّبا ويربى الصدقات والله لايحب كل كفار أثيم** ﴾[2] .

وهـذا خلاف مايتبادر إلى أذهان الناس مما يدل على أن الرزق وحصول ثمراته من الله جل وعلا . وماعند الله لاينال إلا بطاعة أوامره واجتناب نواهيه وفي هذا من التحذير من تعاطي الرِّبا والترغيب في الصدقات ابتغاء مرضاة الله مالا يخفي .

ثم وجـه خطابـاً أخـيراً إلى المؤمنين يأمرهـم فيه بتقوى الله عز وجل وترك مابقي من الأموال الـربـوية التي كانـوا يتعـاطـونها وانهم إن لم يمتثلوا ما أمروا به فإنهم بذلك يكونون محاربين لله ورسوله قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون** ﴾[3] .

وهـذه الآية كما نلاحظ تحتـوى على التصفية النهـائية للتعـامل الربوي لأنها « علقت إيمان الذين آمنوا على ترك مابقى من الربا فهم ليسوا بمؤمنين إلا أن يتقوا الله ويذروا مابقي من الربا ليسوا بمؤمنين ولو أعلنوا أنهم مؤمنون فإنه لا إيمان بغير طاعة وانقياد واتباع لما أمر الله به »[4] .

ثالثاً : حفظ الحقوق المالية في المعاملات :

فالقـرآن الكـريم بعد أن حث أمته على العمل ونهاها عن الإبتزاز والسرقات وسلب أموال النـاس وأكلهـا بالبـاطـل أخـذ يبني علائق الناس وصلاتهم فيما بينهم على أسس من التعامل والتعـاون من شأنها الإرتقـاء بالمعـاملات وفي نفس الوقت تحفظ علاقة الأخوَّة وتبقى عليها . وذلـك كله في آيتي الدَّين والرهن اقرأ من قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى**

---

(١) البقرة/٣٧٥ (٣) البقرة/ ٢٧٨ ، ٢٧٩

(٢) البقرة/٢٧٦ (٤) المرجع السابق - المجلد ١ - ص ٣٣٠

أجل مسمى فاكتبوه . إلى قوله ﴿ **والله بما تعملون عليم** ﴾[1] فهذه الآيات تناولت المعاملات التجارية وكيفية توثيقها بالكتابة والرهن والشهود في أسلوب بلغ الذروة في دقة التعبير وصدق الأداء لترسم لهذه الأمة طريق التعامل الذي يحقق لها حفظ الأموال والعدالة في المعاملات والسلامة من النسيان وتربط بين المؤمنين برابط متين من الحب والتعاون ولهذا قال « ذالكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا » .

كما ورد في الآيات حث لهذه الأمة على تقوى الله عز وجل بامتثال أوامره واجتناب نواهيه لأن ذلك من أقوى أسباب حصولهم على العلم النافع في دنياهم اثناء تعاملهم فيما بينهم وفي آخرتهم أثناء تعاملهم مع خالقهم تبارك وتعالى . وذلك واضح من قوله تعالى : ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم** ﴾[2].

وهكذا فإن القرآن الحكيم حثَّ على العمل وحارب الغش والربا . وكل مامن شأنه أن يضر بأحد الأطراف المتعاملة أو يحدث فساداً في العلاقات الإنسانية وأخلاقياتها ثم وضع لهم أسساً جديدة تكفل لهم حفظ حقوقهم وواجباتهم في إطار من التعامل والتعاون الأخلاقي الممتاز .

رابعاً : تفتيت الثروة :

ومن المعلوم أن النشاط التجاري إذا كان يسير على هذا الخط الثابت الرشيد الذي رسمه القرآن الكريم لأمته في العمل والمعاملات فإنه ولاشك سيصل بصاحبه إلى الغنى الفاحش الذي يؤول بصاحبه حتماً إلى الترف وكفران النِّعمة مما قد يؤدي إلى اختلال في توازن المجتمع . . واضعاف لروابطه فتكثر فيه الخلافات وتظهر فيه الطبقات المتصارعة إلى غير ذلك من الأمور التي تعتبر من أكبر أسباب انحطاط الأمم وزوالها .

ومن ثم رأى القرآن الكريم أن من أوجب واجباته ان يهتم اهتماماً خاصاً بتفتيت الثروات الكبيرة فسلك لتحقيق هذا الغرض عدة سبل من أهم هذه السبل :

١ ـ أنه شن حملة إعلامية قويَّة ضد المترفين الذين كفروا النعمة . . وذلك لإضعاف سيطرة المال على نفوس أبنائه وإعلامهم بأن المال ليس هو القوة الحقيقية التي تهون أمامها جميع القيم وجميع الأقدار في الدنيا والآخرة وأن كل من ينظر إلى المال بهذه

---

(١) البقرة/٢٨٢ ، ٢٨٣

(٢) البقرة/٢٨٢

النظرة الحقيرة الخالية من المروءة فإنه سيكون عرضة لعقاب الله الذي أعده وسنّه للمترفين الذين يعيثون في الأرض فساداً .

ومن الأساليب التي استخدمت في هذه الحملة . . **أسلوب تشويه الصورة وذلك** بتوجيه أخسّ الكلمات إلى أصحاب المال المترفين ونعتهم بأبشع النعوت قال تعالى : **﴿ ولاتطع كل حلاف مهين هماز مشّاء بنميم . منّاع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم . أن كان ذا مال وبنين ﴾**[1] وفي هذا تنفير من المترفين ومن أخلاقهم القبيحة التي لايرجى من ورائها فلاح ولافوز ﴾ .

أسلوب التحذير والتخويف من عاقبة المترفين . قام القرآن الكريم باخبار أمته بأن من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى الطغيان والتكبر عن الحق وعدم الرضى به هو الترف وكفران النعمة قال تعالى : **﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ماهذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون . ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا الخاسرون ﴾**[2] ثم بين عاقبتهم في آية أخرى بقوله **﴿ فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعداً للقوم الظالمين ﴾**[3] أي أهلكناهم هلاكاً حتى صاروا يابسين كالغثاء « وهو مايحمله السيل من بالى الشجر والحشيش والقصب ونحو ذلك مما يحمله على ظهر الماء[4] .

- **أسلوب التقابل** : عرض القرآن الحكيم صورتين متقابلتين لمجموعتين من الناس أحداهما للمؤمنين المنفقين الذين ينفقون مما آتاهم الله ابتغاء مرضاته والفوز بجنته . والصورة الثانية لأولئك المترفين الذين تنكروا لعطاء الله واتخذوا من مال الله وسيلة للحصول على القوة والسلطان والتكبر على عباد الله والصد عن سبيله لكن هذه الفئة المترفة ماتلبث أن تلقّت مصيرها الرهيب المحتوم في العاجلة والآجلة اقرأ من قوله تعالى : **﴿ والذين يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ﴾** إلى قوله **﴿ حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون لاتجأروا اليوم إنّكم منا لاتنصرون . . ﴾**[5] وفي هذا ترغيب في الانفاق وتحذير من الترف وكفران النعمة .

- **وبأسلوب الاخبار** : فالقرآن الكريم أخبر أمته أن من سنن الله أنّه إذا حكم

---

(١) القلم/١٠ - ١٤
(٢) المؤمنون/٣٣ ، ٣٤
(٣) المؤمنون/٤١
(٤) فتح القدير - جـ ٣ - ص ٤٨٣
(٥) المؤمنون/٦٠ - ٦٥

على قرية من القرى الظالمة بالهلاك والدمار أمر مترفيها أمراً قدرياً بالفسق فيها والطغيان قال تعالى : ﴿ **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليهم القول فدمرناها تدميرا** ﴾[1] ثم ضرب لهم أمثلة من واقع الأمم السابقة التي دمرها الله وأبادها بسبب فسق المترفين وطغيانهم قال تعالى ﴿ **وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً** ﴾[2].

وهكذا استمر القرآن الكريم في حملته الإعلامية لانتزاع روح الشُح والجشع والطمع من نفوس أمته ليحثهم بعد ذلك إلى دفع الزكاة بسخاء وطيب نفس في جو من الود والتراحم بين الأغنياء والفقراء .

٢ ـ قام القرآن الكريم بحّث أمته على الإنفاق وأمرهم بالزكاة : إن القرآن الكريم حث أمته على الإنفاق ودفعهم إلى ممارسته في العصر المكي ابتغاء مرضاة الله دون إرغام أو تحديد للإنفاق تاركاً ذلك إلى أخلاقهم الحميدة التي غرسها في نفوسهم قال تعالى : ﴿ **ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون** ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ **يسئلونك ماذا ينفقون قل ماانفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وماتفعلوا من خير فإن الله به عليم** ﴾[4].

وعندما تركز المسلمون في المدينة وصاروا قوة دولية لها منهجها الخاص في الحياة وهدفها المحدد في العمل اتجهت دعوة القرآن الى توجيه المجتمع وتنظيمه »[5]وجاءت آيات قرآنية كثيرة لتؤكد على فرضية الزكاة ولتشيد بدافعيها وتندد بها نعيها قال تعالى : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** ﴾[6] أي فريضة من الله فرضها وقدرها تبعاً لعلمه وحكمته وقال تعالى : ﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم** ﴾[7] أي أنهم يقاتلون المشركين حتى يفعلوا هذه الأمور المذكورة في الآية فإن

---

(١) الإسراء/١٦ (٢) الإسراء/١٧ (٣) البقرة/٢١٩ (٤) البقرة/٢١٥
(٥) مع القرآن في آدابه ومعاملاته ـ عبدالحسيب طه حميدة ـ ص ٥٩ دار المعارف بمصر
(٦) التوبة/٦٠ (٧) التوبة/٥

فعلوها تركوا لأنهم حينئذ صاروا مسلمين يحرم مالهم وعرضهم ودمهم إلا بالحق .

وهذا هو الذي دفع أبا بكر الصديق رضى الله عنه إلى اتخاذ قرار استخدام القوة والاجراءات العسكرية ضد مانعى الزكاة ويقول قولته المشهورة « ولو منعوني عقالاً مما اعطوا رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه »(١).

ـ وقرن القرآن الحكيم في كثير من آياته بين الصلاة والزكاة لاعلام أمته وإشعارها بأنهما أفضل العبادات وأكمل القربات قال تعالى : ﴿ **واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وماتقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير** ﴾(٢).

ثم جعل القيام بالزكاة من صفات الذين ينصرون الله فيستحقون نصر الله القوى العزيز الذي لايهزم من يتولاه قال تعالى : ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدِّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهو عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾(٣).

وهذا واضح أيضاً من الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل حيث جعل نصر الله لهم متوقف على القيام بما في هذا الميثاق من شروط والتي كان من بينها « ايتاء الزكاة » لمستحقيها قال تعالى : ﴿ **ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتهم الله قرضاً حسنا لأكفرنَّ عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنَّات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل** ﴾(٤).

ـ ومن أساليبه في الحض على الزكاة : أنَّه في كثير من الأحيان يوصى بعبادة الله بإخلاص كما يوصي بفعل الخيرات عموماً ثم يخصص بالذكر بعد ذلك إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مع أنَّهما داخلان في فعل الخيرات وعبادة الله باخلاص وذلك لإظهار فضلهما وشرفهما عند الله سبحانه وتعالى ومن ذلك قوله : ﴿ **وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين** ﴾(٥) وقال تعالى : ﴿ **وماأمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة**

(١) الملل والنحل ـ الشهر ستاني ـ جـ ١ ص ٢٥ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .

(٢) البقرة/١١٠

(٣) الحج/٤٠ ، ٤١

(٤) المائدة/١٢

(٥) الأنبياء/٧٣

ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾[1].

وعلى هذا المنوال من الأساليب الإعلامية استمر القرآن الكريم يطهر اغنياء أمته من مظاهر الغنى الذميمة التي قد تؤدى إلى الكفر والتصدي للحق وليطهر فقراءها من الحسد والحقد حتى توثقت عرى المحبة بين أبنائه والتأم شمل مجتمعه .

ولم يكتف القرآن بمحاربة الترف والحث على الإنفاق ودفع الزكاة ليحقق بذلك هدفه المنشود وهو تفتيت الثروة وتوزيعها بل اتبع طريقاً آخر لم يسبق إليه من أجل تحقيق هذا الغرض الشريف .

٣ ـ الإرث : يقول عبدالكريم زيدان « إن الميراث يفتت الثروات ويمنع تكديسها في أيد قليلة لأن تركة الإنسان بعد موته تقسم على عدد غير قليل من أقاربه »[2] اقرأ آيات الميراث من قوله تعالى : **﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين . . ﴾** إلى قوله **﴿ من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حكيم ﴾**[3].

وبهذا تكتمل الحلقة للحركة المالية التي دعا إليها القرآن الكريم أمته وقد بدأها بالحث على العمل من أجل الحصول على الكسب والأموال ثم نهى عن التظالم في المعاملات وأكل حقوق الغير بالباطل لما في ذلك من إضعاف للروابط وإثارة للأحقاد واظهار للطبقات المتصارعة . ثم أرشدهم إلى طريقة حفظ الأموال والحقوق عند التداين والتعامل وغيرهما . ولما كان العمل من أعظم مظانٍّ تجمع المال وتكدسه لدى أيد قليلة من الناس مما قد ينتج عنه خلل في توازن المجتمع ومعاملاته بسبب ماطبع عليه الإنسان من حرص على المال وجمعه وكره العطاء ومشاركة غيره في ثمرات جهوده . كان لابد من ايجاد سبل لتفتيت الثروة وتوزيعها حتى تستمر حركة العمل والمعاملات في جو من الأخوة الإنسانية والأخلاق .

وهكذا دواليك : عمل نشيط على أسس سليمة تحفظ الحقوق والواجبات ، محاربة للظلم والغش والإبتزاز أينما وجد ، ثم تفتيت للثروات كلما تجمعت لدى عدد قليل من الناس للمحافظة على الحركة والنشاط في المعاملات .

---

(١) البينة/٥
(٢) أصول الدعوة ـ ص ٢٤٥
(٣) النساء/١١ ، ١٢

ومن هنا نستطيع أن نقرر بأن القرآن الحكيم قد أحدث تغييراً جذرياً في الرأى العام حول العمل والمعاملات والعلاقات الإنسانية . وأنَّه أوفى بجميع حاجات أمته في الحركة المالية على أساس متين من العقيدة والأخلاق فجمع بذلك بين الدنيا والآخرة .

وبالإنتهاء من بيان أثر القرآن الكريم في المعاملات أكون قد القيت بعض الضوء على بعض آثاره التي حققها في أمته بفضل أساليبه الإعلامية المعجزة .

فلو أن إعلامنا الإسلامي عمل على ضوئها وانتهج سياستها لاستقام أمره وعظمت الثقة فيه ولكنه تخلى عن الإستفادة من القرآن ومن تعاليمه في الأساليب فتخلى الله عنه ونزع الثقـة والبركة منه . وفقد بذلك شخصيته المميزة ومضى وهو يتخبط في الظلمات ضالاً ومضلاً وباحثاً عن شخصية الآخرين يريد العلوق بها وهيهات أن يدرك ذلك فإنهم لن يسمحوا له بالعلوق ولن يعطوه إلا القشور ولو لاخشيتهم من عودته للبحث عن شخصيته لضنوا عليه حتى بالقشور وبذلك يبقى إعلامنا بلا شخصية متذبذباً هنا وهناك كريشة في مهب الريح لاتستقر على حال حتى تدركه العناية الآلهية وترشده إلى أصله لينهل من نهله فيستقيم أمره ويتحقق أثره . وفي الختام أسأل الله لي ولجميع المسلمين التوفيق والسداد إنه قريب مجيب .

الخاتمـــة

وبعد : فإن المقياس الحقيقي للحكم على أى اعلام بالقوة أو الضعف يكون بأساليبه القولية والعملية لا بما يمتلكه من أجهزة متقدمة كالصحافة ، والإذاعة ، والتلفزيون والسينما وغير ذلك من الأجهزة الحديثة . فإذا صلحت الأساليب وقويت صلح الإعلام وقوي تأثيره وإذا فسدت وضعفت فسد الإعلام وضعف تأثيره .

لذا فإننـا نرى كثـيراً من الأمم في عصرنـا هذا اعتنت بدراسـة الأساليب الإعلامية وفنونها وبـذلت جهـوداً جبارة في تطويرها حتى بلغوا في هذا الميدان مراحل لا بأس بها لخدمة أهدافها وأغـراضهـا ولكننـا في الوقت نفسه مع الأسف نرى المفكرين الإعلاميين من المسلمين مازالوا مكتوفي الأيدي ينظرون بسلبية إلى ماوصلت إليه الأساليب الإعلامية لدى المسلمين من تخلف وانحـطاط دون بذل أى جهـد من جانبهم لإصلاحها أو تطويرها رغم مايمتلكونه من مصادر غنية وخصيبـة في هذا الجـانب . فالقـرآن الكـريم والسنة المطهرة يحتويان على كنوز من فنون الإعلام وأساليبه القولية والعملية التي تتسم بطابع خاص يميزها عن جميع الأساليب الإعلامية قديمهـا وحـديثها فلو أحسن المسلمون استخراجها واستخدامها لبلغ إعلامهم درجة الكمال والرقي . ولكنها لم تحظ حتى الآن ببعض اهتمام الباحثين الإعلاميين لتجليتها وإخراجها . ومن ثم أصبحت دراسة الأساليب الإعلامية في القرآن الكريم أمراً ضرورياً لابد منه .

وهذا البحث جاء ليملأ بعض هذا الفراغ الذي يعاني منه الاعلام الإسلامي وسد لبعض احتياجاته . واردت من ورائه تحقيق أمرين .

الأول : أن يكـون بمثـابة اللبنة الأولى لتصحيح مسار الإعلام الإسلامي في أساليبه نحو طريق التقدم والتحرر من التبعية والتخلف .

الثاني : لفت أنظار أرباب العلم وأصحاب الخبرة العلمية من المسلمين في شئون الإعلام وأساليبه ليبذلوا الجهد في استكمالها وإضافة بعض مافاتني إليها .

ولقـــد ضمنت هذا البحث مايسره الله لي في بيان بعض جوانب الأسلوب الإعـــلامي في القرآن الكريـم فإن كان مافيه صواباً فهو من فضل الله عليَّ وإن كان فيه خطأ أو زلل فإني أطلب من الله الغفــران وإنِّي كما قال تعـالى في محكم كتـابـه ﴿ **إن أريـد إلا الإصـلاح ماستـطعت ومـاتـوفيقي إلا بالله عليـه توكلت وإليـه أنيب** ﴾ هود / ٨٨ . وإذا كان لي أن أوصى بشىء في

الإعلام الإسلامي وأساليبه فإني أوصي بالآتي :

١ - أن يكـون مبدأه في الصراع الإعلامي قائم على أساس العقيدة حتى لا يكون منطلقه من فراغ فيضـل ويُضِـلَّ ويكـون مصـيره الفشـل والخسران في كل القضـايا المصـيرية وهذا مانستفيده من قولـه تعـالى : ﴿ **والعصر . إن الإنسان لفي خسر إلَّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ العصر / ١-٣ .

٢ - أن يستخـدم الإعـلام الإسـلامي الأسـاليب العملية إلى جانب استخـدامه للأساليب القولية معتمداً في ذلك على الهدى الإعلامي في القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ **إنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات انَّ لهم أجراً كبيراً** ﴾ « الإسراء / ٩ » .

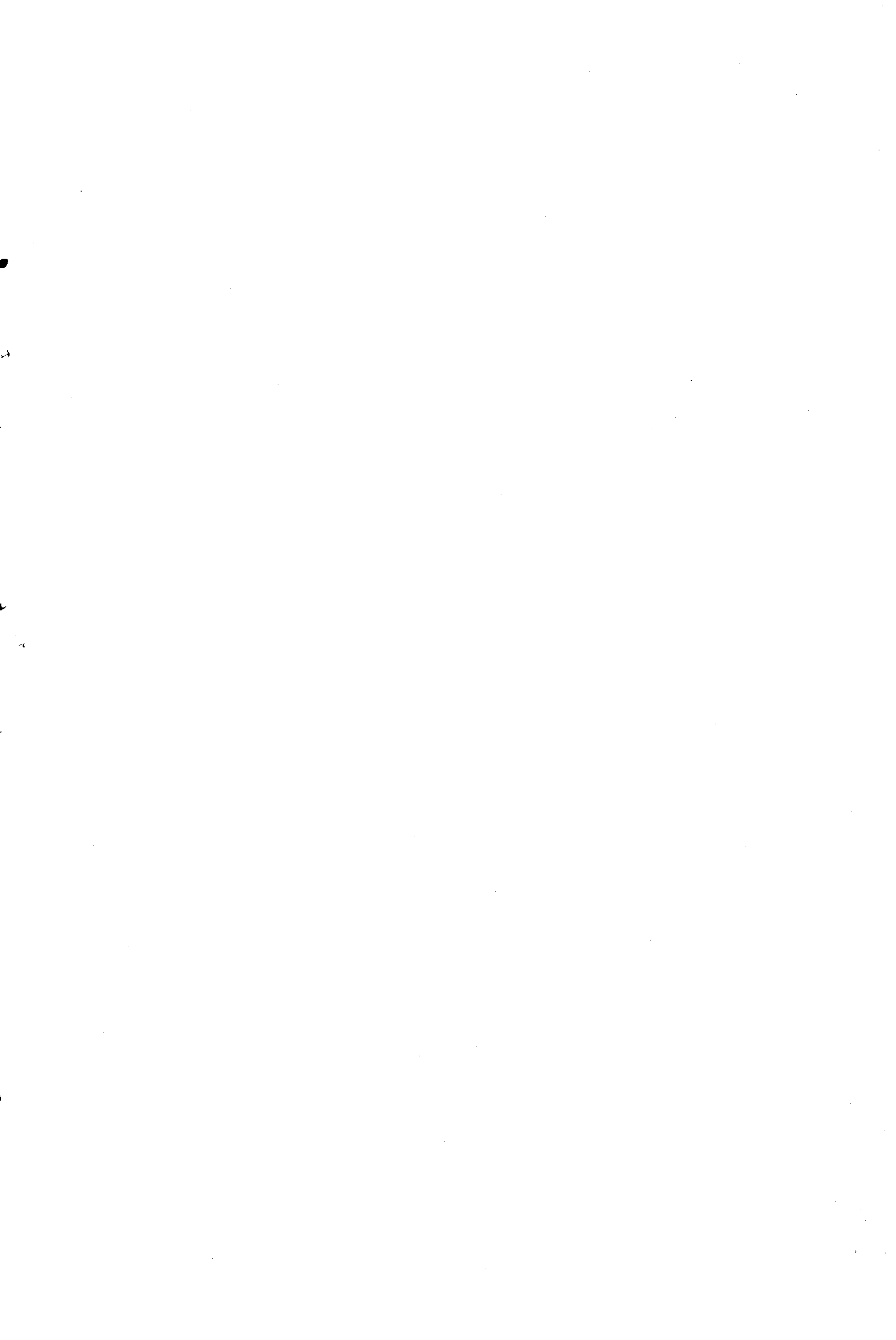
٣ - أن يستخـدم الإعـلام الإسـلامي في ضراه الإعلامي أثناء الحروب النفسية والعسكرية المصـطلحات الأربعة التي أطلقها القرآن الكريم على طوائف الناس في أول سورة البقرة وهى « المؤمنـون » والكـافـرون ، والمنـافقون ، والشياطين ، . . . وهذا مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ **والذين يؤمنون بما أنزل إليك وماأنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون** ﴾ إلى قوله ﴿ **وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون** ﴾ البقرة / ٤ - ١٤ .

لان في ذلك تحسين لصورة المؤمنين ودعوة لهم ولمبادئهم كما ان في ذلك تقبيح لصورة كل من يحارب هذا الدين أو يعاديه من كافرين ومنافقين وأهل كتاب للتنفير منهم ومن مبادئهم ووضـع حواجـز نفسية بيننـا وبينهم حتى لا يغـتر بعض المسلمـين بدعـواتهم وخصوصاً المنافقين الذين كانوا ومازالوا سبب كل رزية في العالم الإسلامي .

٤ - إنشـاء كليات ومعـاهد عليا متخصصة مزودة بجميع الأجهزة التعليمية ويختار لها النخبة الممتازة من الطلاب والمعلمين المتخصصين في علوم الشريعة للقيام بمشروع ضخم وهو البحث عن مافي القـرآن الكـريم والسنة المطهرة من أساليب إعلامية وطرق تحريرها هذا بالإضـافـة إلى محاولـة استنبـاط منهج للتفكير والتحليل والنظر في قضايا الساعة في ضوء الكتاب والسنة وذلك لتطوير الإعلام الإسلامي وأساليبه ولتحصل المكتبة الإسلامية على مجموعات غنية من الكتب المتخصصة في الإعلام الإسلامي .

وفي الختـام فإني أصـلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

الفهـــــــارس



المراجـــــــــع

القــرآن الكريــــم :

- الاتقان في علوم القرآن ـ السيوطي ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- التصوير الفني في القرآن ـ سيد قطب ـ مكتبة القرآن « بيروت » .
- الجواهر في تفسير القرآن ـ طنطاوي جوهري ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- الخمر بين الطب والفقه ـ محمد على البار ـ مكتبة الرياض الحديثة (الرياض) .
- الرأى العام والمخطط الصهيوني ـ فتحي الابياري ـ مطابع شركة الاعلانات الشرقية .
- أخلاقنا الإجتماعية ـ مصطفى السباعي ـ مكتبة الشباب المسلم « دمشق » .
- الأسلوب ـ أحمد الشايب ـ مكتبة النهضة المصرية (القاهرة) .
- الأسلوب الإعلامي والعلاقات العامة ـ محمد عطا ـ مكتبة الأنجلو المصرية .
- أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ـ على جريشة ـ دار الإعتصام .
- اســلاميات ـ خالد محمد خالد ـ دار الفكر « بيــروت » .
- الشريعة الإسلامية ـ بدران أبوالعينين بدران ـ مؤسسة شباب الجامعة « الاسكندرية » .
- الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ـ الندوة العالمية للشباب ـ الطبعة الأولى .
- الإعلام الإسلامي ـ إبراهيم امام ـ مكتبة الأنجلو المصرية « القاهرة » .
- الإعلام الدولي ـ أحمد بدر ـ مكتبة غريب « الفجالة » .
- الاعلام ونظرياته في العصر الحديث ـ جهان رشتي ـ دار الفكر العربي « بيروت » .
- أعلام الموقعين ـ ابن قيم الجوزية ـ دار الفكر العربي « ببيروت » .
- الإعلام العربي بين الدعاية الإمبريالية والصهيونية ـ منير بكر التكريتي ـ مطبعة الإرشاد « بغداد » .
- الإعلام في صدر الإسلام ـ عبداللطيف حمزة ـ دار الفكر العربي .
- الإعلام في ضوء الإسلام ـ عمارة نجيب ـ مكتبة المعارف بالرياض .
- الإسلام دين ودنيا ـ عبدالرزاق نوفل ـ دار الجيل للطباعة « الفجالة » .

ـ أصول الدعوة ـ عبدالكريم زيدان ـ الطبعة الثالثة .
ـ أصول التشريع الإسلامي ـ على حسب الله ـ مطبعة العلوم بمصر .
ـ أضواء على الإعلام الاسرائيلي ـ منذر عنبتاوي ـ مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية .
ـ العقائد الإسلامية ـ السيد سابق ـ دار الكتاب العربي « بيروت » .
ـ العمل والضمان الإجتماعي في الإسلام ـ صادق مهدي السعيد ـ مطبعة المعارف « بغداد » .
ـ القاموس المحيط ـ الفيروز أبادي ـ مؤسسة الحلبي وشركاه « القاهرة » .
ـ القصص في العصر الإسلامي ـ عبدالهادي الفؤادي ـ دار الزمان « بغداد » .
ـ الكشاف ـ الزمخشري ـ مصطفى البابي الحلبي .
ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ـ احمد بن محمد الفيومي ـ المطبعة الخيرية
ـ الملل والنحل ـ الشهرستاني ـ دار المعرفة للطباعة والنشر .
ـ النبأ العظيم ـ محمد عبدالله دراز ـ دار القلم « الكويت » .
ـ الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ـ محمد محمود حجازي ـ دار الكتب الحديثة .
ـ أوربا العصور الوسطى ـ سعيد عبدالفتاح عاشور ـ مكتبة الأنجلو المصرية « القاهرة » .
ـ تاريخ الملوك ـ ابن جرير الطبري ـ دار احياء التراث العربي « بيروت » .
ـ تاريخ التشريع الإسلامي ـ محمد الخضري بك ـ مطبعة السعادة بمصر .
ـ تاريخ الخلفاء ـ السيوطي ـ دار التعاون « مكة المكرمة » .
ـ التفسير الواضح ـ محمد محمود حجازي ـ مطبعة الإستقلال الكبرى .
ـ التفسير الحديث ـ محمد عزة دروزة ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي .
ـ تفسير الطبري ـ ابن جرير الطبري ـ مصطفى البابي الحلبي « القاهرة » .
ـ تفسير البغوي بهامش الخازن ـ البغوي ـ مصطفى البابي الحلبي « القاهرة » .
ـ تفسير الخازن ـ الخازن ـ مصطفى البابي الحلبي « القاهرة » .
ـ تفسير المراغي ـ احمد مصطفى المراغي ـ مصطفى البابي الحلبي « القاهرة » .
ـ تفسير القاسمي ـ محمد جمال الدين القاسمي ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي .
ـ تفسير أبي السعود ـ أبي السعود ـ مطبعة السعادة القاهرة .

- تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - دار احياء التراث العربي « بيروت » .
- تفسير آيات الأحكام - محمد على الصابوني - مكتبة الغزالي « دمشق » .
- تفسير الفخر الرازي - الرازي - مطبعة « عبدالرحمن محمد القاهرة » .
- تفسير البحر المحيط - أبي حيان - دار الفكر « بيروت » .
- تفسير المنار - محمد رشيد رضا - الطبعة الثالثة .
- تفسير كلام المنان - عبدالرحمن السعدي - المؤسسة السعدية بالرياض .
- تفسيرات بن تيمية - ابن تيمية - مطبعة « بريس مالكاؤن » .
- تفهيم القرآن - المودودي - دار القلم « الكويت .
- تهذيب الأخلاق - أحمد بن مسكوية - دار مكتبة الحياة « بيروت » .
- تهذيب سيرة بن هشام - عبدالسلام هارون - المؤسسة العربية الحديثة .
- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام - عبدالله بن عبدالرحمن آل بسام - مطبعة دار الفنون « عين الرمانة » .
- ثقافة الداعية - يوسف القرضاوي - مؤسسة الرسالة .
- ثلاث رسائل في اعجاز القرآن - محمد خلف الله - دار المعارف بمصر .
- جامع البيان في تفسير القرآن - ابن جرير الطبري - دار المعارف « بيروت » .
- جامع الأصول في أحاديث الرسول - ابن الأثير - مطبعة « الملاح » .
- دراسات في الفن الصحفي - ابراهيم امام - الانجلو المصرية (القاهرة) .
- دستور الأخلاق في القرآن - محمد عبدالله دراز - دار القلم « الكويت » .
- دعوة الاسلام - السيد سابق - دار الكتاب العربي « بيروت » .
- زاد المعاد في هدى خير العباد - بن قيم الجوزيه - مؤسسة الرسالة (ببيروت » .
- سنن أبي داود - ابي داود - مطبعة السعادة « بجوار محافظة مصر » .
- سيرة النبي ﷺ - ابن هشام - شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده .
- صحيح مسلم - بشرح النووي - النووي - دار الفكر (ببيروت) .
- طريق الراشدين الى تخريج أحاديث بداية بن رشد - عبداللطيف بن ابراهيم - مكتبة مكة للطباعة والاعلام .
- طريق الدعوة في ظلال القرآن - أحمد فائز - الطبعة الثالثة ١٩٧٧ م .

- ظاهـرة التكرار في القرآن الكريم ـ عبدالمنعم السيد حسن ـ دار المطبوعات الدولية « ميدان الجيش » .
- فتح القدير ـ الشوكاني ـ مصطفى البابي الحلبي وأولاده .
- في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ دار الشروق (بيروت) .
- فن التحرير الاعلامي ـ عبدالعزيز شرف ـ الهيئة المصرية للكتاب « القاهرة » .
- فن الخبر ـ محمود أدهم ـ الطبعة الأولى .
- فن القصة ـ احمد ابوسعيد ـ دار الشروق الجديد « بيروت » .
- كتاب التعريفات ـ على بن محمد الجرجاني ـ مكتبة لبنان « ببيروت » .
- كتاب الأخلاق ـ احمد أمين ـ مكتبة النهضة المصرية « القاهرة » .
- لمحات في علوم القرآن ـ محمد الصباغ ـ المكتبة الاسلامية .
- مباحث في علوم القرآن ـ مناع القطان ـ مؤسسة الرسالة (ببيروت) .
- مجمع الأمثال ـ الميداني ـ دار مكتبة الحياة « ببيروت » .
- مختصر تفسير بن كثير ـ محمد على الصابوني ـ دار القلم .
- مختصر سيرة الرسول ﷺ . ـ الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ المطبعة السلفية ومكتبتها .
- مختصرة سيرة بن هشام ـ محمد عفيفي الزعبي ـ دار النفائس .
- مختار الصحاح ـ محمد بن أبي بكر الرازي ـ المطبعة العامرة الشرفية .
- الامثال القرآنية ـ عبدالرحمن حبنكة الميداني ـ دار القلم « دمشق » .
- الامثال من الكتاب والسنة ـ الترمذي ـ دار نهضة مصر للطباعة والنشر « القاهرة » .
- مدخل الى القرآن الكريم ـ محمد عبدالله دراز ـ دار الفكر الكويتي .
- مذكرات في الدعوة الاسلامية ـ عبدالغفار محمد عزيز ـ دار المعارف السعودية للطباعة والنشر .
- نظرات تحليلية في القصة القرآنية ـ محمد الجذوب ـ مؤسسة الرسالة .
- مع القرآن الكريم ـ شعبان محمد اسماعيل ـ دار احياء الكتب العربية .
- مع القرآن وآدابه ومعاملاته ـ عبدالحسيب طه حميدة ـ دار المعارف بمصر .
- مناهل العرفان ـ الزرقاني ـ دار احياء التراث العربي « ببيروت » .

- مناهل الجدل في القرآن - زهر عواض الالمعي - مطابع الفرزدق التجارية .
- من قضايا الاعلام في القرآن - رمضان لاوند - مطابع الهدف « الكويت .
- موسوعة أخلاق القرآن - أحمد الشرباص - مكتبة الرائد العربي « ببيروت » .
- نفحات القرآن - عبداللطيف السبكي - المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

(المجـــــلات)

- مجلة كلية اصول الدين - العدد الثاني - ٩٩ - ١٤٠٠ هـ .
- مجلة المسلم المعاصر - العدد العاشر ١٩٧٧ م .
- المجلة السعودية - العدد (٣٧) السبت ٣١ اكتوبر ١٩٨٠ م .
- مجلة المجتمع الكويتية - العدد (٥٦٢) الثلاثاء ٢٥ فبراير ١٩٨٢ م .
- مجلة « اقرأ » السعودية - العدد (٢٥٢) الخميس ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩ م .

(الصحـــف)

- صحيفة الجزيرة السعودية - عدد (٢٣٣٢) في ٢ محرم ١٣٩٩ هـ .
- صحيفة الجزيرة السعودية - عدد (٣٣٠٣) في ١١ سبتمبر ١٩٨١ م
- صحيفة الجزيرة السعودية - عدد (٣٣٢٤) في ٢ اكتوبر ١٩٨١ م .
- صحيفة الجزيرة السعودية - عدد (٣٤٣٤) في ٢٨ يناير ١٩٨٢ م .
- صحيفة الرياض السعودية - عدد (٤٩٨٧) في ١ ديسمبر ١٩٨١ م .
- صحيفة الرياض السعودية - عدد (٥٠٢١) في ١٥ ربيع الاول ١٤٠٢ هـ .
- صحيفة الرياض السعودية - عدد (٥٠٦٧) في ٤ مارس ١٩٨٢ م .
- صحيفة عكاظ السعودية - عدد (٥٦٥٢) في ٢٠ نوفمبر ١٩٨١ م .
- صحيفة عكاظ السعودية - عدد (٥٦٨٢) في ٢٠ ديسمبر ١٩٨١ م .
- صحيفة الشرق الاوسط - عدد (١٢٠٧) في ١٩ مارس ١٩٨٢ م .
- صحيفة المدينة - عدد (٥٣٩٤) في ٢١ ديسمبر ١٩٨١ م .
- صحيفة الندوة - عدد (٦٨٤٥) في ١٢ ذي القعدة ١٤٠١ هـ .
- صحيفة اليوم - عدد (٣٤١٩) في ٤ مارس ١٩٨٢ م .

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضـــــــوع | رقم الصفحة

الموضـــــوع	رقم الصفحـة

طبع هذا الكتاب بموجب الترخيص
الصادر من إدارة المطبوعات
بمكة المكرمة برقم ٢٠٥/٢م
في ٢١/٢/١٤١٢ هـ

مطبعة البلاغ : جدة ☎ ٦٤٤٣٠٣١